دراسات بيئية فى المجتمع المصرى



مطبوعات مركز البحوث والدراسات الاجتماعية

دراسات بيئية فى المجتمع المصرى

تأليف

دكتورة نجوى عبدالحميد سعدالله

كلية الآداب – جامعة حلوان

الطبعة الأولى

٢٠٠٢

فهرس المحتويات

صفحة

تقـديـم

بقلـم
الدكتور محمد الجوهرى

صاحبت الابنة والأخت الصـغرى الـدكتورة نجـوى عبدالحميد سعدالله طـوال رحلتها العلمية على امتداد نحـو ثلاثين عاماً من خلال تلمذتها على يد علياء شكرى فى كلية البنات جامعة عين شمس، تلمذة امتدت من بدايـة مرحلـة الليسانس، حتى حصولها - تحت إشـرافها - علـى درجـة الماجستير والدكتوراه. وقد لمست فيها دأباً علـى تحصـيل العلم، واجتهاداً فى تنفيذ كل ما يتوجب عليها أداؤه من مهام ومسئوليات، وفطرة خيرة مطبوعة على حب الحياة والنـاس والإيمان الراسخ السمح الذى لا يتزعزع ولا يلين فى الحق.

وهذه الفطرة الطيبة السمحة - القوية الوديعـة - هـى معادلة إنسانية صعبة لا تجدها إلا فى خيار أبنـاء أسـوان، ليس المدينة فحسب، وإنما الإقليم. هل أقول ليس فـى أهـل أسوان فحسب، وإنما فى كل أبناء الصعيد، خيرة أبناء مصر، ومستودع قيمها ومثلها العليا، ومصدر عظمتها وشموخها.

هذا الانتماء الأسوانى الغالى – على نفسى وعلى نفوس كل المصريين – هو الذى لفت انتباهى أول مرة إلى الابنـة نجوى. ولذلك لم اسـتغرب منهـا نشاطهـا وحماسـها، واجتهادها الذى بلا حدود. وأسعدتنى الظـروف أن أشـارك معها جهدها المتميز الذى بذلته فى إعداد رسالتها للماجستير عن: نظام القرابة عند بعض الجماعات السكانية المتميزة فى منطقة أسوان، التى نالتها بتقدير ممتاز فى عام ١٩٨١.

وتابعت نجوى عبدالحميد مسيرتها العلميـة فـأنجزت رسـالتها العظيمـة للـدكتوراه، فـى موضـوع: دراسـة أنثروبولوجية مقارنة لأنماط التنشئة الاجتماعيـة فى مجتمع محلى بدوى ومجتمع محلى ريفى فى مصر، ونالـت عنهـا درجة الدكتوراه بمرتبة الشرف الأولى عام ١٩٨٦. وكانـت بمثابة فتح لميدان جديد فى ميدان بحثى جديد وعلـى أرض أسوان الغالية على كل المصريين.

ثم تتابعت أنشطة نجوى الأكاديمية فى التدريس والبحث وخدمة كليتها وطلابها ومجتمعها: إن فـى القـاهرة أو فـى أسوان. خدمت طلابها بالتدريس المخلص الأمين الجاد، الذى يزرع مع العلم مثلاً عليا وقيماً نبيلـة، وخـدمت مجتمعهـا العظيم – تاج مصر – فى جنوبها بإجراء سلسلة من البحوث بدءاً من رسالتها للماجستير، مروراً بدراستها عن "أبوالحسن الشاذلى – سلف العبابدة المصريين"، وبحثها – المنشور فـى

هذا الكتاب – عن الطب الشعبى عن قبائل البشارية فى منطقة أسوان. وقـدمت إسـهامات مهمـة فـى دراسـة بعـض المجتمعـات النوبية المصرية فى أسوان، إن فـى رسـالتها للماجستير، أو فى بحثها القيم عن غرب أسوان وكثير غيـر ذلك. ومازال فى جعبتها الكثير، مما لم يجد بعد طريقه إلـى النشر العام، ونأمل له ذلك فى القريب بإذن الله.

فأعمال الدكتورة نجوى عـن أبنـاء قبائـل العبابـدة والبشارية وعن بعض المجتمعات النوبية تنطق – بلسان العلم والبراهين العلمية – عصرية هذه الجماعات، وتؤكدها، فتقدم بذلك مثالاً يحتذى كيف يستطيع العلم الاجتمـاعى أن يخـدم الوطنية المصرية ويحميها ويؤكدها، ويشد من أزر النسـيج الاجتماعى، ويدلل على متانته وقوته، ويكشف عن قدراتـه الفائقة على اجتياز كل المحن وتجاوز كل الصعاب. ولهـذه الأسباب دعوتها للانتقال إلى قسم الاجتماع والأنثروبولوجيـا لكى تسهم بهمتها وإخلاصها فى تأسيس كلية الآداب، التـى أنشئت خلال العام الأول مـن رئاسـتى لجامعـة حلـوان. ومازالت تواصل العمل بذلك القسم بنفس الحمـاس ونفـس الإخلاص حتى الآن.

إن بحوث نجوى إنما هى تجسـيد للـدور الـوطنى – المتسلح بالخبرة العلمية العريضة – للباحث الأنثروبولوجى. دور يبنى لا يهدم، ويجمع لا يفرق، ويعلى من قيمة الأشياء

العالية لا ينقص منها أو يبخسها. دور ينبـع مـن الضـمير المصرى المؤمن بصلابة لا ترقى إليهـا صـلابة أحجـار الجرانيت فى أسوان.

تحية لنجوى عبدالحميد، وتحية لكل أبناء أسوان، مجـد مصر وعزها، وترحيباً وتقديراً لعملها العلمى الـذى يمثـل شريحة من إسهامها المتميز.

محمد الجوهرى

الفصل الأول

تصور مقترح للتنشئة البيئية للطفل المصري

مقدمة

إننا نعيش الآن في عصر البيئة. لقد حـان الوقـت أن ينظر الإنسان إلى بيئته ويتفحصها بعين جديدة للتصدي لكل جوانب الهدر والتلوث التي تقع عليها. وهنـا نقـف لنتأمـل الموقف ونطرح سؤالاً: ما هو السبيل للحفاظ علـى بيئتنـا وحمايتها من التدهور والهدر؟ هل بسن القوانين؟ هل بتدخل العلماء والباحثين بأبحاثهم وجهودهم العلمية؟ أم بإعادة بنـاء الإنسان المصري وبتثقيفه بيئياً؟ أي بعبارة أكثـر تفصـيلاً تعليمه للقيم والاتجاهات الإيجابية نحو بيئته، وتوعيته بطبيعة العلاقة التي تربط الإنسان بمحيط البيئة الطبيعية، وهذا بدوره يحتم علينا المحافظة على مصادرها وحسن استغلالها لصالح الإنسان؛ حفاظاً على حياته الكريمة. وتعرف جميع مدخلات هذه العملية بالتنشئة البيئية Environment Socialization.

ولكي نحقق التثقيف البيئي لا بـد أن نبـدأ بالأطفـال؛ باعتبار أن الأطفال اليوم هم آباء وأمهات المسـتقبل، وهـم الذين يتقلدون المناصب الهامة التي تدير دفة المجتمـع فـي

المستقبل.

مشكلة البحث

لقد بلغ عدد أطفال مصر في نهاية عام ١٩٩١ دون ست سنوات ما يزيد عن سبعة ملايين طفل، ووصل عدد الأطفال ما بين السادسة والرابعة عشرة إلى حوالي ثلاثة عشر مليون طفل. ومع الزيادة المرتفعة في عدد السكان في مصر، تشير التقديرات إلى أن عدد الأطفال دون ست سنوات سوف يبلغ عام ٢٠٠٥ حوالي عشرة ملايين طفل (حامد عمار، ١٩٩٢،٨٠)[(1)].

ومن هنا تتضح أهمية وحجم مسئولية تنشئة الأطفال تنشئة بيئية، وأن هذا الأمر يتطلب من كافة المؤسسات المعنية بتنشئة الطفل في مصر أن تتعاون وتسهم في تنفيذ الاستراتيجية المقترحة للتثقيف والتنشئة البيئية. وهنا تتحدد مشكلة البحث في السؤال الرئيسي: ماهية مشكلة الفساد والتدهور البيئي الذي تتعرض له بيئتنا في هذا العصر؟ ما هي صور التصدي لها من جانب المجتمع الدولي والمحلي؟

ويتفرع من هذا السؤال الأسئلة التالية:

١- ما هو مفهوم البيئة وبدايات التدهور البيئي وأسبابه؟

٢- ما هو واقع الإجراءات الدولية والمحلية للتصدي

للتدهور البيئي؟

٣- ما هي الأبعاد الرئيسية للتصور المقترح للتنشئة البيئيـة للطفل كمدخل للمواجهة؟

وفي ضوء الطرح السابق يتحدد الهدف من الدراسة، وهو المساعدة على تطوير العمل في مجال تنشـئة الطفـل المصري والعناية به؛ حتى يمكن تحقيق طموحـات مصـر المستقبلية بمعايشته للمشكلات البيئة، وتدريبه على المشاركة في حلها؛ نتيجة الوعي البيئي الذي يكتسبه قيما واتجاهـات إيجابية نحو بيئته. وذلك انطلاقاً مـن قناعـة مؤداهـا أن: مصير مصر في الألفية الثالثة يتوقف على الكيفيـة التـي ستعد بها أبناءها تعليمياً وثقافياً للتصدي لكل جوانب التدهور والهدر الذي يقع عليها.

ولقد جاءت معالجتنا لتحقيق الهدف من الدراسـة – فـي إطار ثلاثة محاور –على النحو التالي:

المحور الأول: نموذج الرأسمالية والصناعية وتحول البيئـة الطبيعية كمدخل للتدهور، وذلك من خلال تنـاول مفهـوم البيئة - بدايات التدهور البيئي - البيئة الطبيعية باعتبارهـا مجموعة من النظم - الرأسـمالية والتحـولات البيئيـة - الاشتراكية - الدولة – الصـناعية - التـدهور البيئـي - الحضرية والعولمة والسياسة البيئية.

المحور الثاني: الإجراءات الدولية والمحلية للتصدي لمشاكل التدهور البيئي.

المحور الثالث: التصور المقترح للتنشئة البيئية ينفذ **أولاً** من خلال مؤسسات التنشئة الاجتماعية (الأسـرة – الحضـانة – وسائل الإعلام)، **وثانياً** من خلال أجهزة وزارة الثقافة مـن (كتب الأطفال، المسرح، المتاحف)...إلخ.

كما تعتمد الدراسة المقترحة على الأبعاد الأربعة التالية:

أ- تبسيط المفاهيم البيئية للطفل

ب- تعريفه بالنظام البيئي

ح- تعريفه أنواع البيئات

د- تعليمه كيفية التفاعل الإيجابي مع بيئته

منهج الدراسة

تنتمي هذه الدراسة إلى نمط الدراسـات الاسـتطلاعية، نظرًا لعدم وجود دراسات سابقة في حدود علم الباحثة. وهى تستخدم المنهج الوصفي وذلك من خلال الاطلاع على أدبيات التراث البيئي والسوسيولوجي والأنثروبولوجي؛ بغية التعرف على مفهوم البيئة كنظام طبيعي، وسعياً للتعرف على بدايات ظهور مشكلة التدهور البيئي عالمياً ومحلياً، وما هي الأسباب وراء هذا التدهور البيئي عالمياً؟ والذي انسحب بدوره علـى

البيئة المحلية. هذا بالإضافة إلى استجلاء واقع تنشئة الطفـل في مصر والقضايا التي تتناولها، في محاولة لوضع تصـور يساعد على تطوير وتوسيع مجالات عملية التنشئة؛ من أجل التفاعل الإيجابي مع البيئة، وإعداد جيل واعٍ ومحافظ علـى بيئته. فالمنهج الوصفي يتم بتحديد الظروف والعلاقات التـي توجد بين الوقائع، وتحديد الممارسات الشـائعة، والتعـرف على المعتقدات والاتجاهات. وقد يسعى إلى عمـل تنبـؤات أكثر دقة (فان دالين - ١٩٧٧ - ٣٧٠)[٢].

الدراسات السابقة

١- مارجريت ميد (بدون سنة نشر)[٣]

استهدفت هذه الدراسة دراسة ظـواهر النمـو النفسـي المختلفة من خلال التركيز على أساليب التربية في جزيـرة مانوس، في إطار ثقافي بسيط. وهي واحدة مـن الدراسـات التي تدخل في نطاق الاتجاه الأنثروبولوجي وعلم النفس. وقد ركزت الدراسة على دور الأسرة في التربية، الأولى: للطفل، والطفل وعالم الأرواح، عـالم الطفـل، نمـو الشخصـية، الاتجاهات إزاء الجنس. والثانية: الفتاة المراهقـة، الشـاب المراهق. ثم انتقلت لمناقشـة بعـض المشـكلات التربويـة المعاصرة، على ضـوء تجربـة مـانوس مثـل: التربيـة الشخصية، اعتماد الطفل على تراث مجتمعه.

ولقد اعتمدت مارجريت ميد على المنهج الأنثروبولوجي - الإقامة - الملاحظة - الإخباريين - وتعلمها لغة مجتمع الدراسة - وتحليل وتفسير بياناتها في ضوء التحليل الثقافي.

ولقد ركزت نتائج الدراسة علـى مرحلتـي الطفولـة والمراهقة، كما خلصت إلى أن هناك ثلاثة اتجاهات رئيسية تحكم عملية التربية في مرحلتي المهـد والطفولـة المبكـرة والمتأخرة في مانوس. وهي: اتجاه تأكيدهم على حب النظام، وحبهم للممتلكات الخاصة، والتكيف مـع البيئـة الطبيعيـة بالرغم من مخاطرها، من خلال الإصرار على الحذر مـن جانب الوالدين واليقظة بلا هوادة أو تهاون، واتباع أسـاليب غاية في الصرامة.

٢- حامد عمار ١٩٥١ (٤)

كان من أهم أهداف هذه الدراسة إبراز عمليـة التعلـيم وتكوين الشخصية وتحديد السلوك ومعاييره في ضوء النمط الثقافي العام للحياة الاجتماعية لقرية " سـلوا " فـي حقبـة الخمسينيات من القرن الماضي. فقـد حاولـت إبـراز دور الأسرة في التنشئة الاجتماعية للطفل من خلال تتبع حياته منذ ولادته، والطفولة المبكـرة، وألعـاب الأطفـال وقصصـها ومضمونها ودلالتها، ثم تناولها لمرحلة المراهقة والـزواج، وتناولها لدور التعليم الإقليمي والعلاقة بين التربية والتغيـر

الاجتماعي.

اعتمدت الدراسة على ثلاثة مناهج: الأول: المنهج الأنثروبولوجي في دراسته لموضوع الأسرة والعلاقات العائلية ونظام المعيشة في الأسرة الممتدة. والثاني: المنهج التاريخي من خلال الإخباريين؛ للوصول إلى الجذور التاريخية لظواهر خاصة بمجتمع الدراسة. الثالث: المنهج النفسي من أجل توضيح أثر أساليب التنشئة الاجتماعية على الشخصية، إلى جانب الاستعانة بالاختبارات الإسقاطية (رورشاخ). كما استعان الباحث في تحليله وتفسيره للمادة الميدانية بنظرية الثقافة والشخصية.

وتوصلت هذه الدراسة في معالجتها للبناء الاجتماعي للقرية إلى أن هذا البناء يستند على ثلاثة محاور رئيسية، تتداخل فيما بينها لتحديد العلاقات والمسئوليات وتوزيع العمل واتخاذ القرارات. وهذه المحاور هي: القرابة (النسب)، والجنس (النوع)، والسن. كما أكد عمار على دور النسق القرابي في عملية التنشئة الاجتماعية، بمعنى كيف يتدخل الأقارب في الأمور الخاصة بالثواب والعقاب.

أما بالنسبة إلى الجنس، فتؤكد الدراسة على أن هناك حدودًا فاصلة بين عالم الرجل وعالم المرأة. أما محور السن فتشير النتائج إلى أن المجتمع ينقسم إلى ثلاث جماعات

متمايزة: الصغار والشباب والكبار. وهذه الجماعات لا تختلط إلا من خلال مراعاة شروط وقواعد الأدب التي يتلقنها الطفل منذ نعومة أظافره.

٣- بالدوين ١٩٦٢ (الدراسة الأولى)[٥]

استهدفت هذه الدراسة إبراز موقف الوالدين تجاه بعض جوانب التنشئة الاجتماعية للريفيين، من خلال التركيز علـى أطفال المزرعة الملتحقين بمدارس لوا LOWA، خلال الفترة مـن عام ١٩٢٣- ١٩٢٧. ولتحقيق هذا الهـدف اسـتخدم الباحث كلا من الملاحظة – لمتابعة سلوك الأطفـال طـوال فترة أربع سنوات – ثم المقابلة مع آبـائهم للتعـرف علـى اتجاهاتهم في تنشئة الأبناء.

وجاءت نتائج الدراسة مشيرة إلى:

١- أن موقف الوالدين كان ذا تأثير هام في عملية التنشـئة الاجتماعية للأطفال.

٢- كما كان الآباء الذين يقيمون في منـاطق أكثـر عزلـة ميالين لأن يكونوا محافظين جدا بشأن تقبل أفكار جديدة مـن خارج نطاق مجتمعهم المحلي. على عكس اسـتجابات آبـاء الأطفال الذين يسكنون في مناطق غير منعزلة، مـن حيـث ميلهم النسبي لتقبل أفكار جديدة من خارج نطاقهم المحلي.

كما حاول الباحث أن يجيب عما إذا كان هناك اختلاف في أساليب التنشئة للساكنين في المناطق الزراعية عن أساليب التنشئة للساكنين في مناطق غير زراعية؟. وخلص بالدوين إلى أنه كلما مال المجتمع إلى العزلة، كلما كان أميل للتمسك بأساليب التنشئة التقليدية، وكلما قرب المجتمع من المناطق المتحضرة، كلما كان أميل إلى التأثر ببعض الأفكار الجديدة. كما استطاع الباحث أن يقدم لنا في نهاية دراسته الخصائص الشخصية للطفل في البيئة الزراعية، وهي كما يلي: أن طفل المزرعة يحظى بفرص أقل للاتصال مع الأطفال الآخرين، بسبب ما لديه من الواجبات المنزلية الكثيرة.

٤- أحمد أبوزيد ١٩٧٩[٦]

تميزت هذه الدراسة عما سبقها من دراسات في ميدان التنشئة الاجتماعية بتخطيطها للمواقف التي ركزت عليها معظم الدراسات (الرضاعة - الفطام – الإخراج - النظافة - الاستقلال). كما جاءت معالجتها بداية من تعرف الاتجاهات الوالدية في تنشئة الأبناء. ولتحقيق الهدف اعتمدت الدراسة على المنهج الأنثروبولوجي بأدواته: الملاحظة المباشرة، والملاحظة بالمشاركة، والمقابلات، ودراسة الحالة، وتحليل مضمون الكتابات والروايات السابقة عن مصر، ثم تحليل شبكة العلاقات. كما استعانت بالاستمارة والاستبيان؛

لاستكمال بعض النقاط التي تحتاج إلى معلومات كمية. كمـا ركزت الدراسة على مرحلتي الطفولة والمراهقة.

ولقد شملت هذه الدراسـة الأنمـاط المختلفـة للحيـاة الاجتماعية والإنسان والثقافة، حيث أُجرِيتْ دراسة مركـزة في عدد من المجتمعات المحلية، بحيث غطت الدراسة كـلا من نمط الحياة الحضرية (القاهرة) والقطاع الريفي (المنوفية والبحيرة والفيوم وسوهاج)، والقطاع الصحراوي (محافظـة مرسى مطروح).

وخلصت الدراسة إلى أن تشكيل الشخصـية المصـرية يتأثر في بعض جوانبه بما يتم من تلقين للطفل مـن خـلال عملية التنشئة الاجتماعية. ومن هذه الجوانب: الدين والقـيم الدينية، الانتماء للوطن، التماسك العائلي، القـيم المرتبطـة بالرجولة والأنوثة.

٥- علياء شكري وآخرون ١٩٨٥[٧]

هدفت هذه الدراسة إلى تناول عملية التنشئة الاجتماعية من حيث مدى انعكاس نمط عمالة الأم (المرأة) علـى هـذه العملية، ومن جهة أخرى تتبع الاختلافات في أساليب التنشئة طبقاً لاختلاف نمط العمالة.

ولتحقيق هذا الهدف اعتمدت الدراسة على المعايشة لمدة عام كامل لحالات البحث، وخلصت إلى أن هناك اختلافاً في

أساليب التنشئة الاجتماعية في كافة المراحل التي اهتمت بها الدراسة (ما قبل الولادة - الولادة - الطفولة - المراهقـة - ما قبل الزواج)، وهذه الاختلافات تأتي تبعاً للاختلاف في نوع المهنة التي تمارسها المرأة، أو التـي تشـغلها وحـدة المعيشة ومستواها التعليمي.

٦- نجوى عبدالحميد ١٩٨٦[٨]

استهدفت هذه الدراسة مقارنة أنماط التنشئة الاجتماعية في مجتمعين: أحدهما ريفي، والآخر بدوي. ولتحقيق الهدف استخدمت الباحثة المنهج الأنثروبولـوجي، واسـتعانت فـي تحليل المادة الميدانية وتفسيرها بالاتجاه النظـري التكاملي.

وتوصلت هذه الدراسة إلـى تبـاين أسـاليب التنشـئة الاجتماعية في المجتمع وفقـاً لتبـاين البنـاء الاجتمـاعي والاقتصادي والثقافي السائد. فالخصائص المميزة للمجتمـع الريفي تمنح عملية التنشئة الاجتماعية طابعاً خاصاً متميـزاً عما يسود في المجتمع البدوي.

وتتباين أنماط التنشئة السائدة داخل إطار الثقافة الفرعية البدوية (بدو خاص وبدو متريف) تبعـاً لتبـاين الأصـول السلالية ودرجة التمسك بالهوية البدوية. ومن جهـة أخـرى هناك اتفاق نسبي بين مجتمعات البحـث علـى أن الأسـرة (وحدة المعيشة) هي وحدة للعمل والإنتـاج. كمـا كشـفت

الدراسة الميدانية عن وجود اتفاق نسبي بين مجتمعات البحث في تدرج عملية التنشئة الاجتماعية وفقـاً للأسـس العلميـة (الملاحظة - المصاحبة - المزاملة - التقليد). كما أن هناك فروقاً ريفية وبدوية فيما يخص أساليب التنشئة الدينية.

٧- سهير حسين إبراهيم ١٩٩٠[٩]

استهدفت الدراسة توضيح أثر التحديث والتغيير بكل ما يشتمل عليه من مشروعات اقتصادية وسـياحية وخـدمات متنوعة على المرأة البدوية (منطقة الحمام)، ومدى انعكـاس ذلك على دور المرأة ومكانتها فـي المجتمـع، وعلاقاتهـا بالأبناء ذكوراً وإناثاً في فترة المراهقة، بالإضافة إلى تنـاول عملية التنشئة الاجتماعية من منظور دينامي.

ولتحقيق هـذا الهـدف اسـتخدمت الباحثـة المـنهج الأنثروبولوجي من المقابلة، والإخباريين لدراسة المجتمـع، والمنهج المقارن لتعرف الجوانب الثابتـة والمتغيـرة فـي عمليات التنشئة الاجتماعية، وما طرأ على النظم في المجتمع البدوي من تغير. وخلصت هذه الدراسة إلى أن عملية التنشئة هي عملية تعليم وتعلم تقوم على التفاعل الاجتماعي والـتعلم المباشر وغير المباشر.

٨- **مؤتمر استكهولم ١٩٧٢ والاهتمام بالبيئة**[١٠]

يمثل مؤتمر اسـتكهولم نقطـة البدايـة والاهتمـام

بالدراسات البيئية؛ فقد كان ضمن توصيات هـذا المـؤتمر ضرورة الاهتمام بالدراسات البيئية والتربية البيئية، وذلـك من خلال وضع مناهج وخطط دراسية عن البيئة ومشاكلها، وتدريسها في جميع المراحل التعليمية. ومنذ ذلـك التـاريخ تعددت الرسائل الجامعية(*) ما بين ماجستير ودكتوراه فـي تخصص المناهج وأصول التربية.

نخلص من هذا الاستعراض للدراسات السابقة التـي تناولت موضوع التنشئة الاجتماعية عامة، والطفل خاصـة، إلى عدم وجود دراسات تعرضت للتنشئة البيئية أو التثقيف البيئي، باستثناء الدراسات في علم المناهج وأصول التربية، وجميعها أخذت الطابع التعليمي في مؤسسات رسمية. أما ما نبتغيه في دراستنا الحالية فهو أن يتم هذا التعليم والتلقين من خلال مؤسسات التنشئة الاجتماعية في المجتمع. ولذا سوف تركز دراستنا الحالية على تنفيذ الخطة المقترحـة لتنشـئة

(*) نذكر منها على سبيل المثال:

- رسالة دكتوراه - ١٩٨١ - بعنوان " وضع برنامج لتنمية مفاهيم التربية البيئية في مناهج المواد الاجتماعية بالمرحلة الإعدادية فى مصر .
- رسالة ماجستير - ١٩٩٠ - بعنوان: " الوعي البيئي لدى طـلاب كليـة التربية ".
- رسالة دكتوراه - ١٩٩٦ - بعنوان " برنامج مقترح في التربيـة البيئيـة لطلاب المعاهد الفنية الصناعية في جمهورية مصر العربية ".
- رسالة دكتوراه - ١٩٩٨ - بعنوان: " تأثير برنامج مقترح للتربية البيئية لتنمية الاتجاهات البيئية لطلاب كليات التربية الرياضية ".

الطفل بيئياً من خلال مؤسسات التنشئة، وهـي: الأسـرة، الحضانة، وسائل الإعلام (خاصة: التليفزيـون)، وأجهـزة وزارة الثقافة المعنية بثقافة الطفل (مثلاً: مسرح الطفـل – قصص الأطفال – المتاحف).

المحور الأول: نموذج الرأسمالية والصناعة وتحول البيئة الطبيعية

يحاول هذا المحور إلقاء الضوء علـى قضـية الفسـاد والتدهور البيئي التي تجاوزت حدود غض البصـر، وبـات الحديث عنها في الآونة الأخيرة هو الشغل الشـاغل لجميـع البشر باختلاف أجناسهم وعقائدهم وانتماءاتهم الأيدولوجيـة، سـواء في الدول المتقدمة أو النامية. فنحن جميعاً نعيش في عالم واحد، وأصبحت عناصر البيئة من ماء وهواء ويـابس وما عليها من أحياء أصبحت رهينة التقـدم البشري النهم، وأسيرة الأنانية المفرطة، التي تميز بها الإنسـان فترة مـا من غياب إدراك مختل لعمل القوى الطبيعية وقوانينها، سواء عن عمد أو غيـر عمد.

وعندما أصبحت الكرة الأرضية بكل من عليها في قلق، تعالت أصوات الجميع إلى الحاجة الملحة للبحوث والدراسات العلمية الجادة لحماية البيئة والتصدي لحالات التدهور البيئي التي تفاقمت. ومع بداية عام ١٩٦٩ بدأ الـوعي والاهتمـام

المتزايد في المحافل الدولية والمنظمات العالمية كافة؛ للتصدي لظاهرة التدهور البيئي عامة، والمشاكل التى ترتبت عليها من تلوث وهدر بيئي خاصة (الأمم المتحدة - ١٩٩٢ - ١٣)[(١١)].

ويتبلور هذا الاهتمام في التحضير لمؤتمر استوكهولم الدولي الذي عقد في عام ١٩٧٢ عن بيئة الإنسان، حيث كانت الدول المتقدمة صناعياً هي أول من شعر بالآثار البيئية الناشئة عن تطبيق بعض التكنولوجيا المتقدمة؛ مما أدى إلى الاعتقاد بأن التنمية الصناعية والزراعية مسئولة عن المشاكل التي أصابت البيئة. (ك.م. ستنك - ١٩٩٠- ٢٧)[(١٢)].

(١) البيئة كمفهوم

يًقال إن أينشتين Einstein عرف البيئة بأنها "كل شيء عداي". وهذا القول المأثور يرمز إلى إحدى الخصائص البيئية المتاحة، فعلى خلاف أي كائن حي آخر فإن الإنسان يستطيع أن يرى العالم الطبيعي كشيء منفصل عنه. كما أوضح توينبي Toynbee أن للإنسان عقلاً سليم التفكير وروحاً عاطفية. وهذا يمكنه من ترتيب الأفكار وتصنيف المشاعر، كما يمكنه أيضاً من الاهتمام بشكل عاطفي بالخلاص والخوف مما يسلمه كميراث لأحفاده.

تعد البيئة كناية عن التناقضات الثابتة في الظـروف البشرية، كقوة سيطرة المسئولية، على الرغم من التزامهـا والسعي نحو التحسين المعالج بحساسية التواضع واحتكـار البيئة لتحسين ظروف البقاء، هذا على الرغم مـن النـداء العالمي للتنمية المستدامة وفردية الاسـتهلاكية والتضـامن الاجتماعي للمدينة الدولية. وتوضح هذه النقاط فـي كتـب أتكنسون ١٩٩١ Atkinson - إكرسلي ١٩٩٢ Eckersley- دكنز ١٩٩٢ Dickens - دوبسن ١٩٩٠Dobson - سـاش ١٩٩٣ Sachs .

وعبر التاريخ روضت التزايدات الإنسانية بمزيج مـن الحذر الواقعي والشعور بالـذنب المخيـف (Eckersley .R.) ١٩٩٢-٢٣[١٣]. وهناك مزيد من المراجع المتاحة حول هـذا الموضوع في سايمونز ١٩٩٣- ١٩٨٩-Simmons.

ولم يسبق لمنطقة التوازن أن كانت بمثل هذا الثبـات أو القصور على نقطـة واحدة، لم يعد التصادم التقليدي مساحة قتال بين المتطورين والمحافظين، الذي ميز الخلافات البيئية منذ أيام الفيلسوف الطبيعي الأمريكي الكبير جون مور John Muir حينما حـارب لحمايـة وادي Hetch Herely فـي كاليفورنيا. فالصراع الحقيقي الآن هو إعادة توحيد البشرية مع العالم الطبيعي؛ ليرتد العالم إلى ما وراء أي شيء يمكن للإنسان أن يبذله سيتمكن العالم الطبيعي من إزالة الكثير من

متطفليه، وإن كان يعدل تحويلاته التي يسـببها الإنسـان. وتكمن المأساة في أن الذين سيعانون هم الضـحايا ولـيس القائمون على هذا التحول.

البيئة الآن هي عملية الجمع بين العدالة الاجتماعيـة والبقاء العالمي، وعملية تكامل الحقوق المدنية مع الحقـوق الطبيعية، وعملية ربط كل العلوم مع العمليات السياسية التي تسعى لعمل الديمقراطية بشكل جيد.

يبدأ البشر الآن في إدراك مدى تفرد الحياة على سـطح الأرض، وتعد الأنظمة الكونية التي نحن جزء منهـا اليـوم نتاجاً لفرصة لا يمكن تصورها تقريباً. يبـدو أن للعمليـات البيولوجية والكيميائية والفيزيائية - التي على قـدر مـن التعقيد والتي تعمل على المحافظة على الحياة علـى سـطح الأرض - قدرة هائلة على التنظيم الذاتي مـع أي تصـميم خارجي واضح.

وأفضل تعبير عن هذه النقطة قـام بـه لفلـوك ١٩٩٢ Lovelock في رسالـة جايا Gaia Thesis. وتعد العالم الحيوي بشكل مبسط المنطقة التي توجد بها الحيـاة علـى سـطح الأرض، وتعرف جايا بنظام العمل الذاتي الذي انبثـق عـن التطور المتلازم للكائنات الحية والعناصر الماديـة والتـدفق الذي يحرك كلاً من الموارد والطاقة في شكل دائري حـول

العالم. وبمعنى آخر، فإن جايا هي فكرة علمية على قدر كبير من الخصوصية. فهي تستخدم بحثاً علمياً تقليدياً للكشف عن كيفية تفاعـل شـمولية العمليـات الفيزيائيـة والكيميائيـة والبيولوجية؛ للحفاظ علـى الظروف الضرورية لبقاء كافـة أشكال الحياة على سطح الأرض. ولا فناء ولا هدف للجايا، ولا يوجد بها مكان محدد للبشر، ويحفل تاريخ التطور بشكل غير منتظم ببقايا فصائل مفقودة وبعمليات الإزالة الإجماليـة للمساكن. وإذا كان لجايا أن تخبرنا بشيء، فإنه حتمية تكيف البشر للبقاء، وأن عملية التعديل هي جزء من شمولية العمل الذاتي، ولن تقوم الأرض بذلك بالنيابة عنا. (Adam Kuper and Jessica Kuper- ١٩٩٦ - ٢٥٠ - ٢٥١)[١٤].

(٢) إطلالة على بدايات الهدر والتلوث البيئي

بمطالعتنا لأدبيات التراث الأنثروبولـوجي، وبالتحديـد الدراسات حول البيئة، بإمكاننا تتبع نتائج التصرف البشـري بصفة دقيقة فقط من خلال ذلك النـوع مـن عـدم الـوعي بالأنظمة السالف ذكرها، فعلى سبيل المثال: قام الاسـتعمار الإنجليزى الجديد في القرن السابع عشر بتجريـد هضـاب الغابات من الأشجار للحصول على حطب الوقـود ولتـوفير مزيد من الأرض الزراعية؛ مما أدى إلى تعدد نتائج مثل هذه العملية. فبالنسبة للخدمات البيئية نلاحـظ فقـدان خصـوبة الأراضي، حيث أدى غياب جذور الأشجار المساعدة علـى

تماسك التربة في أعلى الهضاب إلى تعرية التربة. كما ارتبط ذلك أيضاً بانخفاض الترسيب والتأثير علـى جـودة التربـة المتبقية نتيجة لزيادة أشعة الشمس. وبالحديث عن المـوارد فقد أدى انخفاض معدل الغابات الواقية إلى الحد مـن عـدد الأراضي المتاحة للزراعة الهندسية، كما أدى إلى انخفـاض عدد الثدييات ذات الفراء والتي تلعب دورًا فعالاً بالنسبة إلى الاقتصاد. علاوة على ما سبق، فقد اتضح أن هناك نقصاً في عدد الغابات المحلية، وتم استخدام مصادر الخشـب بمعـدل يفوق بشكل كبير قدرتها على تجديد وتعويض ما يفقد منهـا. وأخيراً فقد كانت تلك الأمور بعيدة الأثـر علـى المجتمـع باعتبارها تحويلاً للبيئة الطبيعية (Riordam,١٩٩٤- ٢٠١)[١٥].

(٣) المدينة الحديثة وأشكال التلوث

تعد المدينة الحديثة بوجهيها: وجه يصور سمات التقـدم والتطور، ووجه آخر يتضمن أنواع التلوث البيئـي. فبينمـا تبغى المدينة الحديثة السير في طريق تغيير أساليب التصميم والإنشاء، والسعي نحو تفجير الطاقـات مـن أجـل البنـاء والتعمير، وسعى إنسان المدينة الحديثة إلـى رصـد جميـع إمكانياته المادية والعقلية صوب اسـتنباط الوسـائل الكفيلـة لإنقاذ أرواح ملايين البشر، وتطوير مفاهيم الحيـاة؛ لتكـون أكثر رفاهية، وأعظم يسرًا؛ بغية حل مشاكل البشرية، وتقديم كـل ما تستطيع من اختراعات؛ وذلك بهدف السـعي إلـى

تحقيق التحضر والتحديث بخطى سريعة. ولكن إذا بكل هـذا الذي يبدو أمام أنظارنا وفي عقولنـا أكثر جمـالاً ويحقـق بدوره حياة أيسر من حياة الأجداد (عبد المحسن – ١٩٨٥ - ٧٠٧-٧١٠) [١٦]، إلا أنه قد ثبت العكس، ولكن بعد فـوات الأوان. ذلك أن هناك علاقة سلبية، فكلما تقـدمت المدينـة، وزاد نشاطها، واتسعت مساحـ ـة طموحاتهـا، وتفجـرت طاقاتها، كلما زادت مشاكلنا. فعلى سبيل المثال، أحدث التقدم الصناعي والتكنولوجي الذي ترتب عليه استخدام عديد مـن وسائل الإنتاج الحديثة في المدن المتقدمة آثاراً بيئيـة بالغـة الخطورة تتمثل في التلوث البيئي الذي جهزه إنسان المدينـة الحديثة لنفسه ولغيره من الذين يعيشون بعيداً عـن المـدن، وأيضاً لتلك المخلوقات التي سخرت للإنسـان، فلقـد لـوث الإنسان هواءه وأرضه وماءه، ثم انتقلت عناصر هذا الهـدر إلى جسمه؛ لتتداخل مع جزئيات الحياة في خلاياه وأنسـجته، كما تسبب في تغيير العمليات الكيميائية التي تجرى بها حياة المخلوقات والمنظومة البيئية، ومن ثم أصبحت مشكلة التلوث البيئي واحدة من أخطر المشكلات التي تواجه إنسان العصر الحديث، وتكشف عن فشـل الجنس البشري فـي التخطـيط لبرامج اجتماعية وسياسية تهدف إلى اسـتفادة أكبـر مـن التكنولوجيا مع تلوث أقل (John Barry.١٩٩٩.P.٢١- ٢٣)[١٧].

(٤) مخطط تمهيدي عن النظرية الاجتماعية لأنتوني جيدنز

للبيئة

يقع اثنان من أهم المفاهيم التي قامت النظرية الاجتماعية بتطويرها؛ بهدف تعريف وشرح المجتمعات الحديثة في قلب ومركز الجدل الدائر حالياً حول البيئة، والمفهومان هما: الرأسمالية والصناعية، وأيتهما المسئولة عن تدهور البيئة في المجتمع الحديث؟ ولا يتضح رنين ذلك الجدل من خلال الجانب التاريخي؛ وذلك لاعتماد الخطط والسياسات التي ترتكز عليها لإدراك الأزمات الإيكولوجية مسبقاً على كيفية تحليلنا وفحصنا لأصولها.

وتنظر الأحزاب الخضراء في أوربا الغربية إلى الصناعة كمفتاح لفهم وشرح التدهور البيئي في ظل الاقتصاديات الرأسمالية، بالإضافة إلى اشتراكية ما كان يسمى بالاتحاد السوفييتي واشتراكية أوربا الشرقية بعد الحرب. ومن أجل ذلك دعت تلك الأحزاب إلى برامج تطوعية للتخلي عن الصناعية، بينما أرجع الماركسيون الجذور والهيكلية البنائية لذلك التدهور البيئي إلى نموذج الرأسمالية للإنتاج، حيث يتم تقديم الحل في صورة الطريقة المعتادة للاقتصاديات الاشتراكية.

وعلى الرغم من ذلك، فقد فشل الماركسيون في التوصل إلى تفسير مناسب يشرح قدرة اشتراكية الدولة على تحقيق

مستويات متعادلة من الفساد البيئي لا تمثل شيئاً بالمقارنة مع إجمالي الإنتاج العام. ويرى خبراء الاقتصاد البيئي الداعون إلى التوجيه الديمقراطي الاجتماعي والتحرري، أن أساس المشكلة هو الرأسمالية وليس ما يتعلق بالأسواق أو الملكية الخاصة لرأس المال. ويمثل عمل جيدنز Giddens نقطة البداية لتفسير تلك التناقضات والآراء المتضادة السالف ذكرها.

وبالرجوع إلى مقالات وكتابات جيدنز يمكننا أن نستخلص نموذجاً مختصراً يخدم معالجتنا لقضية الفساد أو التدهور البيئي. لقد اتسمت كتابات جيدنز Giddens بثلاث مراحل زمنية متداخلة:

أ- المرحلة الأولى

تبدأ مع أوائل السبعينيات من القرن الماضي، تميزت أعماله بمجموعة مقالات يستخدم ضمنها نماذج محورية تعبر عن النظرية الاجتماعية في القرن التاسع عشر مثل: الرأسمالية والنظرية الاجتماعية الحديثة Capitalism Modern Social Theory، والتي احتوت على تحليل مقارن بين ماركس Marx وفيبر Weber ودوركايم Durkheim. فيعترف جيدنز من خلال هذا العمل بالرأسمالية على أنها موضوع الدراسة الأولى للنظرية الاجتماعية، لكنه لم يطالب

مطلقا بإعادة النقاش حتى ولو بسيط للمادية التاريخية. فعلـى عكس ذلك، صرح جيدنز بوجوب إلقاء الضوء على كثير من ذلك التراث - وكذلك دوركايم والوظيفيـة - فـي حالـة مناقشة التطور التاريخي للرأسمالية الغربية وعمليات التغيـر الكبرى التى مرت بها. وقد أنجز ذلك بالفعل فـى مؤلفـه: "البناء الطبقي للمجتمعات المتقدمـة" The class structure of the advanced societies. كما قام جيـدنز بإعـادة تفسـير النماذج المختلفة للبنى الطبقية والصراع في عدة مجتمعـات رأسمالية واشتراكية، من خلال تقيـيم صـلاحية أو فعاليـة النماذج الماركسية للطبقات، ومـع ذلك فيختص أهم جـزء من الكتاب بتحليل التغيرات التاريخية في البنى الطبقية. فقـد انقسمت جميع النماذج الاجتماعية السابقة للرأسمالية إما إلى مجتمعات قبلية لا يتناسب معها التحليـل الطبقـي، أو إلـى مجتمعات طبقية التقسيم. وقد نجحت الرأسـمالية فقـط فـي التوافق مع حالة مجتمع الطبقات بشكل ملائم، وتلـك هـي الحالة التي كانت محور قوتها وتنظيمها المتفرد.

ب- المرحلة الثانية

أما المرحلة الثانية من أعمال جيدنز فقد بدأت مع نشـر كتابه: قواعد جديدة للمنهج فى علم الاجتماع(*) عام ١٩٧٦،

(*) صدرت لهذا الكتاب ترجمة عربية مهمة بعنوان: قواعد جديدة للمنهج فى علـم الاجتماع، أعدها محمد محيى الدين، وراجعها محمد الجوهرى، وصـدرت ضـمن

حيث تم التركيز من خلاله على سلسلة متكررة من مشـاكل النظرية الاجتماعية كنظرية المعرفة والمنهاجية والعلاقة بين البناء والقوة. وقد قام جيدنز بالفحص النقدي للتراث الـوفير المتاح عن علم الاجتماع التفسيري، كما قام بتحليل الشرعية التوظيفية للنظرية الاجتماعية، حيث تم رفـض كـل مـن المشاريع المعرفية التفسيرية، سـواء الإيجابيـة أو السـلبية الخاصة بالعلوم الطبيعية. كما قام بإعادة النظر تجـاه حـل بارسونز Parsons لمشكلة النظام. وعلى الرغم من الطلبـات الملحة لكتاب "الرأسمالية والنظريـة الاجتماعيـة الحديثـة Capitalism modern social theory"، فقـد أصـبح الركيـزة الأساسية في مشروع البحث النامي لجيدنز، وهـي بمثابـة إحدى المحاولات لإصلاح التوازن بين الفرد والمجتمـع أو بين البناء والقوة، ضمن تحليل السلوك الاجتماعي. عـلاوة على ما سبق، فقد طالب جيدنز برقـي الصـيغ التحديديـة الناجحة في استخراج العامل البشري الواعي مـن سـطور النظرية الاجتماعية، كما طالب أيضـاً باسـترداد الطبيعـة المفيدة والمصممة للسلوك الاجتماعي؛ مما أدى إلى ظهـور نظرية جيدنز المسماة بالتشكيل البنائى Structaration. وفـي الثمانينيات من القرن الماضي رجع جيـدنز إلـى الأسـاس الجوهري للمجتمعات التاريخية الحقيقية، حيث نشـر بـذلك

المشروع القومى للترجمة، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، ٢٠٠٢.

النظرية الجديدة الداعية للتشكيل البنائى، مـن خلال مقابلـة نقدية مستمرة مع المادية التاريخية.

ج- المرحلة الثالثة

اختصت بتنحية الرأسمالية المتفردة تاريخياً عن كونهـا الموضـوع الأول فـي النظريـة الاجتماعيـة الحاليـة، والاستعاضة عنها بالحداثة modernity وتنظيماتها الإنشائية، والتغيرات التي تتعرض لهـا الحيـاة اليوميـة، والهياكـل الاجتماعية تحت تأثير المخاطر. كما قام جيدنز بنقد ماركس في عديد من كتاباته عن الماديـة التاريخيـة Contemporary Critique of Historical Materialism، إلـى جانـب تحـدي المعتقدات الرئيسية للمادية التاريخية. ليس هذا فقط، بل قـام بتطوير نظرية اجتماعية شاملة وبديلة تعتمـد علـى نفـس الأساس.

وإنه لمن الحكمة أن يقوم بتحديد مجال مثل تلك الأعمال الثرية جيدنز في صور أهداف أساسية، هي:

الأول: عارض جيدنز جميـع النمـاذج الإنشـائية للتطـور الاجتماعي أو التفسير التاريخي. وقد اتضح ذلك من خـلال نظريته عن اللاستمرارية، ومن خلال تفسـيره للمسـارات المتعددة المختلفة والخاصة بالتنمية الاجتماعية.

الثاني: قام برفض أي نظرية باطنية عن التطور الاجتماعي.

كما أكد على أهمية العلاقة بين النماذج الاجتماعية المتعـددة في مختلف الأزمنة والأمكنة.

الثالث: أثرى عمله السابق عن النماذج الاجتماعية الأصـلية بواسطة الأخذ في الاعتبار بعنصري المكان والزمـان عنـد تأسيس البناء الاجتماعي، بالإضافة إلى طبيعة المدن وأهمية الدولة المؤيدة للحكم المطلق أو القومية في صياغة الرأسمالية الغربية. ونتيجة ذلك التحليل، قام برفض التصور التكنولوجي والاقتصادي عند تفسير أصول الرأسمالية وبقائها رفضاً تاماً.

وينظر جيدنز للحداثة باعتبارها مزجاً مميـزاً لأربعـة أنظمة بنائية، هي: (الرأسمالية، الصناعية، المقاطعة، القـوة الفكرية). كما أسهم المسار النظري لدى جيدنز بـأن جعلـه يأخذ في الاعتبار الأصول البنائية التاريخية للتدهور البيئـي في المجتمعات الحديثة. فالصور الخارجية تؤكد على تأثيرات ارتفاع معدل الاهتمام بالبيئة فـي الثمانينيـات مـن القـرن الماضي على أعمال جيدنز، بالإضافة إلى تـأثر الـدلالات السياسية الخاصة بالتغيرات البيئية العالمية في تشكيل أحـد العناصر الهامة لبرامجه ومخططاته السياسية، ولكن المنطق النظري النامي لأعماله سمح بـإبراز مناظرتين هـامتين ومترابطتين:

الأولى: تصريح جيدنز بأن المزج بين الرأسمالية والصناعية

هو المسئـول الأول عن التدهور البيئي الحديث، ثم إعـادة تقييم الأصول المسببة للتدهور البيئـي عند تحويل دراسـته عن الرأسمالية وتوجيهها للحداثة.

الثانية: بالاستناد إلى نظرية اللااستمرارية، فقد صرح جيدنز بإعلان المجتمع الحديث عن التحول الكامل الإجمالي للطبيعة مهما كانت الأسباب الدقيقة والمعبرة عن التـدهور البيئـي، ويختلف بذلك المجتمع الحديث عـن المجتمعـات البشـرية السابقة في عدم إمكانها التعبير عن ذلك. (David Goldblatt, ١٩٩٩, ١٥-١٨)[١٨].

(٥) البيئة الطبيعية باعتبارها مجموعة من الأنظمة

يتكون النظام البيئي Ecosystem مـن عناصـر حيـة وأخرى غير عضوية، مثل مجموعة من النباتات والحيوانات من عصور معينة، بالإضافة إلى الكائنـات الدقيقة والتربـة والنماذج الجيولوجية والماء والهواء. ولكـن تواجـد تلـك العناصر في صورة ارتباط ديناميكي بين بعضـها الـبعض يخلق هذا النظام، ويلغي فكرة مجرد وجودها كعناصر حية، فمثل تلك العناصر يتم ربطها ببعضـها الـبعض بواسـطة شبكات الغذاء والدورات الهيدرولوجية والمعدنية، علاوة على دورة الطاقة. وعموماً توجد تلك العناصر في حالة متغيـرة

من التدفق، من حيث صعود وهبـوط مسـتويات السـكان، وتحرك المفترسين نحو الفريسة، وازدياد وانخفاض أعـداد الطفيليات. ويمكن تغيـر الأنظمـة حـول نقطـة التـوازن الديناميكي، من خلال تنوع أسـاليب الدراسـة الإحصـائية للسكان، بينما يمكن أن تتعرض أنظمة أخرى لتحولات عميقة عبر العصور، فمثلاً بإمكان الأشجار البطيئـة التطـور أن تصبح مروجاً خالية من الحرائق، أو تصبح إحدى الغابـات عندما تنمو وتزدهر فيها النباتات والحيوانـات لهـا نفـس الوضع. كما يمكن أن تتغير قدرة الأنظمة المختلفـة علـى الإبقاء على الصدمات والتغييـرات. (Eckersley ١٩٩٢-٢٣)[١٩].

وقد تتضمن متطلبات المجتمعات التي تفرضـها علـى البيئة مصادر الطاقة الجديدة والمتجددة، بالإضافة إلى بعض المواد الخام من أمثال: الوقود الراجع إلى بقايا الحفريـات، بالإضافة إلى بعض المواد الخام. كما تقوم البيئـة بإمـدادنا بأنظمة جوهرية تمكننا من البقاء على قيد الحياة، مثل الجـو الذي يسمح بالتنفس والسيطرة على بعض الأمراض والأوبئة والاستقرار المؤكد للمناخ، فضلاً عن الدورة الهيدرولوجيـة. وفي النهاية فإن البيئة تقدم بعـض الخـدمات الاقتصـادية للمجتمعــات، مثــل امتصــاص التلــوث وخصــوبة الأرض.(Eckersley ١٩٩٢-٢٩)[٢٠].

(٦) الرأسمالية والصناعية والتحويلات البيئية

والسؤال المطروح الآن على الساحات الأكاديمية؛ بهدف تعريف وشرح دور المجتمعات الحديثة في قلب ومركز المناظرة البيئية الحالية وموضوعها: هل الرأسمالية والصناعية مسئولة عن التدهور البيئي في المجتمع الحديث؟

يمكن القول عموماً أن التراث السوسيولوجي قد كشف الستار عن أن صدى ذلك الجدل لا يتضح من خلال الجانب التاريخي؛ وذلك لاعتماد الخطط والسياسات التي نعرضها – بغية التعرف مسبقاً على الأزمات الإيكولوجية – على كيفية تحليلنا وفحصنا لأصولها. وتنظر الأحزاب الخضراء في أوروبا الغربية إلى الصناعية كمفتاح لفهم التدهور البيئي وشرحه في ظل الاقتصاديات الرأسمالية، بالإضافة إلى اشتراكية ما كان يسمى بالاتحاد السوفييتي واشتراكية أوربا الشرقية بعد الحرب.

ويقول جيدنز: دعت تلك الأحزاب إلى برامج تطوعية للتخلي عن الصناعية، بينما طالب الماركسيون بتعديل الجذور البنائية لذلك التدهور البيئي في ظل النموذج الرأسمالي للإنتاج، حيث يتم تقديم الحل في صورة الطريق المعتاد للاقتصاديات الاشتراكية. وعلى الرغم من ذلك، فقد

فشل الماركسيون في التوصل لتفسير مناسب يشـرح قـدرة اشتراكية الدولة على تحقيق مستويات متعادلة مـن الفسـاد البيئي لا تمثل شيئاً بالمقارنة مـع إجمـالي الإنتـاج العـام (Marray Boockchin, ١٩٩٨)[٢١].

ويرى خبراء الاقتصاد البيئي الداعون إلى التوجيـه الديموقراطي الاجتماعي والليبرالى أن أساس المشـكلة هـو الرأسمالية وليس ما يتعلق بالأسواق أو الملكية الخاصة لرأس المال. وعموماً سنجد عبر السطور القادمة أن عمل جيـدنز يمثل نقطة البداية لتفسير تلك المتناقضات والآراء المتضاربة السالف ذكرها حول التـدهور والتلـوث البيئـي. (David Goldlatt, ١٩٩٩, ٢١)[٢٢].

(٧) اشتراكية الدولة - الصناعية - التدهور البيئي

إن إمعان النظر في قضية التـدهور والتلـوث البيئـي يجعلنا لا نتجاهل أو نغض الطرف عـن المناقشـات التـي طُرحت على الساحة العالمية لحسم هذه القضية.

فيشير ديفيد جولدبلات David Goldblatt أنـه فـي أي مرحلة من مراحل الحوار والنقـاش لا يمكـن أن نتجاهـل مناقشات وتقارير جيدنز الخاصة بالتدهور البيئي. ففي كتاب "نتائج التحـديث consequences of modernity" قـام جيـدنز بالتأكيد على اعتبار الصناعية السبب الرئيسي للتدهور البيئي الحالي، ولكنني أعتقد أن بإمكاننا حالياً عدم إلقاء المسـئولية

كاملة على عاتق الصناعية فقط، مع استثناء المشاكل المتعلقة بالحفريات غير المفيدة واستخدامات الوقود. فعنـد فحـص موقع الصناعية بالسجل البيئي الخاص بالعـالم فـي وقتنـا الحاضر، نجد أن جيدنز قد أخطأ بشكل مباشر وبنائي، كمـا تقمص دور الرأسمالية والدراسات الإحصائية، بالإضافة إلى السياسة، بينما قد ترجع مسئولية الصناعية عـن الزيـادات الفعلية والكمية في معدل التدهور البيئي إلى عدة أسباب:

- إبرازها لموارد هائلة من الطاقة الطبيعية السهلة.
- صعوبة أنماط الإنتاج الميكانيكي وقوتها التحويلية.
- توليد عناصر خارجية(*) جديرة فعالة وقوية.

من أجل ذلك تقوم الصناعية بتغيير وتحـوير الأسـاليب التي تتفاعل عن طريقها المجتمعات الحديثة بشكل مباشر مع البيئة. ومع ذلك يرتبط تحقيق مثل تلك الظـواهر أو جعلهـا أكثر واقعية بعدة شروط، فلا تعنى القدرة التكنولوجية علـى التخلص من قطاعات كبيرة من الغابـات أو علـى إهـدار خصوبة التربة وقيـام الفرد بفعل ذلك بصورة آلية. وربمـا تقوم الصناعية بالإمداد الكامل بالقـدرة علـى مثـل تلـك التغييرات، لكن تكمن الحقيقة في حديث أحد المعلقين علـى التكنولوجيا بأنها " تفتح الأبواب " لذلك فقط لا غير.

(*) يقصد بالعناصر الخارجية externalities تلك التى تؤثر على التكلفة والربح.

وعلى المحور الآخر يعتقد جيدنز أيضاً أن الصناعية لا تعطي تفسيراً واضحاً للقـدرة الديناميكيـة للحداثـة، بينمـا بإمكانها تحديد بعض خصائص للمجتمع الـذي تنتشـر بـه (تقسيم العمالة – العلوم التطبيقية...إلخ) بالإضافة إلى قدرتها على تحديد خصائص التدهور البيئي ومستوياته.

ويـؤكـد " ديفيـد جولـد بـلات " أن أحـدث أعمـال جيدنز فـي تلك القضيـة ما هـي إلا خطـوة للـوراء، حيـث تحليلـه الأول فـي "العنـف والدولـة القوميـــة" (The Nation- State and Violence _ pearce,D,W.and Turnes,١٩٩٠ - P.٢٥٣)[٢٣] الذي شرح من خلاله سبب التدهور البيئي المتمثـل فـي الانـدماج بـين الصناعية والرأسمالية.

وعلى الرغم من ذلك فإنه إذا كانت مسئولية الصـناعية عن التدهور البيئي مشروطة، فقد كان جيدنز علـى حـق – فعلاً – في حديثه عن التجاذب الاختيـاري بـين تطـوير الرأسمالية وظهور الصناعية. فلم يكـن ظهـور الصـناعية ممكناً دون التعرض لأنواع التغييرات العديدة في المجتمـع الإنجليزي والتي تسببت فيها الرأسمالية، مثل نقص المـوارد والعمالة المتنقلة والثقافة العلمية المتزايدة وما إلى ذلك (John Barry- ١٩٩٩- ٣٠)[٢٤]

ولكن عند الحديث - بالاستناد إلى المنظور البيئـي - نجد أن الصناعية باعتبارها سبباً "بنائياً" لم تمنع الرأسـمالية الإنجليزية من إظهار أوجه القصور العضوية، والتي تسـبب فيها الدمار البيئي، وبصورة تناقضية تسهم تقنيـات الإنتـاج الصناعية بدور فعال في زيادة الندرة الاقتصادية الرأسـمالية ومعدل النمو العمراني الحضري والسكانى. وبهذه الطريقـة تساعد الصناعية على زيادة قدرة الرأسـمالية علـى إنتـاج عناصر خارجية Externalities وعلى تجاوز قصور الأنظمة ومحدودية الموارد. فطالما تلعـب خصـائص الرأسـمالية الإنجليزية دوراً هاماً في إبراز الصناعية، فمـن المؤكـد أن يتم تناول الصناعية ذاتها في ظـل الاضـطراب التراكمـي الشديد.

فضلاً عن ذلك لا تزال قضـية الاشـتراكية والعلـوم ظاهرة في الأفق. ويتضـمن تحليلـي الخـاص متطلبـات الصناعية مثل تنمية العلوم النظرية، كما يتضمن أهمية تناول البيئة باعتبارها أحد العوامل المؤثرة علـى مجـال ومـدى التأثيرات البيئية على المجتمـع. ولعلنـا مازلنـا نـزعم أن الصناعية هي السبب البنائي وليس المباشر المسـئول عـن التدهور البيئي. كما تتضح الآراء التى تؤكد على تواجد صلة ثقافية بين العلوم والاتجاهـات النافعـة لكـل مـن العـالم الاجتماعي والطبيعي. وتعد مثل تلك الاتجاهات بمثابة التمهيد

التقديمي للرضا بالتدهور البيئي في المجتمعات الصـناعية. ومع ذلك فلا تستحوذ المجتمعات الصناعية فقط علـى تلـك الاتجاهات الآلية التي تمثل بالطبع القاعدة الأساسية التاريخية وليس أحد الجوانب الاستثنائية.

وتنظر قلة من المجتمعات إلى العالم الطبيعـي نظـرة قاسية وحشية، مثل ما حدث بالفعل مع أوروبا فـي الفتـرة السابقة لظهور الصناعة. وهنا يبقى لدينا سـؤال: مـا هـي العوامل الأخرى التي تجعل الحس الثقافي فـي المجتمعـات الزراعية قريباً من موارد الرزق، وتجعلـه أيضـاً متـأثراً بتقلبات التربة والمناخ؟

وعلى المستوى الآخر يؤكد دوبسـان Dobsan – كمـا تعبر ملاحظات جيدنز عن السياسة – فإنه من الأمور المثيرة للدهشة عدم تشييد المجتمعات الرأسمالية للعوائق التي تمثـل إحدى العثرات في طريق التوقف عن اهتمـام المجتمعـات الرأسمالية بكبح هذا الاندفاع فى طريق الدمار البيئي، وعدم سيطرة الاتجاهات الآلية الخاصة بالعـالم الطبيعـي علـى المجتمعات الصناعية. فعلى النقيض تقوم السياسـة البيئيـة والمجتمعات الصناعية، بالإضافة إلى الثقافات العلمية، بترديد الكلام عن جمال الطبيعة الأخلاقي الفني. وفي الحقيقة يقـوم العلماء بوضع ملامح الرواد الثقافيين لكل مرحلة حضـارية، تماما مثل هؤلاء الذين يكتبون مـن منظور نقـدي عميـق

خاص بالعلوم، وتظل هناك صورة قاسية تشوب المناظرات والآراء عن الصناعية.

وعلى المستوى الأكثر رحابة، فإذا اعتبرنا الرأسمالية – اقتصادياً وسياسياً – بمثابة القوة البنائية الرئيسية المسببة للتخريب البيئى في مجال الصناعة، وإذا اعتبرنا الثقافة العلمية بمثابة أحد العوامل الثقافية الغامضة التي تشجع على الصناعية؛ فكيف يمكن لمثل ذلك التحليل إلقاء بعض الضوء على السجل البيئي الخاص بالاقتصاديات الاشتراكية في الفترة ما بين الأربعينيات وحتى الثمانينيات من القرن العشرين.

وهنا يثار سؤال: ما هي الجهات المسئولة في المجتمع عن توجيه النمو الديموجرافي والاقتصادي نحو أحد الاتجاهات إيكولوجياً (Dobson, A.١٩٩٠, ٣٠-٣٥)[٢٥] ؟

في الحقيقة، قامت اشتراكية الدولة بتحقيق الصناعية ثم توجيهها نحو أحد الاتجاهات الخاصة. وعلى الرغم من سيطرة الملكية العامة بشكل ملحوظ في اقتصاديات الاشتراكية، فقد كان الاهتمام الأساسى موجهاً نحو رفع مستويات الإنتاج المادي. ولم يكن الحافز هنا هو مجرد المصلحة الفردية أو الديناميكيات الخاصة بدور الاستثمار والأرباح، بل كان الاتجاه المنظم سياسياً بهدف التصنيع

الاقتصادى. وتتضح الطبيعة الحقيقية للمجتمعات في الفتـرة التي سبقت ظهور الصناعة بها من خلال أوجه متعددة، مثل الضعف العسكري والسياسي المقـارن لمثل تلك المجتمعات والفقر البائس الدائم الذي كان نسبياً ومطلقاً، وشمل الأغلبيـة العظمى من السكان. ومن أجل ذلك، فقد تم اعتبـار النمـو بمثابة المفتاح لمشكلتين سياسيتين محليتين:

أولاهما: إرضاء المتطلبات العامة بتحقيـق مسـتويات أفضل من الحياة بالمقارنة مع الغرب.

ثانيتهما: تحقيق الأمان من خـلال تبنـى المسـتويات الغربية الخاصة بالانتشار العسكري.

ومن جهة أخرى، فقد نجحت تلك الأنظمـة الاقتصـادية بالفعل في:

- الزيادة الكمية للمنتجات الصناعية ورفع مستواها.
- اقتصار الاستيراد علـى التجـارة البينيـة بـين جمهوريات الاتحاد السوفييتي.
- الحفاظ على ارتفاع مستوى الإنتـاج الزراعـي؛ ليصبح قادراً على كفاية تزايد السكان الحضريين.

ويظل هناك سؤال: ما السبب في فشل الاقتصاد الذي لم تعقْه مشاكل الرأسمالية عن كبح جماح نتائج الصناعية التي سـبق

وأنشأها؟ وتتبـادور الإجابـة في الاستناد إلـى الرأسـمالية بوجهيها الاقتصـادى والسياسـى معـاً -Antony Giddens) (١٩٩٩-٥١ [٢٦].

٨- دور القـوى السياسـية والتغيـرات الديموجرافيـة والاقتصادية في التدهور البيئي

تشير جميع الشواهد إلى التأكيد علـى أهميـة غيـاب السيطرة السياسية في اتخاذ القرارات الاقتصادية، فإنه مـن المتوقع أن اتباع المجتمع لمثل ذلك الأسلوب يرجع إلى سعيه وراء تنظيم السياسة الاقتصادية بعيداً عن التهديدات البيئية.

ومع ذلك فإنه من الواضح أن متطلبات النمو الاقتصادي والأمان العسكري قد خطفت الأضواء من الحاجـة للتقيـيم والأخذ في الاعتبار بالتكاليف البيئية الحالية والمستقبلية، على الرغم من السيطرة السياسة على ميكانيكية التسـعير وعلـى قرارات الاستثمار، وعلى الرغم من ملكيـة الدولـة للبنيـة التحتية الصناعية.

ومن جهة أخرى، فدائماً ما اعتبرت أنظمـة تخطـيط الاقتصاديات الاشتراكية الإنتاج بمثابـة المعيـار الأساسـي للنجاح. وبهذه الطريقة فقد اتضح الهدف من تواجد مثل تلك البواعث الاقتصادية الإيجابية، ألا وهو زيادة الإنتاج، ممـا يفسر طريقة إتاحة الحوافز للإدارة والعاملين. وتحمل تلـك

البواعث الإيجابية القليلة لزيادة الإنتاج أهمية كبيرة، خاصـة مع إبراز عدم كفاءة الأنظمة في تحقيق التوازن بين العرض والطلب، وفي تشجيع الابتكارات في استخدام العمالة بصورة إنتاجية، بالإضافة إلى تأمين الجودة. وعلى نقيض ذلك، فقـد انخفضت المطالبة بتقليل التأثيرات البيئية في عملية الإنتاج، وكذلك الاهتمام بتفسير خطط الاستثمار الرأسمالي. فلم تعـد السياسة ذات تأثير واضح على الحد من النتائج البيئية للنشاط العسكري. فنمو الجيش السوفييتي والأساس الصناعي الضخم الذي تميز به ونزعته تجاه التخريب البيئي، كل ذلك سـاعد على اتساع سيطرة الجيش تمامـاً، مثـل السـيطرة علـى الاقتصاد الحضرى.

إن ملكية الدولة للموارد العامة تساعد بشكل فعال علـى استخدامها بصورة متزايدة، دون أن تؤخذ فـى الاعتبـار المصالح العامة والمستقبلية. وقد تسبب ذلك في بروز إحدى المشاكل من خلال غياب الإيجارات المناسبة للأراضي التي تستغلها شركات التعدين، فلم تتمكن تلك الشركات من زيـادة سعر المنتجات، خاصة مع ازدياد تكاليف الاستخراج. ولهذا فقد كان هناك مسار محدد تتبعه تلك الشـركات لاسـتخراج الموارد حتى الوصول لمرحلة التوافق بـين تكـاليف ذلـك الإنتاج وتكلفة البيع. ولعدم قدرة الشركات على زيادة سـعر التكلفة؛ فقد كان من المنطقي اقتصادياً الانتقـال مـن أحـد

قطاعات التعدين المستخدمة بشكل جزئي إلى قطاع آخر؛ مما أدى إلى تدمير أكبر وأكبر من الأراضي.

يتضح مما سبق أن نظام التسعير فى دنيا الاقتصاد لـم يكن يخضع للاعتبارات الصديقة للبيئة، وإنما كان يخضع فى المقام الأول لاعتبارات اقتصـاد السـوق. وربمـا تتسـبب الأسعار المحددة بشكل روتيني في مشـاكل بيئيـة كبيـرة، خاصة مع انفصالها عن حقائق العرض والطلب بالاقتصـاد الحقيقي. ومن جهة أخرى فقد أسهمت الإعانات المالية للطاقة الشاملة بأوروبا الشرقية في إنتاج مسـتويات غيـر كـفء لاستخدام الموارد. بالإضافة إلى ذلك فقد أدى الفشـل فـي تسعير المواد الخام بشكل تراكمي إلى إعاقة حركة الصناعة بالاتحاد السوفييتـي، واسـتخدامه لأسـس ربحيـة غيـر اقتصادية؛ نتيجة لعدم سـداد تكـاليف منتجـات الأخشـاب الضائعة (Antony Giddens ,١٩٩٩, ٧٠-٧٣)[٢٧].

ومن ناحية أخرى، يشير أتكنسن Atkinson إلى أنه يجب توجيه اللوم أساساً إلى الأنظمة القانونية والسياسية الخاصـة بالمجتمعات الاشتراكية. فمنذ بدء ظهورها (مع أنه كان هناك بالفعل جانب كبير من التشريع السوفييتي يخـتص بـالتلوث والصيانة) لم تتمتع القوانين بنفس القوة والنشاط اللتين اتسمت بهما أهداف الإنتاج؛ فقد كانت العوائق القانونية التى تحـول دون التعدى على البيئة ضعيفة. أما الغرامات التي كان يـتم

فرضها على المتسببين في التلوث، فقد كانت أقل من حوافز زيادة الإنتاج؛ مما أدى إلى سهولة تسـديد الغرامـات مـن مكافآت الإنتاج المتزايدة. وعلى أية حال، فقد كان يتم تنفيـذ التشريعات البيئية بصورة متلكئة وضعيفة فقط مـن خـلال الهيئات المسئولة. ويقودنا هذا الوضـع إلـى فهـم السـبب السياسي الرئيسي للمشكلة (Atkinson ,١٩٩١،٣٠)[٢٨].

ومن الواضح أنه لم يكن في مصلحة الصفوة السياسـية لتلك المجتمعات إثقال الصناعات التي تعتمد عليها للسيطرة على عناصر التكلفة الخارجية دون مراعاة لمصالح الأجيال القادمة. ولذلك قامت تلك المجموعات باتخـاذ مثـل تلـك القرارات الجائرة. وتبرهن بعض الدراسات عـن السياسـة البيئية للاتحاد السوفييتي على قيام المسـئولين السياسـيين باتخاذ تلك القرارات البيئية - وليس البيروقراطيـون هـم الذين قاموا بذلك – بعيداً عن قانون البيئة أو عن إنشاء أيـة هيئات بيئية.

٩- الحضرية والعـولمة والسياسة البيئيـة: Urbanism ,Globalization and Environmental Politics

خلصنا من تحليلنا السابق إلى إلقاء الضوء على الـدور الذي أسهمت به كـل مـن القـوى السياسـية والتغيـرات

الديموجرافية الاقتصادية في تسهيل التدهور البيئي وتأخيره. والآن نحاول أن نخطو بهذا التحليل نحو مجال أوسـع مـن خلال اتجاهين، هما:

الأول: البعدان الزمني والمكاني للتدهور البيئي.

الثاني: محاولة الكشف عن الظروف التى تساعد الحركـات السياسية على الحد من التدهور البيئي.

ولكي ننجز مثل هذا التحليل يلزم فحص آراء وتحليلات أنتوني جيدنز عـن الحضرية والعولمة، التى قدمت تفسيرات مختلفة عن السياسية البيئية. فقـد قام جيدنز بـالتمييز بـين نوعين من أنواع التغيير البيئي:

الأول: التأثير المادي الخاص بـ " تحويل البيئة الطبيعية ".

الثاني: التأثير الثقافي الحضاري للعيش في " بيئة اصطناعية ".

وقد عزا جيدنز سبب تحويل البيئة الطبيعية إلى الدمـج بين الرأسمالية والصناعية، إلا أنه عاد وجعل الصناعية هى المسئولة وحدها عن ذلك. وظهر ذلك التحول المفاجئ فـي وجهة نظـر جيدنز من خلال تجربة البيئية الاصـطناعية؛ مما يبرهن آراءه التفسيرية المتغيرة عن المدينـة والعولمـة والسياسة البيئية. ولعل التأكيد الثقافي في مناقشته عن البيئـة

الاصطناعية قد قاده إلى التقليل من دور النتائج البيئية المادية الخاصة بالمدينة الحديثة، بينما قد قاده التغيير المستمر في آرائه إلى عدم تصديق تفسيراته عن التغييرات الثقافية التي يتم تسجيلها. علاوة على ذلك، فإنني أرى أن تحليله عن المدينة ينأى به عن الوعي المكاني التام بالتدهور البيئي، وقد استعاض عن ذلك بشكل جزئي بتحليلاته عن العولمة. (Globalization, David Goldblatt , ١٩٩٩, ٤٨-٥٤)[٣٠].

١٠- البيئة الاصطناعية والمدينة والمكان

لقد أبرزت معظم كتابات جيدنز طوال العقد الماضي أهمية الدمج بين التنظيم المكاني للعمليات الاجتماعية والنظرية الاجتماعية، كما كان يؤكد على دور علم الاجتماع الحضري المهم فى إبراز أهمية التنظيم المكاني. وفي الواقع، يقوم جيدنز بالكشف عن البعد المكاني للعمليات الاجتماعية من خلال ربطه بجانبين أساسيين: النتائج المكانية والثقافية للتحويل من الجانب الاجتماعي إلى تكامل الأنظمة، بينما يختص الجانب الثاني بالانقطاع الاجتماعى بين المدينة الحديثة والمدينة في فترة ما قبل التحديث. وهكذا ترتبط العناصر الجغرافية في أعمال جيدنز بشكل وثيق، مع مناقشته التحليلية للتجربة الثقافية الحضارية للمدينة.

١١- المدينة والصناعية والرأسمالية

نخلص من التحليل السابق للأسباب المؤدية للتدهور البيئي أو المساعدة عليه من وجهة نظر جيدنز إلى بزوغ بعض الآراء الجديدة، وهي على النحو التالي:

١- يعزو وجود البيئة الاصطناعية إلى الصناعية؛ بسبب قدرتها على تحويل العالم الطبيعي.

٢- في نطاق البيئة الاصطناعية، يقسم جيدنز تقسيماً مفاهيمياً فرعياً بين البيئة الإنشائية العمرانية والبيئة الاصطناعية اللاعمرانية.

ولعل ذلك الجدل يثير قضيتين هامتين:

الأولى: مدى مسئولية الصناعية أو الرأسمالية أو تأثيرهما معاً على خلق البيئة الاصطناعية الحديثة وعلى القضاء على التراث الحضرى التقليدى.

الثانية: مدى الدور الذي تلعبه المدينة كوسيط في العملية السابقة.

وفي نفس الوقت ينبغي تقديم النتائج المثمرة لتلك المناقشات والتحليلات من خلال تفسير أصول التدهور البيئي وجغرافية الحركات البيئية، على عكس ما قيل سابقاً عن مسئولية الصناعية فقط أو مسئولية الصناعية الرأسمالية

الحضرية، باعتبارهما وسيطاً في البيئة الاصطناعية. وقـدم جيدنز تفسيرًا مقنعاً عن مسئولية الحكومـات عـن تفكـك وانحلال المدن ذات المستويات الطبقية المتعددة، وذلك بفضل القوة التي تتمتع بها. وعلى الرغم مـن التحـذيرات، فـإن عمليات دعم الرأسمالية للصناعية كانـت بمثابـة العوامـل المسئولة عن الطبيعـة الانعزالية للريف وعن قـوة المـدن الاصطناعية.

ولا يعني ذلك صحة آراء جيدنز الأولية، ولكن يعنـي تقديم آراء بديلة معقولة عن أصول البيئة الاصطناعية وعن تحول العلاقة بين المجتمعات والبيئات الطبيعية وعـن فنـاء التقاليد. بالإضافة إلى ذلك، فلم يزل يفسر ما يميـز البيئـة الاصطناعية للمدن الحديثة عن أي موقع مكاني آخر بـداخل الدول الحديثـة. وربما يكـون ذلـك الانهيـار الحضـري العمراني للمجتمعات متعددة الطبقات في البيئة الاصـطناعية للمجتمعات الحديثة بمثابة التحليل الدقيق للبنـاء الجغرافـي لتلـك المجتمعات. وفي حالة كونه كذلك، فإننا نسـتند إلـى مزاعم جيدنز الخاصة بالمدينة العمرانيـة، وبأهميـة علـم الاجتماع الحضري وكل قوى نقدية فى هذا المضمار.

ومن أفكار جيدنز الأساسية أن المدينة الرأسمالية هـي الموقع الفيزيقي الحقيقي للتحويل التام من المكـان الطبيعـي إلى المكان الاصطناعي، ومن هنا تظهر أهمية علم الاجتماع

الحضري. (الذي يهتم بدراسة العلاقات البشرية داخل البيئة الاصطناعية) (Antony Giddens,١٩٩٩،٥٢-٦٢) [٣١].

الخلاصة

قدمنا خلال العرض السابق تحليلاً لأربعة جوانب من أعمال جيدنز، وهي:

١- أهمية الإدراك المكاني للعمليات الاجتماعية بشكل عام، والتدهور البيئي على وجه الخصوص.

٢- ظروف نشأة الحضرية الحديثة ونتائجها على البيئة.

٣- أسباب عولمة منشآت التحديث ونتائجها على البيئة.

٤- الطريقة التي أدت إلى ظروف نشأة الحضرية الحديثة ونتائجها على البيئة، وأسباب عولمة المنشآت، والتحديث ونتائجه على البيئة أدت إلى مساعدة جيدنز على تقديم تفسيرات تفسر أسباب الحركات البيئية.

وهكذا نوجز ما توصل إليه جيدنز على النحو التالي:

- ربط جيدنز بين الجانب العمراني الحضري وطبيعة التدهور البيئي الحديث.

- أن الدمج بين الرأسمالية والصناعية في العناصر الأساسية للجانب العمراني قد أسهم بشكل كبير في زيادة حدة

تلك المشاكل البيئية، إلى جانب اندماج عدة عناصـر مثـل الكثافة السكانية وندرة ما تبقى من الأنظمة الطبيعيـة داخـل البيئة المدنية العمرانية.

- كما فسر جيدنز أسباب ظهور الحركـات الاجتماعيـة للبيئة إلى عاملين: الأول: تحليله للمدينة العمرانية، وتأكيـده على الأهمية البيئية للانعزال الثقافي والمتطلبـات المترتبـة على ذلك ولم تتحقق. أما التفسير الثاني فينبع مـن تحليلـه للمخاطر والعولمة، كما يؤكد على الأهمية المسببة للمصـالح المادية داخل البيئة.

المحور الثانى: الإجراءات الدولية والمحلية للتصدى للتدهور البيئى

جاءت نتائج معظم الدراسات الإمبريقية في مجال علـم الاجتماع الحضري؛ لتؤكد أن من ضمن المشاكل البيئية التي تواجه المدينة الحديثة تزايد أعداد السكان المقيمين بها؛ ذلـك لارتفاع كفاءة مستوى الخدمات المتوفرة بها، وزيادة تيارات الهجرة الوافدة إليها من المجتمعات المحلية الطـاردة. ومـن المسلمات الحتمية المترتبة على ظاهرة التزايد السكاني مـا يؤذي البيئة من ازدياد النشاط الصناعي والتكنولوجي؛ مـن أجل زيادة وتنوع مصادر الطاقة المستخدمة، ومن ثم المزيد من النفايات التي تصيب بالتلوث العناصر البيئية الأساسـية

التي تقوم عليها حياتنا. ثم ينتقل كل ذلك بالضرورة الحتميـة إلى أجسامنا، فيترتب عليه ظهـ ـ ـور أعـراض أمـراض جديدة لم يكن أجدادنا يعرفونها في الماضـي (عبدالمحسـن، ١٩٨٥،٧٨)[٣٢].

ومن أجل تلافي هذه المشكلة والتصدي لها، أخـذت المحافل الدولية والمنظمات العالمية خطوات جادة تمثلت في إلزام الدول المتقدمة بأن تتخذ مصانعها وشركاتها الصناعية إجراءات للحد من تلوث وهـدر البيئـة. غيـر أن هـ ـذه الإجراءات باهظة التكاليف؛ مما جعل بعض الشركات تعمل على زيادة نشاطها في الدول النامية التي لا تفرض مثل هذه الإجراءات. فمثل هذه الشركات تسـعى بكـل جهـد إلـى الحصول على أكبر عائد من الربح، بغض النظـر عن أثـر المنتجات على البشر أو على البيئة. ولكن علـى المسـتوى الأكثر تحديداً أخذ الاهتمام بالتصدي للتدهور البيئي باتجاهات متعددة أكثر اتساعاً، ففي ألمانيا – على سبيل المثـال – تـم تشكيل أحزاب سياسية خاصة لتبني قضية حماية البيئة، كمـا تضمنت برامج الأمم المتحدة ومنظمات واتحـادات دوليـة المحافظة على البيئة، مثل اليونيب (UNEP) ومقره نيروبي، والاتحـاد الـدولي للمحافظـة علـى الطبيعـة والمـوارد الطبيعية (UCW) والصندوق الدولي للأحياء البرية (W.W.F) والاتحاد والصندوق مقرهما سويسرا (جهاز شئون البيئـة -

٨٧)[٣٣] .

ومع بداية عام ١٩٦٩ بدأت مناقشات مشـاكل البيئـة بصورة مكثفة في أروقـة الأمم المتحدة. ومنذ ذلك التـاريخ اعتبر هذا العام البداية الجادة للاهتمـام العـالمي بالمشـاكل البيئية. ثم أعقب ذلك اجتمـاع ضـم قرابـة ٢٢٠٠ عـالم وباحـث؛ لمناقشة نفس الموضوع. وخصص عـام ١٩٧١ لتدارس مشاكل البيئة الإنسانية في مدينة "مونتون" الفرنسية، الذى خاص إلى مجموعة من التوصيات، ضمنوها خطاباً تم إرساله إلى الأمين العام للأمم المتحدة ليعربوا فيه عن موقفهم وآرائهم تجاه المشاكل الخاصة بالتدهور البيئي.

وفى يونيو١٩٧٢ جرى التحضير لمـؤتمر اسـتكهولم للبيئة، الذي استغرق قرابة العامين بإشراف الأمم المتحـدة، بدعوة ما يقرب من مائة وثلاثين دولة للحضور. وقد صـدر عن هذا المؤتمر عديد من المنشورات والوثائق، نذكر منهـا على سبيل المثال لا الحصر: وثيقة "ليس لنا إلا الأرض" لـ "باربر وارد Barber Word ورينيـه دابـو Rene Dabaus" (اللجنة العالمية للبيئة والتنميـة ١٩٨٧)[٣٤]. كمـا كشـفت المناقشات في هذا المؤتمر الستار عن اختلاف وجهات النظر بين كل من الدول المتقدمة صناعياً، ودول العـالم النـامي، حول ما يجب أن يسلكه الجنس البشري تجـاه البيئـة. فقـد أجمعت آراء الدول الصناعية على أن يبقـى الوضـع دون

خطط لتلافي مشكلات التدهور البيئي، بالرغم مما يعانونـه من مشكلات التلوث الاقتصادى والصحي والاجتماعي. فـي حين جاءت اتجاهات معظم الدول النامية، بما فى ذلك بعض دول أفريقيا وأمريكا اللاتينية ميالة كـل الميـل إلـى عـدم الانزعاج أو اعتبار التدهور البيئي شيئاً خطيراً، ما دام يحقق ارتفاعًا في مستوى معيشة أبناء هـذه المجتمعـات (أحمـد الرشيد، وهناء الحسن ١٩٨١ - ٢٢) [٣٥].

إلى جانب ما سبق فقد صدر عن مـؤتمر سـتوكهولم الإعلان العالمي للبيئة الذي جاء مركزًا في معظم توصـياته على المسلمات الأساسية لفهم البيئة، ومواجهة المشكلات التي نتجت عن مطالب الإنسان المتزايدة. كما يرجع لهذا الإعلان العالمي الفضل في الدعوة إلى تنمية الوعي العـالمي تجـاه البيئة ومشكلاتها، وإلى التأكيد على مبدأ التعايش السلمي مع البيئة وعناصرها. أما عن أهم التوصيات التي أسـفر عنهـا هذا المؤتمر، فنذكرها على النحو التالي:

- الدعوة إلى حماية البيئة ورسـم سياسـة عالميـة لهـا، والتخطيط من أجل إيجاد مسلك عالمي في هذا المجال.
- إنشاء مؤسسات متخصصة لدراسة القضايا البيئيـة فـي نطـاق الأمم المتحدة (الوثيقة رقم ٨).

ولقد لاقت نتائج وتوصيات مـؤتمر اسـتكهولم قبـولاً

منقطع النظير، تمثل في زيادة مساحة الاهتمام الدولي، ولفت الانتباه إلى الحاجة الملحة إلى البحوث والدراسـات العلميـة الجادة لحماية البيئة وللتصدي لمشاكلها المتنوعة. وفى هـذا الاتجاه تم عقد عديد من الندوات والمـؤتمرات. ففـي عـام ١٩٧٥، وبالتحديد في الفترة من ١٣- ٢٣ يونيـه، عقـدت ندوة عالمية في مدينة بلجراد، حدد مـن خلالهـا الإطـار العالمي لمفهوم التربية البيئية. وبعد عامين من هذه النـدوة، - فـي شهر أكتوبر سنة ١٩٧٧ – تم عقد مؤتمر في مدينة "تبليسي" لمناقشة إطار التربية البيئية، والدعوة إلى خلق وعي وضمير بيئي ينقذ الجنس البشري من تبعات سلوكياته السلبية تجاه البيئة (الطبيعة وعناصرها). وقد خرج هـذا المـؤتمر بمجموعة من النتائج، هي على النحو التالي:

- أن الاهتمام العالمي بالمشكلات البيئية أصـبح ظـاهرة ملحة للمجتمع المعاصر، خصوصاً بعد ما تأكد أن كثيرًا من الأنشطة البشرية على امتداد الكرة الأرضية تسـفر عن نتائج ضارة للبيئة يستحيل إغفالهـا. وملاحظـة أن بعض المشكلات التي تنشأ في بيئة معينة، قد تؤثر على الجنس البشري كله. بل إن هناك مشكلات بيئية يمكـن تصديرها إلى بيئات أخرى عن طريق شبكة المواصلات والنشاط التجاري.
- أن هناك حاجة ملحة بين شعوب الأرض لأن تلجأ إلـى

التنمية، فالفقر نفسه أصبح شكلاً من أشـكال التـدهور البيئي. فليس في مقدورنا الآن الفصل بين حماية البيئـة والحاجة الملحة إلى التنمية لتوفير الاحتياجات الأساسـية لأكثر البلاد فقراً في العالم.

يقتضي حل المشكلات البيئية:

أولاً: تحليلها تحليلاً دقيقاً.

ثانياً: تصنيف أنواع التلف والأخطار التي تتعرض لها البيئة، مع الوضع في الاعتبار، الأضرار التي تقع علـى الإنسـان والإنسانية في المقام الأول. (جامعة الدول العربية، الوثيقـة رقم ٨، ١٩٧٨)[٣٦].

أما في العقد الأخير من القـرن الماضـي، فقـد أخـذ الاهتمام الدولي بدراسة الأخطـار البيئيـة طابعـاً مغـايراً للمراحل السابقة، حيث إن محاولة النظر إلى مختلف القضايا الحضارية والمتصلة بالسلامة البيئية، تناولت بواقـع أكثـر شمولية الأبعاد ذات التأثير المتبادل. (سلوى محمد عبد الفتاح - ١٩٨٨- ٢٣)[٣٧].

ومن هذا المنطلق كان لقضية مصادر الميـاه الداخليـة حظ من الاهتمام الدولي؛ وذلك لما لاقتـه الميـاه البحريـة الإقليمية من أضرار بالغة؛ نتيجة لتلوثها ببقع الزيـت. وقـد تبلور هذا الاهتمام بإبرام الاتفاقيات التي قسمت بدورها إلـى

ثلاثة أنواع رئيسية، هي:

١- اتفاقيات خاصة بمشاكل التلوث ببقع الزيت.
٢- اتفاقيات تمنع نظام دفن المخلفات في البحر.
٣- اتفاقيات تمنع وتنظم أساليب حماية البيئة البحرية.

أما بالنسبة إلى النوع الأول من الاتفاقيات - الخاصـة بمنع تلوث البيئة البحرية بالزيت - فقد وقعت اتفاقية فـي عام ١٩٥٤ باسم الاتفاقية الدولية لمنع تلوث البحر بالزيت، ثم عدلت بعض فقراتهـا فـي أعـوام ١٩٦٢ - ١٩٦٩- ١٩٧١ على التوالي. وقد جاء في مضمونها التركيز علـى المعايير الواجب توافرها في السفن ناقلات البترول.

ثم وضعت مواصفات دقيقة لعملية صـرف المخلفـات المحتوية على الزيت منها، ثم تلا ذلك توقيع اتفاقية بروكسل سنة ١٩٦٩ باسم: الاتفاقية الدولية لأعالي البحـار؛ لمنـع حدوث تلوث المياه الإقليمية عند حدوث كارثة.

ثم أعقبتها اتفاقية أخرى بشأن التعويضات عـن أضـرار الإصابة بتلوث الزيت في بروكسل عـام ١٩٦٩، وأخـرى عقدت في لندن عام ١٩٧٢ باسم: منع تلوث البيئة البحريـة بواسطة دفن المخلفات في البحر.

ونخلص من مجموعة الاتفاقيـات السـابقة الخاصـة بموارد المياه البحرية إلى أن هناك نوعين من المخالفات:

النوع الأول: مخلفات يحظر إلقاؤها في البحر تماماً: تتضمن المخلفات التي تحتوي على مركبات الزئبق - الكـادميوم - جميع أنواع الزيوت والشحوم والمـواد المشـعة - المـواد المستخدمة لإنتاج الأسلحة الكيميائية والبيولوجية.

النوع الثاني: مخلفات يحتاج إلقاؤها إلى تصـريح، وهـي: المخلفات التي تحتوي على مركبات الزرنيخ - الرصاص - النحـاس - السـيانيد - مركبـات السـليكون والمركبـات العضوية.

ولم يقتصر التشريع عند هذا الحد، واكبه وضع قـانون في عام ١٩٧٤ بخصوص كيفية اسـتغلال الثـروات مـن أعماق البحار ومن الأرصفة القارية، وفـي نفـس الوقـت المحافظة على البيئة البحرية. كما ساهم برنامج البيئة التابع للأمم المتحدة (U.N.E.P) بوضع عدد من البرامج لدراسـة تلوث البحار. وكان من ضمن هذا الجهد إجـراء دراسـات لكل من البيئة البحرية للبحر الأبـيض المتوسـط والبحـر الأحمر والخليج العربي (جامعة الدول العربيـة – ١٩٧٨، ٦٣-٦٥)[٣٨].

ففي أمريكا صدر قانون سياسة البيئة الأمريكيـة عـام ١٩٦٩ National Environment Policy Act الذي يقضي على الآثار الناجمة عن أي مشروع صناعي قبل منح التـرخيص

بإقامته. كما أوضح القانون أن للمحاكم سلطة إيقاف العمـل بالمشروعات التي تضر بالبيئة. وصدر فـي اليابـان عـام ١٩٧٠ قانون لمنع تلوث مصادر المياه، وحصر القانون ٧٤ نوعاً من المخلفات الصناعية. وصدر في بلجيكا عام ١٩٦٩ عدد سبعة وستين قانوناً بالمواصفات الخاصـة بالمخلفـات الناتجة من مصانع الألبان والأغذية المحفوظة.

والخلاصة:

يسود العالم اتجاه لم يقف عند حد سن التشريعات، بـل تجاوزه إلى الجوانب الأخلاقية والجمالية للبيئة؛ حيث أصبح الحفاظ على البيئة وصيانتها يمثل واجباً أخلاقيـاً وجماليـاً. ويمثل هذا الاتجاه امتدادًا لما أشار إليه "ألدو ليوبولـد" Aldo Leopold في دراساته عن أخلاق الأرض ١٩٤٩ The land Ethic ورولستون Rolston١٩٨٦. ويقصد ليوبولد بالأخلاق تعريفـاً إيكولوجيـاً وفلسـفياً. أمـ ـ ـا التعريـف الأول (الإيكولوجي) فيعنى بعض الضـوابط التـي تحكـم حريـة الإنسان فى كفاحه من أجل البقاء. وأمـا التعريـف الثـاني (الفلسفي) فيعنى التمييز بين المسلك الاجتمـاعي والمسـلك المضاد للمجتمع. وفحوى الاتجاهين وجوب مراعاة الأخلاق والجمال في البيئة. أما إهدار الأخـلاق وتشـويه الجمـال فمعناهما أن تصبح الحياة غير مرغوب فيها. وبعبارة أكثـر تفصيلاً، إن مفهوم أخلاقيات البيئة يعني التأكيد على علاقـة

التبادل بين الإنسان والبيئة، بمعنى أن يأخذ الإنسان ويعطي، بحيث ننهج أسلوب الصداقة مع بيئتنـا، ولـيس الاسـتغلال والاستنزاف. (سعيد الحفار، ٧١)[٣٩].

١- الاستراتيجية المستقبلية للحفاظ على البيئة

حرص المجتمع الدولي ومنظماته المختلفة على وضـع خطة متكاملة؛ بغية تحقيق التوازن البيئي Ecology Balance، على النحو التالى:

- الحفاظ على العمليات البيئية الحيويـة الأساسـية التـي تتوقف عليها عمليات التنمية، مثل: نظافة الهواء والمـاء - الحفاظ على العائلات النباتية والحيوانية ذات الطبيعة الخاصة، مثل: (الشعاب المرجانية - الحشائش البحرية - الطيور - الأسماك)، وبناء خصوبة التربة الزراعية - الغطاء الأخضر في الأراضي الصحراوية.
- المحافظة على التراكيب الوراثية المتنوعة التـي تقـوم عليها العمليات الحيوية - تحسين خصـائص الثـروة الحيوانية والنباتية للأحياء الدقيقة - الرعايـة الصـحية وتقديم خدمة بيطرية عالية - تأسيس الصناعات التـي تعتمد على موارد إحيائية، وذلك بتوفير بنوك للمورثات للأصناف النباتية والسلالات الحيوانية.
- إقامة شبكة من المراكز الطبيعية لحماية الحياة البريـة،

خاصة تلك المهددة بالانقراض.

- حماية بيئات الحياة البرية من التدهور نتيجة للملوثات أو الاستغلال الجائر.
- المحافظة على استمرار الاستفادة من النظم البيئيـة Eco Systems المنتجة، وما تحويه من الأنواع، عن طريـق الحفاظ على هذه الأنواع من الانقراض.
- إيقاف التعديات على الأراضي الزراعية، وتنمية ثـروة البحيرات من طيور وأسماك.
- المحافظة على المراعي، وتنميتها، وإيقاف الرعي الجائر واقتلاع شجيراتها للوقود.
- تنظيم الاتجار في الحياة البحرية وإيقاف الصيد الجـائر. (إبـراهيم حلمـي عبـد الـرحمن – ١٩٩٠، ١٣٦ - ١٣٨)[٤٠].
- إصدار قوانين لحماية عناصر البيئة في الدول الصناعية.

٢- مشاكل التدهور البيئي وكيفية التصدي لها في مصر

أصبحت قضية حماية البيئة مـن التلـوث مـن أبـرز التحديات الحضارية والصـحية والاجتماعيـة لأي مجتمـع

إنساني. ويتفق العلماء - باختـلاف تخصصاتهم الأكاديميـة – على أنه لا مستقبل لمجتمع من المجتمعات بـدون بيئـة نظيفة. وعلى المستوى الأكثر شمولاً لا سبيل لتحقيق النمـو الاقتصادى والتنمية المستدامة إلا بواسطة الطاقات البشـرية المنتجة، الأمر الذي يتطلب توفير بيئة نظيفـة خاليـة مـن التلوث. (الجمعية المصرية للجودة، ١٩٩٩، ٣٠)[٤١].

وترجع جذور هذه المشكلة منذ دخلت مصـر عصـر الصناعة بثقل كبير خلال الثلاثين عاماً الماضية من القـرن الماضي. حيث انتشرت الصـناعات المعدنيـة والكيماويـة والبترولية وغيرها في عديد من مـدن ج. م. ع، وتركـزت معظم الصناعات في مناطق حلوان وشبرا الخيمـة وكفـر الزيات وأسوان والإسكندرية والسويس ونجـع حمـادي... وغيرها. هذا إلى جانب أعداد السيارات التي تزايدت أربعـة أضعاف خلال العشرة أعـوام الأخيـرة بالقـاهرة والمـدن الأخرى، فنتج عـن ذلـك الزيـادة الكبيـرة فـي التلـوث والصناعات الملوثة، وارتفاع معدلات حرق القمامة.

ونتج من الحركة الناتجة عن تضخم عدد السكان إلى أربعة أضعاف خلال الثلاثين سـنة الماضـية بالقـاهرة أن ازدادت كميات التلوث الجوي على سبيل المثال. فقد وجد أن تركيز الأتربة المتساقطة بوسط مدينة القاهرة خـلال فصـل الصيف زاد من ٣٥ طناً/ ميل شهرياً إلى حوالي ١٨٠ طناً/

ميل.

وبالرغم من ذلك، تعد مصر من أولى دول العالم الثالث التي تنبهت لأهمية الحفاظ على البيئـة، فتضـافرت كافـة الجهود علـى جميـع المسـتويات والمنظمـات والهيئـات والقطاعات الإنتاجية المختلفة، التي تعتبر قضـية التـدهور والتلوث البيئي هدفاً استراتيجياً يجب أن تُكـرس لـه كـل الإمكانيات للقضاء على هذه الظاهرة. فمنذ السـتينيات مـن القرن الماضي فطنت مصر إلى أخذ احتياطياتهـا اللازمـة للتصدي للتأثيرات المختلفة للنشاط الصناعي، مثل بقيـة دول العالم، فتمثل ذلك في مستويين: الأول تشـريعي ، والثـاني تنفيذي. ونفصل ذلك فيما يلى:

المستوى التشريعي

تضمنت القوانين والتشريعات نصوصاً صريحة؛ للحفاظ على البيئة وحماية مختلف أوجه الحياة من آثار الصـناعة، والتأكيد على معاقبة كل مخالف لهذه القوانين والتشـريعات. **ومن هذه القوانين نذكر:**

- قانون صرف المخلفات السائلة فـي شـبكات الصـرف الصحي والمسطحات المائيـة رقـم ٩٣ لسـنة ١٩٦٢، ولائحته التنفيذية بقرار وزير الإسكان رقم ٦٤٩ لسـنة

١٩٦٢.

- القرار الجمهوري رقم ٣٧٠ لسنة ١٩٦١ بإنشاء اللجنة العليا للمياه.
- القانون رقم ٢١ لسنة ١٩٥٢، والقرار الوزاري رقم ٨٦٤ لسنة ١٩٦٩، بإنشاء اللجنة العليا لحماية البيئة من التلوث، والقرار الوزاري رقم ٤٧٠ لسنة ١٩٧١ بالحدود القصوى للكيماويات في أماكن العمل.
- القانون رقم ١٥٢ لسنة ١٩٥٩ الخاص بحماية أماكن العمل، والمعدل في عام ١٩٧٦.
- القانون رقم ٣٨ لسنة ١٩٦٧، والقرار الوزاري رقم ١٣٤ لسنة ١٩٦٨، الخاص بالمخلفات الصلبة. وفي ١٩٨٣ صدر قانون لحماية نهر النيل والمجاري المائية.
- القانون رقم ٥٠ لسنة ١٩٦٧ بإنشاء اللجنة العليا للمبيدات.
- القانون رقم ٥٩ لسنة ١٩٦١ الخاص بالوقاية من الإشعاعات النووية، ولائحته التنفيذية الصادرة بالقرار الوزاري رقم ٧٠ لسنة ١٩٦١.

ولم تقتصر الاستراتيجية المصرية لمواجهة التدهور والتلوث البيئي على الحدود المحلية، بل واكبت

المجهودات التى تبذل على المسـ ـتوى العـالمي. فمنـ ـذ انعقـاد مؤتمر استوكهـولم سنـ ـة ١٩٧٨، والمـؤتمرات التالية له: مؤتمر ريو دي جانيرو ١٩٩٠، مـؤتمر كيوتـو باليابان سنة ١٩٩٨، ومؤتمر حماية طبقـة الأوزون سـنة ١٩٩٨ بالبرازيل؛ وأجراس الخطر تـدق معلنـة أن تزايـد معدلات التلوث واستمرار الاستنزاف للموارد الطبيعية بـات يهدد الحياة على كوكب الأرض؛ مما دعا دول العالم ومـن بينها مصر لأن تسارع بتناول القضية بالدراسـة والتحليـل؛ للوصول للتشخيص الصائب للمشكلة، مع رسـم السياسـات ووضع الخطط؛ للاستفادة القصوى من المـوارد الطبيعيـة المتاحة، دون الإضرار بالبيئة.

واهتمت الدراسات التي صدرت في هذا المجال بتحديد المفاهيم والطرق الخاصة بأساليب وتقنيات الحد من التلوث، واستخدام أساليب التكنولوجيا النظيفة، التي تـولي الأولويـة لمنع التلوث من المصدر، يليها أساليب التدوير، ثم الـتخلص السليم من النفايات، وكذا أساليب ترشـيد اسـتخدام الطاقـة وخفض معدلات استهلاك المياه والوقـود والمـواد الخـام؛ للحفاظ على الموارد الطبيعية؛ وذلك مسايرة للركب العالمي.

وفى هذا الإطار قامت حكومة مصر باتخاذ عديد مـن الخطوات والإجراءات التي من أهمها إصـدار التشـريعات والقوانين المنظمة لقواعد حماية البيئة. وكان من أهـم هـذه

القوانين الصادرة القانون رقم ٤ لسنة ١٩٩٤، المسمى بقانون البيئة المصري، الذى يعد أول قانون صدر شاملاً متكـاملاً، يتناول جميع الضوابط لمصادر الهدر وتلوث البيئة. ولما كان تطبيق القانون رقم ٤ لسنة١٩٩٤ له فوائد من حيث حمايـة البيئة، والحد من التلوث بكافة صوره وأشكاله، والحفاظ على الموارد الطبيعية من الهدر؛ مما يوفر بيئـة نظيفـة آمنـة. (الجمعية المصرية للجودة – ١٩٩٩، ٥٠)[٤٢]، لذلك نعرض لأهم ملامحه فيما يلى:

أهم ملامح قانون حماية البيئة المصري رقم ٤ لسنة ١٩٩٤

صدر هذا القانون في ٢٧ يناير سنة ١٩٩٤، ونص في المادة الأولى منه على:

- على المنشآت القائمة وقت صدور هذا القـانون توفيـق أوضاعها وفقاً لأحكامه خلال ثلاث سنوات، اعتباراً من تاريخ نشر اللائحة التنفيذية. وأجاز القـانون لمجلـس الوزراء مد هذه المهلة لمدة لا تتجاوز عامين إذا دعـت الضرورة لذلك، وبناء على طلب الوزير المختص لشئون البيئة.
- يتكون القانون رقم ٤ لسنة ١٩٩٤ من خمسـة أبـواب، بالإضافة إلى اللائحة التنفيذية التي صدرت في ١٨ يناير

سنة ١٩٩٥. والأبواب الخمسة للقانون تتكون من:

أ- **باب تمهيدي** يتضمن أربعـة فصـول: يتضـمن الأول أحكاماً عامة، الفصل الثاني عن جهاز شئون البيئة، الفصـل الثالث عن صندوق حماية البيئة، الفصـل الرابـع يتنـاول الحوافز.

ب- **الباب الأول**: حماية البيئة الأرضية من التلوث، ويتكون من فصليـن: الأول عن التنمية والبيئة، والثاني عن المـواد والنفايات الخطرة.

ج- **الباب الثاني**: وهو عن حماية البيئة الهوائية من التلوث.

د- **الباب الثالـث**: عن حماية البيئة المائيـة مـن التلـوث، ويتكون من أربعة فصول: الأول يتناول التلوث من السـفن، والثاني: يتناول التلوث من المصادر البرية، والثالث: يتناول الشهادات الدولية، والفصل الرابع: عن الإجراءات الإداريـة والقضائية.

هـ - **الباب الرابع**: يتناول العقوبات، بالإضافة إلى الأحكام الختامية (الجمعية المصرية للجودة - ١٩٩٩، ص٨١)[٤٣].

أما على المستوى التطبيقـي، فتشـير غالبيـة نتـائج الدراسات إلى أن تطبيق هذه القوانين لاقى صـعوبات فـي المجتمع المصري؛ بسبب الاعتقاد الخاطئ بأن أهداف هـذه

القوانين قد تتعارض مع السرعة المطلوبة لتنفيذ برامج التنمية الاقتصادية؛ مما أدى إلى تفاقم مشاكل الهدر والتلوث بأنواعها في البيئة المصرية.

الثاني: المستوى التنفيذي

تم تشكيل جهاز مركزي لحماية البيئة في مصر عام ١٩٨٠، على أن يقوم هذا الجهاز بالتنسيق مع بقية الجهود التي تبذلها الدولة لحماية البيئة. ثم تلا ذلك صدور قرار في أكتوبر سنة ١٩٨٠ بشأن تشكيل لجنة وزارية برئاسة رئيس مجلس الوزراء وعضوية ٩ وزراء، تقوم برسم سياسة قومية لحماية البيئة وتحسينها والمحافظة عليها، ومراجعة التشريعات المعمول بها بشأن حماية البيئة، إلى جانب التنسيق بين جهود الهيئات المحلية والمركزية، ومتابعة الخبرة والتطورات الدولية، والمحافظة على الطابع الحضاري لمصر.

وبناء على ما تقدم، فقد عنيت بعض الوزارات ذات التعامل المباشر مع البيئة ومكوناتها، عناية كبيرة بحماية العاملين من أمراض المهن والأمراض الصناعية. وكان ذلك على النحو التالي:

- اهتمام وزارة الصحة العمومية بحماية العاملين من الأمراض الصناعية، ودراسة تلوث الهواء في مواضع

مختلفة، كما تم إنشاء لجنة خاصة لأبحاث المياه وأخرى للوقاية من الإشعاعات النووية.

- إنشاء مركز إصابة لرصد تلوث الهواء.
- كما قامت وزارة العمل بالاهتمام بجميع شئون الأمن الصناعي وأوضاع البيئة داخل مجال العمل، وتنظيم حماية العمال من الآثار الضارة بصحتهم داخل بيئة المصنع.
- كما قامت وزارة التربية والتعليم بإدخال بعض التعديلات في سبعة مقررات دراسية، بحيث تتناول العناصر البيئية. أما على مستوى التعليم الجامعي: فجاءت موافقة المجلس الأعلى للجامعات سنة ١٩٨٠ على إنشاء معهد الدراسات البيئية.
- كما ركزت وزارة الري، والوزارات الأخرى، كل جهودها على الاهتمام بتلوث مياه النيل، ومراجعة لوائح المخلفات السائلة في المجاري المائية، خاصة وأن نتائج بعض الدراسات المتخصصة تشير إلى أن شبكات الصرف الصحي لا تتوفر إلا في ١٧ مدينة من بين ١٣٠ مدينة على مستوى ج.م.ع. وبناء على ذلك تقوم الوزارة بإعداد خطة طويلة الأمد؛ بغية حماية نهر النيل والمجاري المائية من التلوث، بحيث يمتد تنفيذها

قرابة العشر سنوات (إبراهيم حلمـى - ١٩٨٣ ، ٦١) [٤٤].

- ومع بداية عام ١٩٨٢ أعيد تشـكيل اللجنـة المركزيـة للبيئة، بأن ضـمت إلـى عضـويتها ١٦ مـن وكـلاء الوزارات المعنية، برئاسة وزير شئون مجلس الوزراء؛ وذلك لمتابعة واتخاذ ما يلزم تنفيذه، ثم أعقبهـا تشـكيل أمانة فنية من خبراء ملحقين بمكتب رئيس الوزراء؛ من أجل الإعداد لدراسات اللجنـة، والعمـل علـى تنفيـذ توصياتها بالتعاون مع الهيئات المعنية بالبيئة في جميـع الوزارات والمصالح، خاصة في أكاديمية البحث العلمي والتكنولوجيا، والجامعات والمعاهد. وقد ترتـب علـى التنظيمات المركزية زيادة الحرص من جانب الهيئـات العلمية والصحية والإعلاميـة علـى إقامـة النـدوات والمؤتمرات الخاصة بالبيئة في مختلف نواحيها. (إبراهيم حلمى، ١٩٨٣،٧٠) [٤٥].

أما على المستوى البحث الإمبيريقي، فقد كشـفت لنـا بعض نتائج الدراسـات المتخصصـة أن تطبيـق القـوانين الخاصة بحماية البيئة، وآثار النشاط الصناعي، وما يترتـب على ذلك من حدوث التلوث بأنواعه (هواء – ماء – تربـة) مازال حبيس الأوراق، ولم يتم الأخذ به لدى معظم المنشآت الصناعية في مصر. فنذكر علـى سـبيل المثـــال لا

الحصر أن معظم المصانع بمنطقة حلوان تقع على نهر النيل وعلى ترعتي الخشاب والحاجر (عزة أحمـد- ١٩٨٥- ٣)[٤٦]، وجميع المصانع في هذه المنطقة غالباً ما تنتج كميـات كبيرة من المخلفات السائلة، التي تقـدر بحـوالي ١١٥٠٠٠ متر مكعب / يوم، وبجملة ٣,٣٩ طناً/ يوم من المواد الصلبة تُلقي بها في ترعتي الخشاب والحاجر؛ مما يؤدي إلى تلـوث مياه الري على طول هذه الترعة التي تستخدم مياههـا فـي الري.

وقد كشفت نتائج تحليل ١٧ عينة من الميـاه السـطحية تحليلاً كيميائياً، إلـى جانب نتائج دراسة أخـرى قـام بهـا "عبدالعال وآخرون" لتحديد نسبة التلوث، أن المياه بمنطقـة حلوان تحتوي على:

أ- مواد صلبة عالقة. Solid Suspended Matter.

ب- أمـــــــــــلاح ذائبـــــــــــة. Soluble Salts.

[Abdel-Aal,et,١٩٨٨،٤٢٤][٤٧].

وبسؤال المسئولين عن بعض الأنشطة الصـناعية فـي منطقة حلوان، وعن أسباب عدم تطبيق القـوانين الخاصـة بحماية البيئة من مخلفات النشاط الصناعي، جـاءت معظـم

إجاباتهم تشير إلى:

- عدم توافر الاستثمارات المطلوبة من بعـض المصـانع لمعالجة مخلفاتها قبل التخلص منها.
- ارتفاع تكلفة، بل وصعوبة توفير المبالغ المطلوبة لإجراء معالجة المخلفات.

وبناء على ما تقدم، واتساقاً مع ما أصدرته الدولة مـن تشريعات وقوانين لحماية البيئة، ولمزيد من التحكم والسيطرة على أشكال الهدر والتلوث البيئي؛ بغيـة تحقيـق المعادلـة المتوازنة (مزيد من التخطيط، واستخدام أفضل للتكنولوجيـا من أجل تحقيق التنمية، مع أقل تلوث)، فقـد صـدر قـرار رئيس الجمهورية رقم ٦٣١ لسنة ١٩٨٥ بإنشاء جهاز لشئون البيئة برئاسة مجلس الوزراء، بحيث يصبح لأول مـرة فـي ج.م.ع وزير خاص ومسئول عن البيئة ومشروعات وقضايا الخطة القوميـة للبيئـة، مـع تعـاون بعـض المؤسسـات المتخصصة في الدولة. ومنذ ذلك التاريخ أصبح وزير شئون مجلس الوزراء ووزير الدولة للتنمية الإدارية هـو الـوزير المختص بحماية البيئة ورعاية شئونها والحفاظ عليها.

اختصاصات جهاز شئون البيئة في مصر

قصد من إنشاء جهاز شئون البيئة برئاسـة مجلـس الوزراء أن يكون حلقة الوصل بين رئاسة مجلس الـوزراء

ومختلف الوزارات والهيئات والأجهزة العامـة فـي مجـال البيئة. ويقوم بالمهام التالية:

- دراسة وإعداد الموضوعات المتعلقة بحمايـة البيئـة، ومتابعة تنفيذ المشروعات البيئية.

- إعداد التشريعات اللازمة لحماية البيئة؛ لتحقيق بيئـة صالحة وخالية من التلوث؛ بغية الحفاظ علـى ثـروات مصر ومواردها الطبيعية (مجلس الوزراء، جهاز شئون البيئة، ١٩٨٦)[٤٨].

جهاز شئون البيئة والخطة القومية للبيئة في مصر:

يتولى جهاز شـئون البيئـة إعـداد الخطـة الخمسـية والسياسات البيئية في ج.م.ع، بالاشتراك مع ١٥٠ من علماء مصر والمتخصصين في قضايا البيئة من أساتذة الجامعـات والمركز القومي للبحوث، والوزارات المختلفـة، بإشـراف أكاديمية البحث العلمي والتكنولوجيا.

قام جهاز شئون البيئة بإعداد برنـامج تنفيـذي لخطـة ١٩٨٦/٨٥ للسياسات البيئية، والتي شملت الوضع البيئـي الراهن في مصر، إلى جانب الجهود المبذولة في هذا الصدد، مختتما بالبحوث والدراسات المقترحة لعلاج المشكلات البيئية المنشورة في ملحق (٦) من الخطة القومية، وهي تتضمن ما يلي:

حماية نهر النيل من التلوث، حماية الشواطئ المصرية من التلوث، حماية البيئة المائية والثروة السمكية من أخطـار التلوث، تلوث الهواء، تلوث الضوضـاء، المحافظـة علـى التربة الزراعية وحمايتها من التبـوير والتجريـف، حمايـة الأماكن العامة من التلوث بالقمامة والأتربة، المحافظة علـى المحميات الطبيعية، حماية الشـواطئ مـن النحـر، تـأمين المواطنين من الأنشطة النووية والمواد المشعة، تجميل المدن بإقامة الحدائق والمتنزهات والتشجير، نشر التعلـيم البيئـي بالجامعات والمعاهد العليا والمدارس، النظرة المستقبلية لدور البحث العلمي في حماية البيئة، بالنظر إلى تعمير الصحراء، إنشاء مجتمعات تعدينية متكاملة ومجتمعات زراعية.

- **خطة مجلس بحوث البيئة (أكاديميـة البحـث العلمـي والتكنولوجيا)**

يهتم مجلس بحوث البيئة - بأكاديمية البحث العلمي - بوضع المحددات اللازمة لإرساء قواعد التنظـيم الـوطني للبيئة، التى تتمثل فى: التركيز علـى المجـالات الرئيسـية والتنمية وعلاقات العمليات الإنتاجية بنوعية البيئة، وخاصـة ما يتصل بصحة الإنسان. (مركز النيل للإعلام ١٩٨٨، ٧٦ - ٨٣)[٤٩].

وتقوم المعالم الرئيسية لخطة مجلس بحوث البيئة على:

معالجة المخلفات والنفايات، وإعادة تدوير المـواد؛ لتحقيـق حماية البيئة، ثم إضافة عائد اقتصادي إلى جملة مخرجـات العمليات الإنتاجية. وتتضمن هذه المعالجات ثلاثة قطاعـات رئيسية: إعادة تدوير النفايات الزراعية (نباتية - حيوانيـة)، إعادة تدوير النفايات الصناعية الغذائية، إعادة تدوير النفايات الصناعية الكيميائية.

كما تتضمن تلك الخطة: الاهتمام بقضايا البيئة المتصلة بالتجمعات العمرانية (دراسة التلوث البيئي فـي الحضـر - تلوث الهواء في المدن الكبرى)، والاهتمـام ببيئـة العمـل المتصل مباشرة بحياة الإنسان العامل في مجـالات الإنتـاج وصحته، ثم التركيز على العاملين في صناعات: البترول - التعدين – الكيميائيات، إدخال التعليم البيئي في مراحل التعليم ما قبل الجامعي والعالي، ونشر وترشيد الوعي البيئـي، ثـم تأهيل وتدريب القوى البشرية في مجالات العلـوم البيئيـة، صون الحياة البرية، والعناية بدراسة المناطق ذات الأهميـة العلمية والبيئية والثقافية، والاهتمام ببنوك المواد الوراثيـة، الاهتمام بالقضايا الخاصة بأخطار البيئة والطبيعة (السيول - تحرك الكثبان الرملية وزحفها)، استكمال دراسات التشريعات البيئية، والاهتمام بتدريس التشريعات فـي كليتـى الحقـوق والشرطة، الاهتمام باستكمال دراسات تطوير محطات تنقيـة مياه الشرب في مصر.

مجاس بحوث البيئة والأنشطة العلمية المتخصصة لتنـاول المشاكل البيئية

أعد مجاس بحوث البيئة برامج للأنشطة العلمية لتنـاول المشاكل البيئية وأنواع التلوث. وكان ذلك من خـلال عقـد المؤتمرات والندوات العلمية. ومن هذه المؤتمرات:

١- المؤتمر السادس لمجاس بحوث البيئة في مارس ١٩٨٨، بالاشتراك مع جهاز شئون البيئة برئاسة مجلـس الـوزراء وكافة الوزارات المعنية بالمحافظة على حماية البيئـة فـي مصر.

٢- المؤتمر القومي الأول للمياه والصرف الصحي بالقاهرة فـــــــي الفتـــــــــــــــرة مــــــــــــن ١١-١٢ يوليو سنة ١٩٨٨، الذي تنظمه أكاديميـة البحـث العلمي والتكنولوجيا.

٣- مؤتمر المحافظة على البيئة في منطقة القاهرة الكبـرى، القاهرة ٢٦- ٢٩ أكتوبر ١٩٨٦ تحت إشراف جهاز شـئون البيئة[٥٠].

٤- ندوة استرجاع وتدوير المخلفات الصناعية، القاهرة ١١ - ١٤ إبريل ١٩٨٧[٥١]:

٥- ندوة معالجة تلوث الهواء في الأجواء المصـرية التـى نظمت بواسطة جمعيـة المهندسين المصرية، بالتعاون مـع جامعة عين شمس وجهاز شـئون البيئـة برئاسـة مجلـس

الوزراء.

يتضح من العرض السابق مدى حرص الدولة نحو بذل قصارى جهدها على كافة المستويات التشـريعية والتنفيذيـة والعلمية من أجل حماية البيئة، والحفاظ على توازنهـا مـن الهدر. ولكن يجهض هذا الاهتمام عدم وجود الوعي البيئـي بين أفراد هذا المجتمع؛ لأن مشكلة الهدر والتلوث البيئي هي في نهاية الأمر مشكلة ترتبط بالإنسان في المحل الأول، وما يصدر عنه من سلوك واتجاهات نحو البيئة وعناصرها. ولذا عندما نفكر في أي محاولة لحل المشكلات البيئية. يجـب أن نبدأ بالإنسان، وبالتحديد في مرحلة الطفولة. ويشكل ذلك مـا يمكن أن نطلق عليه التثقيف أو الثقافة البيئية.

المحور الثالث: تصور مقترح للتنشئة البيئية للطفل

لم يعد مفهوم البيئة اليوم قاصراً على الجوانب الطبيعيـة (الحية وغير الحية)، وإنما اتسع ليشمل النواحي الاجتماعيـة والاقتصادية والتكنولوجية، التي ابتكرها الإنسـان. وعلـى المستوى الآخر، فقد أدى التقدم الكبير الذي أحرزه الإنسـان في مجالات العلم والتكنولوجيا، إلى إحداث إخلال، بل تدهور في مكونات البيئة، حتى بات خطر العيش فوق طاقة احتمال البيئة. بل بدأنا نعيش ونسمع عن استنزاف الموارد، ونقـص الغذاء والطاقة، والتلوث، وتـدهور التربـة، والتصحـر،

وزيادة السكان. وبتعدد المشكلات البيئية تنوعت الإجـراءات التي سعت إلى حماية البيئة.

فهناك من يرى أن حماية البيئـة يكـون عـن طريـق تكنولوجيا جديدة. وآخر يرى حماية البيئة بإنشاء التنظيمـات التشريعية وإصدار القوانين الصارمة. وثالـث يؤكـد علـى أهمية تعديل أنظمة الإدارة البيئية. كذلك هناك رابـع يؤيـد زيادة الاعتمادات الماليـة اللازمـة لإحـداث الإصـلاحات المناسبة في البيئة، وبناء أنماط بديلة من التنمية، التي تعتبـر حماية البيئة بعداً أساسياً من أبعادها.

وفي رأي الباحثة، أنه رغم كثرة المحـاولات والجهـود المبذولة لحماية البيئة – علـى كافـة المسـتويات العالميـة والمحلية (رشـيد الحمـد، ومحمـد صـبارينى – ١٩٧٩، ٢١٥)[٥٢] – فقد أثبتت الدراسـات والتجـارب أن الأزمـة الحقيقية التي يعيشها العالم اليوم هي أزمة تربيـة أو تنشـئة بالمعنى الشامل الدقيق لكلمة التربيـة، التـي تهـدف فـي مضمونها إلى إعداد الإنسان ثقافياً وحضـارياً ومهنيـاً لأداء دور إيجابي خلاق في المجتمع، أي تربية تعد أطفال اليـوم وتهيؤهم للتعامل والتفاعل الإيجابي مع البيئة.

وفي ضوء ما سبق، جاء تعريفنـا للتنشـئة البيئيـة [*]

(*) يطلق البعض على التربية أو التنشئة البيئية، غير الرسمية، الإعـلام أو الثقافـة

بأنها: عملية تعليم المشاعر الطيبة للطفل تجاه بيئته، وإمداده بالمعلومات التي تساعده علـى الفهـم وتعـرف حـدودها وعناصرها، إلى جانب غرس قيم وإكساب اتجاهات وأنمـاط سلوكية إيجابية وتدريبه عليها، وعلى الضوابط ونظم الجزاء؛ حتى يصبح إنساناً ناضجاً وواعياً ومحافظـاً علـى بيئتـه. وتعرف جميع هذه العمليات الداخلة في هـذا السياق بالتثقيف أو التنشئة البيئية.

والتنشئة البيئية ليست حديثة العهد، فلها أصولها القديمة. فبالرجوع إلى التراث الإسلامي، سنجد وصـية الصـحابي الجليل أبي بكر الصديق لأسامة بن زيد حين وجهه إلى بلاد الشـام بقوله: "ولا تخونوا ولا تغـدروا، ولا تقتلـوا ولا تمثلوا. ولا تقتلوا طفلاً ولا شـيخاً كبيـراً ولا امـرأة، ولا تقطعوا شجرة مثمرة، ولا تذبحوا شاة ولا بقرة ولا بعيراً إلا للأكل. وإذا مررتم بقوم فرغوا أنفسهم في الصوامع، فدعوهم وما فرغوا أنفسهم من أجله" (علي خليل مصطفى ـ ١٩٧٨ ـ ٤٠) [٥٣].

وإذا دققنا النظر في هذه الوصية، فإننا نجدها تحمل كل معاني الوعي البيئي العميق، وهي بمثابة درس في التنشـئة البيئية، جاءت في زمن لم تكن فيه البيئة تشكو مـن تـدخل

البيئية أو التوعية.

الإنسان الجائر في أنظمتها.

ثم عاد مصطلح التربية أو التنشئة للظهور والتداول على الصعيد العالمي منذ انعقاد مؤتمر استوكهولم في السويد فـي يونيه سنة ١٩٧٢، حيث كان من أبرز توصياته التوصية رقم (٩٦)، التي تطالب بأن تتولى الوكالات التابعة للأمم المتحدة - ولا سيما اليونسكو - اتخاذ التدابير اللازمة لوضع برنامج جامع لعدة فروع علمية للتربية البيئية، في المدرسة وخـارج المدرسة، على أن يشمل كل مراحل التعليم، ويكون موجهًـا للجميع؛ بهدف تعريفهم بما يمكنهم النهوض به مـن جهـود بسيطة، وفي حدود الإمكانات المتاحة لهـم؛ لإدارة شـئون البيئة وحمايتها (ALLEN.N. ١٩٧٨. P.٥)[٥٤].

وتدل هذه النتيجة على أن الذين اجتمعوا في استوكهولم على قناعة بالمدى الذي وصلت إليه بيئة الإنسان، بالإضـافة إلى اقتنـاعهم بـأن التكنولوجيـا والتنظيمـات التشـريعية والاعتمادات المالية قد فشلت في تحقيق الأثر المرجو منهـا في حماية البيئة وتحسينها؛ وذلـك لافتقارهـا إلـى عمليـة التنشئـة أو التربيـة. وهذا يؤكد أهميـة دراسـتنا الحاليـة لموضوع التنشئة البيئيـة؛ من أجل إعداد جيل واعٍ وقـادر على حمايـة بيئتـه. وهذا يتفق مع قولـه سبحانه وتعالى: ﴿إِن الله لا يغَير ما بِقَومٍ حتى يغَيروا مـا بِأَنفُسِـهم﴾ [سـورة الرعد: الآية ١١][٥٥].

ثم اتسعت دائرة الاهتمام بالتربية البيئية، وتمثل ذلك في عقد عديد من المؤتمرات والندوات وورش العمل، وإصـدار التشريعات والمجلات العلمية. فعلى سبيل المثال، صـدرت في عام ١٩٧٤ النشرة الخاصة ببرنامج الأمم المتحدة للبيئـة بالتعاون مع اليونسكو، ثم تلاها صدور وثيقة بلجـراد سـنة ١٩٧٥ (Peter- FF-١٩٧٨. ٤٤٦-٤٥٥)[٥٦].

أما في الفترة من سنة ١٩٧٢ وحتى ١٩٧٧ فقد كرست الجهود الدوليـة مساعيها لإعـداد برنامج الـتربية البيئيـة TEEP وتنمية الوعي البيئي، ثم أعقبها صدور مجلة Connat باللغتين العربية والإنجليزية. تلا ذلك مؤتمر تبليسى بجورجيا بالاتحاد السوفييتي عام ١٩٧٧، ثم ندوة داكار بالسنغال عـام ١٩٨٧، فحلقة العمل والتدريب عام ١٩٧٩ فـي سـاوباولو بالبرازيل، والحلقة الإقليمية بأمريكا اللاتينيـة عـام ١٩٧٩. ولقد لوحظ أن جميع المناشط والاجتماعات الدولية أجمعـت على توصيات تدور حول ضرورة الاهتمام بالتربية البيئيـة الرسمية، بمعنى العمل على جعل مـادة التربيـة البيئيـ ـة ضمن مناهج التعليم الرسمي بجميع المراحـل التعليميـ ـة (إبراهيم عصمت – ١٩٨٢ – ٣٠) [٥٧].

وبناء على ما تقدم، نعاود التأكيد على أن ما نعنيه فـي دراستنا الحالية بالتنشئة أو التربية البيئية هو التربية بمعناهـا الواسع كعملية تعليمية، بشقيها الرسمي وغير الرسـمي، أي

التي لا يقتصر أداؤها داخل المؤسسات والأبنية التعليمية، بل تبدأ منذ ميلاد الطفل وتستمر طوال حياته. وتشارك فى هذه العملية جميع الأجهزة ومؤسسات التنشئة في المجتمع - بدءاً من الأسرة، فالحضانة - وتتضافر مع المدرسة، التي تقـوم بتدريس مادة التربية البيئية ضمن مناهجها، وذلك بغية تحقيق التكامل بين مرحلتين أساسيتين من مراحـل نمـو الطفـل: مرحلة ما قبل المدرسة ومرحلة المدرسة، وانتهاءً بوسـائل الإعلام المسموعة والمرئية والمقروءة، التي تـلازم الطفـل بقية ساعات اليوم المدرسي، وبقية أيام السنة، والإجازات.

كما أننا في أمس الحاجة إلى تعـاون أجهـزة أخـرى؛ لتحقيق هذا الهدف الضخم، وهـي أجهـزة وزارة الثقافـة، وبالتحديد الأجهزة المعنية بثقافة الطفل. ذلـك لأن مرحلـة الطفولة تعد من أهم مراحل النمو، وأكثرها أثراً فـي حيـاة الفرد. فهي البداية في إعداد وتنشئة هذا الفـرد. وإذا كانـت البداية صحيحة وسليمة فستكون تنشـئة الطفـل صـحيحة وسليمة هي الأخرى، ومن ثم تضمن تتابع نمـوه بصـورة صحيحـة؛ لأن البدايـة الطيبـة لابد أن تثمر طيباً. وهـذا يتفق مع قول الحق سبحانه وتعالى: ﴿أَفَمن أَسس بنْيانَه علَـى تَقْوى مِن اللهِ ورِضوانٍ خَير أَم من أَسس بنْيانَه علَـى شَـفَا جرفٍ هارٍ فَانْهار بِهِ فِي نَارِ جهنم﴾ [سـورة التوبـة: الآيـة ١٠٩][٥٨]. ووفقاً لقانون النمو يتم تناول الطفل مـن السـنة

الثالثة حتى الثانية عشرة.

واتساقاً مع الهدف من الدراسة، وهو إعـداد الإنسـان المصري إعداداً بيئياً واعياً، تتعاظم فيه المشاعر الطيبة تجاه بيئته والجزاءات والضوابط التي تحكم حرية الإنسـان فـي كفاحه من أجل البقاء؛ ننشئ الإنسان المصري على الأخـلاق التي تحكم علاقة الفرد بمجتمعه وبيئته.

ومفاد القول أن يصبح لدينا جيل يعلي من القيم الأخلاقية والجمالية في بيئته، ويتصدى لكل اتجاه أو قيمة تحاول إهدار التوازن البيئي، وبذلك نكون قد نجحنا في غرس ما يعـرف بالأخلاق البيئية، والتي من خلالهـا يمكـن الحفـاظ علـى الناموس الكوني، الذي أشار إليه الحق - عز وجـل - فـي كتابـه العزيز: إِنا كُل شَيءٍ خَلَقْنَاه بِقَدرٍ. [سورة القمر: الآية ٤٩][٥٩] وخَلَقَ كُل شَيءٍ فَقَدره تَقْدِيرًا .[سورة الفرقان: الآيـة ٢] [٦٠]، وبذلك قد نصـبو إلى تنفيذ ما أمرنـا الله به فـي علاقاتنا ببيئتنا كُلُوا واشْربوا مِن رِزقِ اللهِ ولا تَعثَـوا فِـي الأَرضِ مفْسِدِين[سورة البقرة: الآية ٦٠] [٦١].

الاستراتيجية من وراء مقترح التنشئة البيئية للطفل

تتبلور الأهداف الاستراتيجية من وراء مقترح التنشـئة البيئية للطفل في ثلاثة، وهي على النحو التالي:

أولاً: الأهداف المعرفية

يقصد بها محاولة تزويد الطفل والقائمين على تربيته بالمفاهيم الأساسية، بعد ترجمتها وتبسيطها، وهي كما يلي:

(١) ماهية البيئة Environment: المكان (المحيط) الذي يعيش فيه الإنسان والكائنات الأخرى (مثل الحيوانات والنباتات)، ويشتمل على: التربة والماء والهواء، والمكونات الجمادية، مثل الجبال، والمظاهر الكونية (النجوم والشمس والقمر).

أنواع البيانات

أ- البيئة الطبيعية : Natural Emvironmemt هي المكان أو المحيط الذي يعيش فيه الإنسان، ومجموعة عناصر البيئة الطبيعية، (مثل: الماء والهواء والتربة والمعادن والنباتات ومصادر الطاقة والحيوانات). ومن هذه المكونات أو المواد التي أتاحها الله للإنسان، يستطيع أن يستمد مقومات حياته من الغذاء والكساء والمسكن والدواء.

ب- البيئة الاجتماعية: Social Environmemt هي النظم الاجتماعية والمؤسسات التي أقامها الإنسان: النظام الاقتصادي الذي يتم من خلاله استغلال الأرض للزراعة والرعي والصناعة، والنظام الصحي، ويتمثل في إقامة المستشفيات والمراكز الطبية وطرق وأساليب علاج الناس من الأمراض.. إلخ.

وأخيرًا فإن البيئة الاجتماعية هي الإطار الذي يعيش فيه الإنسان، ويحصل منه على مقومات حياته من غذاء وكساء وسكن، ويمارس فيه علاقاته مع غيره من الجماعات من بني البشر.

ج- البيئة الثقافية: Cultural Environment هى كل ما استحدثه الإنسان من مقررات أضيفت إلى مقررات البيئة الطبيعية والاجتماعية. وتتكون البيئة الثقافية من عنصرين:

الأول: كم ثقافي مادي، مثل: بناء المساكن ووسائل المواصلات.

الثاني: كم ثقافي غير مادي، مثل العادات والتقاليد والقيم والأعراف.

(٢) النظام البيئي Ecosystem: يتكون من أربعة عناصر، هي: الإنتاج – الاستهلاك – التحلل – العناصر الطبيعية غير الحية (ماء – هواء – غازات - شمس – حرارة) (Robert,١٩٧٨،١٩٩)[٦٢].

الأول: عنصر الإنتاج: يتكون من النباتات الخضراء، طحالب، أشجار، محاصيل، زهور. وتقوم هذه النباتات بإنتاج غذائها بنفسها[*]، ولكن لا تستطيع الاستغناء عن العناصر

(*) في ضوء معطيات علم النبات التي تشير إلى أن النباتات تقوم بإنتاج غذائها بنفسها من خلال امتصاص غاز ثاني أكسيد الكربون من المحيط الجوي، وتقوم

الطبيعية غير الحية.

الثاني: عنصر الاستهلاك: ويتضمن جميع الحيوانـات. ونظراً لتباين طبيعتها عن النباتات، فإنها تعتمد على غيرهـا في توفير ما تحتاجـه مـن غـذاء (نباتـات – أعشـاب – حيوانات). وفي جميع الحالات فإن الحيوانات من الكائنـات المستهلكة في البيئة.

الثالث: عنصر التحلل: ونقصد به كل ما يتسـبب فـي تلف وتحلل مكونات البيئة الطبيعية المحيطـة بنـا، مثـل: البكتريا والفطريات والحشرات التي تساهم فـي تحلل أجسام النباتات والحيوانات الميتة. وتساهم عناصر التحلل في إعادة جزء من المادة إلى التربة لتستفيد منهـا عناصـر الإنتـاج، ويعود استخدامها مرة أخرى في تكوين الغذاء. وبتكرار هذه الدورة يتم الحفاظ على التوازن البيئي.

الرابع: العناصر الطبيعية غير الحية: يقصد بها: الماء والهواء والغازات، مثل الأكسجين والنيتروجين وثاني أكسيد الكربون وأشعة الشمس والمواد المعدنية في التربة، بالإضافة إلى ما يتحلل من أجسام النباتات والحيوانات. وجميعها يدخل ضمن عناصر الإنتاج في البيئة، والتي تساهم في المحافظـة

الجذور بامتصاص الماء من التربة، وتصنع من خلالها مع وجود مادة الكلوروفيـل وأشعة الشمس ما يمكن أن توفر ما تحتاجه من مواد لازمة لبناء أجسامها، مثل المواد الكربوهيدراتية والبروتينات والدهون.

على التوازن البيئي Ecology Balance .

(٣) ماذا نعني بالتوازن البيئي؟ هو التبادل بين مكونات البيئة وعناصرها، سـواء كانـت بيولوجيـة أو فيزيقيـة. ولنضرب مثلا على ذلك: إذا اشـتعلت النـار فـي إحـدى الغابات، أو قام الإنسان باستهلاك جزء من أشجار الغابـات؛ فإن الأرض سرعان ما تعود بعد فترة مـن الـزمن للحيـاة والنماء للغابات، فتنمو حشائشها وأعشابها، ثم تكسـو أرض الغابة مرة أخرى بالأشجار. هذا ما يطلـق عليـه التـوازن البيئي، أي يعتمد كل عنصر على الآخر، ويسهم في الحفـاظ على تكامل العناصر الأخرى في البيئة.

(٤) مـاذا يقصـد بالملاءمـة البيئيـة Ecological Adaptation؟ أن يعيش الإنسان مع ظروف بيئية طبيعيـة ويتقبلها ويتكيف معها. وتتجسد صورة ملاءمة الإنسان مـع بيئته بوجود ثلاثة أنواع من البيئات، هي: البيئة الصحراوية، والبيئة الريفية، والبيئة الحضرية (Robert,١٩٨٧،٢٠٠)[٦٣] .

أ- البيئة الصحراوية: هي البيئة التي تتميـز بظـروف طبيعية صعبة، مثل ارتفاع درجة الحرارة، وتنـدر فيهـا الأمطار، وتقل مصادر المياه، وتتسم بالجفاف معظم أوقـات العام. تنمو فيها بعض الحشائش والأعشاب، وأشجار النخيل والنباتات الشوكية والأحلاف، التي لديها القدرة على تحـمل

الجفاف. ويعمل معظم من يسكن هذه المنـاطق فـي تربيـة الحيوانات (الماعز، الخراف، الإبل)، وتستخدم الإبـل فـي التنقل والتجارة؛ نظراً لعدم وجود طرق ممهدة؛ مما يجعـل سير المواصلات صعباً.

ولكن الإنسان استطاع، بالرغم من صـعوبة الظـروف الطبيعية التي تتسم بها البيئة الصحراوية، أن يتلاءم مع هذه البيئة، من خلال استغلاله لظروفها المتاحة له، فاتخذ لنفسـه مسكناً، وهو الخيمة؛ لتحميه من الحرارة صـيفاً، والريـاح والعواصف الرملية والصقيع في فصل الشتاء. ويقوم بتصنيع الخيمة من صوف الحيوان الذي يقـوم بتربيتـه، ويعـيش، ويتغذى على لبنه ولحمه ودهونه. كما استغل جريد النخيـل وجذوعه في تصنيع معظم أثاثه، واستغل الأثل فـي التدفئـة وتسوية وإنضاج الطعام، والنباتات والأعشـاب والأحـلاف كدواء للأمراض.

ب- البيئة الريفية: هي المكان أو البيئـة التـي يعمـل ساكنوها بالنشاط الزراعي، حيث تتوفر مصادر الطبيعة من مياه وتربة صالحة. وتتجسد البيئة الريفيـة فـي المجتمـع المصري في معظم محافظات الدلتا وعلى ضفاف نهر النيل وحول نهري دجلة والفرات (فى العراق) وحول نهر عطبرة (فى السودان)، على سبيل المثال.

وأشهر ما تنتجه هذه البيئة المحاصيل الصيفية والشتوية من خضراوات وفاكهة. إلى جانب ذلك يقوم ساكنوها بتربية الطيور والحيوانات المعاونة للنشاط الزراعي، من البقر والجاموس. وعادة ما ًيستفاد من هذا النشاط في الصناعات المنزلية لمنتجات الألبان (الزبد – القشدة – المسلى – الجبن – الكشك) التي تستخدم للاستهلاك المنزلي. أما ما يزيد على حاجة الأسرة فإنه يتم بيعه في السوق، واستثمار عائده في شراء ما يلزم من سلع أخرى.

ج- **البيئة الحضرية:** يغلب عليها التنوع في النشاط والمهن: فهناك النشاط الصناعي، والنشاط التجاري، والمهن المتنوعة. وتتسم طبيعة العلاقات بسيادة الروح الفردية والنفعية، وتعتمد في أداء معظم نشاطها على المواد الخام من بيئات أخرى كالبيئة الصحراوية، حيث آبار البترول والمناجم (الحديد، الفوسفات، المنجنيز)، والمحاجر (الجرانيت، الأحجار الجيرية، الرخام)، وعلى البيئة الزراعية (القطن والكتان والقمح وقصب السكر والجلود)، وتكثر بها المنشآت الحديثة (مدارس، مستشفيات، عيادات خاصة، كهرباء، صرف صحي).

وتتميز البيئة الحضرية بأنها مناطق جذب لساكني المناطق الريفية والصحراوية؛ الأمر الذى يساهم في ارتفاع الكثافة السكانية، ويتسبب في حدوث عديد من المشاكل

البيئية، كازدحام المواصلات والشوارع، وزيادة معدل التلوث (الصوتي والضوئي)، وزيادة معـدلات الهجـرة والنشـاط الصناعي، وكثرة المواصلات الحديثة: العامـة والخاصـة. ويترتب على كل ما سبق ظهور المناطق العشـوائية، التـي أدت إلى السلوك الانحرافي، وتعدد صور وأنماط الجريمـة في هذه البيئة.

ماذا نقصد بالأخلاق البيئيـة Environmental Ethics؟ هي القواعد السلوكية التي يرتضي المتخصصون في البيئـة الالتزام بها والسير على منوالها في أثناء التفاعل في المواقف البيئية المختلفة؛ بهدف تعامل أفضل مع بيئتنا.

وفي ضوء الطرح السابق، نطرح سؤالاً جوهرياً هـو: كيف السبيل لبلوغ الأهداف المعرفية؟ إن بلوغ هذه الأهداف يتطلب منا عملية تعليمية، تقوم على غرس اتجاهات جديـدة لدى الطفل. وهذا ما سوف نعرض له مـن خـلال الهـدف الثاني من الأهداف الاستراتيجية، وهو الأهداف الوجدانية.

ثانياً: الأهداف الوجدانية: ويتم ذلك من خـلال تعليمـه كيف يلاحظ عناصر البيئة الطبيعية المحيطة، والتي أوجدها الخالق - سبحانه وتعالى - لنا مثل الهواء والمـاء والأرض والنبات والحيوان، التي يعجز الإنسـان أن يصـنع مثلهـا، بالرغم مما وصل إليه من علم وتكنولوجيا. والاتجاهات مـن

أهم الأهداف التي يجب أن نحـرص علـى تحقيقهـا فـي الاستراتيجيات، أو في البرامج التثقيفية والتعليميـة الجيـدة. فالتثقيف البيئي الذي نسعى إلى تحقيقه هنا ما هو إلا تعليم أو تعديل لاتجاهات الطفل، بحيث يتخذ منحى الاحترام لبيئتـه، ويتدرب على التفاعل بسلوك سوي وإيجـابي، قـائم علـى التعاطف والمحبة وتقديره لما في بيئته من عناصر ومكونات حية وغير حية (Robert Cahn, ١٩٧٢،١٩٩)[٦٤].

تعتقد الباحثة أن الاستعانة بالصور أو الأفلام التسجيلية؛ لتجسيد أشكال البيئات المختلفة، وصور التلوث، مع مراعـاة القائم بعرض الصور أو الأفلام (مذيعة التليفزيون، مدرسـة الحضانة) أن يتعمد نقل الإحساس بالأذى والضيق لدى الطفل عند رؤية الدخان المتصاعد من مداخن المصانع أو النـاتج عن حرق القمامة في الشوارع، أو عنـد مشـاهدة التـراب المتصاعد من مداخن مصـانع الأسـمنت، ونقـل الشـعور بالضيق والاشمئزاز عندما يرى مقلب القمامة بجوار مدرسة أو مستشفى أو وسط منطقة آهلة بالسكان.

- **تنمية اتجاه الطفل نحو الجوانب أو القيم الجماليـة فـي البيئة المحيطة به:** وذلك من خلال تقديم صـور أو أفـلام تجسد هذه القيمـة، أو القيـام بزيـارات ميدانيـة للحـدائق والمتنزهات والحقول؛ لمشاهدة المجاري المائية، حيث خرير المياه الطبيعية، مثل القناطر الخيرية.

ثالثاً: الأهداف المهارية

يعلم الطفل بعض المهارات اليدوية، التي تمكنه من التعامـل مع الموارد الطبيعية في بيئته بإيجابية وتعاطف وحكمة. من ذلك مثلاً:

- يعلم الطفل مهارة، كأن يقوم بزراعة بعض النباتات فـي منزلـه، مثل: نبات الفول أو البطاطـا أو البصـل، ويقـوم بنفسـه، أو تحت إشـراف القـائمين بعمليـة التنشئـة (الوالدين، مربية الحضانة)، بتجسيد مراحل الزراعة، كمـا يقوم بتقليد الخطوات، ثم يلقن كيف يرعاها ويحميهـا مـن الجفاف أو العبث بها، حتى تنمو.
- يتعلم الطفل مهارة تربية الطيـور المنزليـة (الكتاكيـت والعصافير) وتربية الأسماك، ويقوم هـو بنفسـه بشـرائها والإشراف على إطعامها وتنظيف مكانها، من خلال معاونـة القائمين على التنشئة، ثم يتدرب على الإشراف عليها بمفرده.
- يتدرب الطفل على مهارة كيفية مشاركة الآخرين في بناء حظيرة لتربية الطيور والحيوانات (الدجاج، البط، الأرانب، الخراف)، ويتعاون في توفير الطعام لها ونظافتها. ويلقـن أثناء ذلك ماذا يحدث لو أغفل أو نسي تقديم الطعام أو المـاء لها، فسوف يتسبب في موتها.
- يتعلم الطفل مهارة المشاركة في تنظيف البيئة المحيطة به،

حجرته في المنزل، الشارع، الحضانة، الحي، وذلـك مـن خلال الحملات القومية، يـوم النظافـة، يـوم الشـجرة أو الأزهار.

- يتعلم الطفل مهارة التمييز بين البيئات المختلفة، من خلال ما تشتهر به كل بيئة من أنشطة.

رابعاً: الأجهزة المشاركة في تنفيذ مقترح التنشـئة البيئية للطفل

١- **الأسرة:** تمثل الأسرة واحدة من المؤسسات التـي تضطلع بوظيفة تنشئـــة الأطفـال. ولكـن هنـا، وطبقـاً لاستراتيجيتنا التي نقترحها، لا نترك مهمـة التنشئة البيئيـة للوالدين للقيام بها وحدهما، وإن كانا هما العمـود الفقـري، ولكن ننظر إلى الأمر من خلال مبدأ تكافؤ الـفرص. فهناك تفاوت في قدرات وإمكانيات الأسر داخل المجتمع المصري، وحيث إننا نهدف من عملية التنشئة البيئية إلى نشر الثقافـة البيئية على المستوى المحلي، فإننا لابد أن نراعي الظـروف الاقتصادية والتعليمية، ومستوى ودرجـة الـوعي الثقـافي للوالدين، وبصفة خاصة الأم. فقـد كشـفت بعـض نتـائج الدراسات الواقعية عن ارتفاع نسبة أمية المرأة فـي معظـم القطاعات الحضرية والريفية والبدوية في مصر. إذن فـنحن في حاجة ماسة إلى السيطرة على هذا الموقـف أو تغييـره.

وهذا في رأيي يكون عن طريق وضع برامج مبتكرة وغير تقليدية في مجال الإعلام، وبالتحديد من خلال البرامج الخاصة بكل من المرأة، والطفل. ونذكر على سبيل المثال ما ترتكز عليه هذه البرامج من غرس أو تعليم عادات واتجاهات خاصة بالآداب، والسلوك البيئي، والصحة البيئية، وذلك على النحو التالي:

- تدرب الأم كيف تكون قدوة في سلوكها تجاه البيئة المنزلية، على وجه الخصوص أمام أطفالها. ويتمثل ذلك في المحافظة على نظافة المنزل داخلياً والبيئة المحيطة من الخارج، بعدم إلقاء القمامة أمام المنزل، أو على السلم، أو من النافذة، والحرص على جمع القمامة في أكياس، أو وضعها في صناديق مغلقة إلى حين يتم التخلص منها، بصورة لا تتسبب في إحداث أي أذى للآخرين من الجيران أو ساكني الحي.
- تلقن الأم عدم رفع صوت المذياع أو أي أجهزة أخرى، مثل جهاز التسجيل أو التليفزيون؛ حتى لا يتسبب في حدوث ضوضاء لأعضاء الأسرة أو الجيران.
- يلقن الأب عدم استخدام آلة التنبيه بالسيارة إلا عند الضرورة.
- تتدرب الأم كيف تتحدث، أو تتناقش، أو تتفاهم مع

الآخرين بصوت منخفض.

- توعى الأم بضرورة المحافظة وعدم الإسراف في استخدام الموارد الطبيعية، مثل المياه، وذلك بالحرص على عدم فـتح صنابير المياه على آخرها، أو أن تُترك مفتوحـة، والتأكيـد دائماً على سلامة الصنابير وصـناديق الطـرد، والإسـراع بإصلاحها في حالة حدوث أي تلف بها؛ لأننا في حاجة إلـى كل قطرة مياه لتعمير الصحاري.

- تلقن الأم بعض العادات الخاصة بالصحة البيئية المنزلية، مثل: مراعاة التهوية اليومية للمنزل؛ لتجديد الهواء، زراعـة بعض النباتات المتسلقة أو نباتـات الزينـة فـي المنـزل؛ للمحافظة على تنقية هوائية، الإقلاع عن عادة التدخين داخل أو خارج المنزل؛ حرصاً على عدم تلوث هـواء المنـزل، وحرصاً على صحة المدخن والمحيطين به مـن الإصـابة بأمراض الجهاز التنفسي، الإقلاع عن عادة إشعـال موقـد الكيروسين في الحجرة شتاء بغرض التدفئة، حتى لا يتسبب في تلويث هواء الحجرة قبل النوم بها، التقليل من اسـتخدام المبيدات الحشرية داخل المنزل؛ حفاظًا علـى عـدم تلـوث الهواء والأدوات المنزلية.

- تلقن الأم ضرورة عزل المريض من أعضاء الأسرة عن بقية الأخوة في النوم وأدوات الطعام، بأن تخصص له

أدوات خاصة عند الإصابة بالأمراض المعدية، وغلي ملابسه في حالة الإصابة بالأمراض الجلدية.

- تلقن الأم ضرورة مراعاة التدريب على عادات النظافة الشخصية، المتمثلة في مراعاة غسل الأيدي بعد قضاء الحاجة أو عند القيام بالطهي، والمداومة على الاستحمام صيفاً وشتاءً، ومراعاة عدم تربية الحيوانات (القطط والكلاب) في المنزل؛ حتى لا تتسبب في إصابة الأطفال بأمراض الحساسية، (وإذا ما رغب في ذلك يراعى أن تربى الحيوانات في مكان خارج المنزل (حديقة المنزل أو سطحه).

- التأكيد على الأمهات بضرورة الإقلاع عن عادة استخدام الأطعمة الجاهزة والمحفوظة، والتشجيع على استخدام الأطعمة الطازجة من خضراوات وفاكهة.

٢- دور الحضانة

إذا كانت الأسرة هي أول المؤسسات التي تقوم بتنشئة الطفل، من حيث غرس البذرة الأولى؛ لتحويله من كائن بيولوجي إلى كائن اجتماعي ثقافي، على دراية نسبية بتقاليد وعادات، وثقافة مجتمعه. فقد أصبحت هناك مؤسسات تشارك الأسرة في دورها ومسئوليتها. ويرجع ذلك إلى خروج المرأة للعمل، فأصبحت دور الحضانة ضرورة ملحة

في المجتمع المصري، خصوصـاً فـي المـدن وعواصـم المحافظات، حيث أصبحت الأسرة النووية هي النمط المميز والأكثر شيوعاً في القطاع الحضري، ولدى بعـض الأسـر المتعلمة في الريف.

والخلاصة أنه أصبح انشغال الآباء بالعمل – أيـاً كـان مستواهما الثقافي والاقتصادي - يعتمد في الأغلب الأعـم على دور الحضانة، وبذلك أصبح أمر إنشاء دور الحضـانة ضرورة في كل من المدينة والقرية على السواء. ولهذا صدر القانون رقم ٥٠ لسنة ١٩٧٧ الخاص بدور الحضانة. (فوزية دياب ١٩٦٥)[٨٧].

ومن الأهداف الأولى للحضانة التركيز علـى رعايـة الأطفال اجتماعياً وصـحياً، وتنميـة مـواهبهم وقـدراتهم، وتهيئتهم بدنياً وثقافياً ونفسياً تهيئة سـليمة لمرحلـة التعلـيم الأساسي، بما يتفق مع أهداف المجتمـع المصـري وقيمـه الدينية، بالإضافة إلى نشر التوعيـة بـين أسـر الأطفـال؛ لتنشئتهم تنشئة سليمة، وتقوية الروابط بين الحضانة وأسـر الأطفال. (اللائحة التنفيذية، ١٩٧٨)[٦٦].

وتدل التجربة، وكذلك الدراسات السابقة علـى أن دور الحضانة قد انحرفت عن الهدف والوظيفة التى مـن أجلهـا أسست هذه المؤسسة التأهيلية للطفل. واتساقاً مـع الهـدف

اللائحي لدور الحضانة، وهدف دراستنا الحالية، سوف تحاول الباحثة في السطور التالية أن تقدم مقترح التنشئة البيئية، الذي يعتمد فيه على إكساب الطفل قبل سن المدرسة بعض القيم والعادات اللازمة للتفاعل مع بيئته بصورة إيجابية، ويكون ذلك على النحو التالي:

١- تدريب الطفل على الحرية

المقصود بالحرية التي يكتسبها الطفل في هذه المرحلة العمرية أنها الحرية المنضبطة، أي تعليم الطفل كيفية الالتزام دون الضعف والاستكانة لأحد، وأن يكون الفرد حراً، مع مراعاة حرية الآخرين، حراً أن يفعل ما لا يؤذي أو يتسبب في ضرر لما يحيط به، مثلاً:

حرية الطفل في أن يجري في فناء الحضانة، حر أن يلعب بالكرة، ولكنه ليس حراً أن يقطف الزهور المزروعة بحوض حديقة الحضانة، ليس حراً أن يكسر زجاج النافذه بالكرة، أو أن يكتب أو يرسم على جدران الفصل. لابد أن يلقن الطفل من خلال المربية بدار الحضانة أن الحرية والنشاط لا يستقيمان إلا ضمن حرية ونشاط الآخرين. (إبراهيم المنوفي، ١٩٩٢، ٢٠ – ٢٢ يناير، ٣٥٥)[٦٧]. ولذا يراعى عند تعليم الطفل كيف تكون الحرية، إتاحة الفرصة له للمناقشة والحوار، مع مراعاة الاهتمام بالميول، وعدم

تعريضه للعقاب الجسدي أو المعنـوي (Peter , R,s.١٩٧٥, ١٣٥)[٦٨].

وطبعاً لن تنجح التنشئة في إكساب قيمة الحرية للطفـل في هذه المرحلة العمرية، ما لم تتح لكل طفل فرصة التعبير عن رأيه ومناقشته، في مناخ سليم وديمقراطي، مع مراعـاة عدم إصدار أي أحكام مسبقة من جانب المربـي؛ حتـى لا تكبت آراء الطفل؛ ذلك لأن كبت الآراء يتسبب في اعـتلال واهتزاز في شخصية الطفل، بل ويجعل هـذا الطفـل فـي مراحل عمره التالية مستبدا مع من يتعامل معهم فـي بيئتـه (محمد صديق حمادة، ١٩٩٠، ٢٩٢- ٢٩٣)[٦٩].

ولكي يتحقق الاتساق في طريقة معاملة الطفل داخل دار الحضانة، ومع الوالدين في أسرته، نوصي بضرورة طبـع كتيبات في هذا الصدد توزيع على الآباء والعاملين فـي دور الحضانة، وإعداد برامج تذاع بالتليفزيون تخاطب القـائمين بتنشئة الطفل في كافة الثقافات الفرعية، وتتلاءم مع مختلـف المستويات التعليمية والثقافية.

٢- تدريب الطفل على التعاون

قيمة التعاون من أهم القيم التي يجب أن يراعى غرسها في الطفل في هذه المرحلة من نموه؛ لأننا بنجاحنا في غرس هذه القيمة نكون قد دربناه ألا يكون أنانياً، وكيـف يحتـرم

حقوق الغير، وكيف يتلاءم مع أفراد أسرته وزملائـه فـي الحضانة ثم المدرسة، ثم مع بيئته التي يعيش فيها.

إفهام الطفل ضرورة أن القيام بعمل جماعي، مثلاً: بناء مسكن، تصنيع سيارة، زراعة حوض الزهور بالحضانة، لا يتم إلا بتعاون الآخرين، مثلاً: (عشان نعمل عشة أو حظيرة لتربية حيوانات البيئة، فلابد من أن يتعاون كل مـن الفـلاح الذي يقوم بزراعة الشجرة، ويقوم التاجر بشراء الخشب من الفلاح، يليه النجار الذي يقوم بعملية صنع الحظيرة). ويعقب هذه الخطوة الذهاب إلى السوق؛ لشراء الحيوانـات المـراد تربيتها، ثم يتعاون كل أعضـاء المنـزل لتـوفير الطعـام والشراب لهذه الحيوانات، حتى تكبر وتنتج لنا إنتاجاً يمكـن استخدامه في الاستهلاك الأسري أو بيعه في السوق.

ويمكن للمربي أن يجسد هذه القيمة من خـلال نشـاط اللعب، بأن يقوم بتقسيم أطفال الحضانة إلى مجموعتين، كل مجموعة تمثل فريقاً. وسنلاحظ تعاون أعضاء كل مجموعـة على حدة؛ من أجل إحراز هدف في مرمى الفريق الآخر.

التدريب على حب البيئة وعناصرها

تتمثل قيمة حب البيئة في المشاعر الطيبـة والإيجابيـة تجاه البيئة ومكوناتها وعناصرها. وتعتبر مؤسسات تنشـئة الطفل – بدءاً من الأسرة ومروراً بالحضانة، ثم المدرسـة –

مسئولة عن الهدر والتلوث الـذي أصـاب البيئـة المحليـة والعالمية في هذا العصر. فلو أن الآباء والأمهات والمعلمين لقنوا الطفل، وعلموه كيف يحب بيئتـه، وكيـف يتعامـل، ويتفاعل معها بإيجابية، لأمدته البيئة بمتطلبات حياته (هـواء نقي، ماء نقي، زرع نقي). وهذا يتطلب من الطفل أو الشاب البالغ والمسن أن يكون صديقاً للبيئة، وليس مفسداً أو مستفزاً لها.

ولكي يتم ذلك لابد أن تتضافر مؤسسات التنشئة؛ لكـي تغرس في نفس الطفل حبه للبيئة، وذلك مـن خـلال: مـده بالمعلومات عن البيئة وأنواعهـا، وخصـائص كـل بيئـة، وتعريفه أيضاً بأنواع العقوبات التي سوف تقـع علـى مـن يخالف أو يؤذي البيئة.

وتعتقد الباحثة أن القصة يمكن أن تلعب دوراً أساسـياً وجوهرياً في غـرس قيمة الحب للبيئة لدى الأطفال، خاصة في مرحلة ما قبل المدرسة، سواء كان ذلك في الأسـرة، أو الحضانة. ويرجع السبب في ذلك إلى أن الأطفال فـي هـذه المرحلة العمرية يكونون أكثر إقبالاً علـى سـماع القصـة، ويلجأون دائماً إلى المربية أو الوالدين والأجـداد؛ ليقصـوا عليهم القصص. والقصة في هذه الحالـة يجـب أن تكـون خيالية، يلعب فيها الخيال دوراً أساسياً، بأن يجعل عناصـر البيئة (الطيور والحيوانات والجبال والنهر) تتكلم، وتعبر عن

فرحتها عندما يتقدم الطفل لكي يروي حوضاً بـه زهـور، وتتألم عندما يحاول آخر قطع زهرة، أو يقوم بإلقاء ما يفسد ماء النيل في النيل، ويسهم في تغييـر طعمـه أو رائحتـه. (Egan , Kieran , ١٩٨٨,P.٢)[(٧٠)].

٣- وسائل الاتصال الجماهيري والتنشئة البيئية

يمكن أن تسهم وسائل الاتصال الجماهيري بدور كبيـر وجوهري في التثقيف البيئي للطفل وللقائمين على تنشـئته، خصوصاً بعد ثورة المعلومات التي شهدها العـالم. ويرجـع ذلك إلى تنوع وسائل الاتصال وسهولة استخدامها، من حيث الكم الهائل والتنوع الشديد فيما تقدمه من معلومات تـؤثر - بلا شك - على الطفل من قريب وبعيد. وسوف نقصر حديثنا وتركيزنا في هذه الدراسة على دور التليفزيون؛ باعتباره من وسائل الاتصال الجماهيري، وذلك يرجع إلى عدة اعتبارات، هي:

- تؤكد نتائج بعض الدراسات عن التليفزيون على أنه هـو الوسيلة الجماهيرية الوحيدة التي أثبتت قدرة فائقة في جـذب الانتباه وإثارة اهتمام البالغين والأطفال.

- يمثل هذا الجهاز أهم ما أنجـزه العلم والتكنولوجـيا الحديثة خلال القرن الماضي (ماجى الحلـواني، ١٩٩٢، ص ٢)[(٧١)].

يتبلور دور التليفزيون في استراتيجيتنا المقترحة لتلقين الثقافة البيئية للطفل والقائمين على تنشئته، بالإضافة إلى أن التليفزيون له القدرة على تغطية القصور في دور الأسرة في التنشئة البيئية، في ظل انتشار الأمية بين كثير من الأمهات والآباء في البيئات المختلفة، حضرية، ريفية، بدوية، (ألفت حقنى، عالم الفكر، ١٩٧٩، ٣٣)[٧٢].

وتأكيداً لما سبق، تشير نتائج إحدى الدراسات إلى أن نسبة من يشاهدون التليفزيون بصفة عامة ودائمة بلغت قرابة ٩١% في مقابل ٩٤,٤% يفضلون مشاهدة برامج الأطفال. وذلك تأكيداً على نجاح هذه الوسيلة دون غيرها من وسائل الاتصال الجماهيري في التأثير وجذب الأطفال إليه. ولذلك تعتقد الباحثة أنه يمكن أن تعد برامج مبتكرة وجديدة خصيصاً للتثقيف والتنشئة البيئية لكل من الطفل والقائمين على تنشئته، وأفلام تسجيلية خاصة بدور الحضانة تعاون المربين في تجسيد القيم والمفاهيم الأساسية للبيئة (سبق وأن تحدثنا عنها)، وملازمة للتعليم والثقافة البيئية. من ذلك – على سبيل المثال لا الحصر – أن يقوم التليفزيون بإنتاج أفلام عن عناصر الطبيعة الحية التي تبرز دورة حياة النباتات والحيوانات، والتركيز على تصوير البراري والمناظر الطبيعية والغابات والشواطئ، وما بها من طيور وحيوانات

وزواحف، وأشجار وأعشاب، وإلقاء الضوء على فوائد هـذه العناصر داخل النظام البيئي.

ولذا توصي الباحثة بضرورة العمل على توظيف عديد من برامج الأطفـال التي تعرض عبـر القنـوات الـثلاث بالتليفزيون، والتي قد تصل إلى قرابـة ٩٠% مـن بـرامج الرسوم المتحركة في مقدمة القوالب الفنية التي تلائم بـرامج الأطفال، والتي يمكن أن تقدم من خلالها الأهداف المعرفيـة والوجدانية من استراتيجيتنا المقترحة للتنشئة البيئيـة، كمـا يمثل ٨٠% من نسبة دراما برامج الأطفال في مقدمة أنـواع الدراما التي يفضل الطفل مشاهدتها، يمكـن أن تقـدم مـن خلالها الأهداف (الوجدانية والمهارية) (صبري هاشم محمود هاشم، ١٩٩٩، ١٧٦ - ١٨٣)[٧٣].

كما ترى الباحثة أنه يمكن اسـتغلال بـرامج الأطفـال لعرض الأناشيد والأغاني المعدة خصيصاً لتعريـف الطفـل بعناصر بيئته، بحيث تجعل من عناصر البيئة الحية وغيـر الحية لسان حال تتحدث فيه عـن سـلوك البشـر السـلبي والإيجابي تجاهها، أو تجسيد كل عنصر من العناصر البيئية ووظيفته وفائدته بالنسبة إلى الإنسان والنظام البيئي.

٤ - المتاحف

تمثل المتاحف واحداً من الأجهزة التابعة لوزارة الثقافة،

كما تعد من الوسائل التربويـة لنشـر المعرفـة أو الـوعي (شارلوت سيمور-سميث، ١٩٩٩، ٦٠٤)[٧٤]؛ وذلك لما تقوم به من دور في نقل الثقافة بين الأجيال بأكملها، ومنها إلـى الأجيال التي تليها، بالإضافة إلى تجسيدها لخصائص وسمات الحياة الاجتماعية والثقافية والاقتصادية والسياسية لكل حقبـة زمنية من تاريخ الشعب. فهى تقوم بدور هام وجوهري فـي تدعيم عملية الاتصال بالتراث الحضاري بيـن أجيال الأمس بأجيال اليوم والغد (حمدية أحمد، ١٩٩٣، ٥٤٠)[٧٥].

وتعتقد الباحثة أنه يمكن استغلال خصائص ومقومـات ووظيفة المتاحف في نقل وتبسيط الثقافة البيئيـة موضـوع دراستنا الحالية، ففي رأيي سوف تكـون المتـاحف أكثـر الوسائل الثقافية جدوى وملاءمة، من حيث إن الرموز والقيم المجسدة التي يراها الطفل من حوله عند زيارته للمتـاحف، التي تعد خصيصاً للبيئات المختلفة (ريفية، حضرية، بدوية، ساحلية) بما لها وما عليها، سوف تثبت في مخيلته من خلال ما يشاهده من مجسمات فنية ملونة، تعبر عـن الخصـائص والسمات والمقومات الأساسية لكل بيئة في مصر، إلى جانب إبراز علاقة الإنسان أثناء تفاعله داخل بيئته بشكل فني؛ لأن الفن ما هو إلا لسان حال للحياة، وهو الدليل النـاطق لهـا، وهو جزء لا ينفصل عن الفكر الإنساني، مؤثراً في العمـل والتفاعل المستمر الذي مارسه الإنسان منـذ وجـوده علـى

الأرض. فكل ما أنتجه الإنسان منذ أقدم العصور إلى الآن هو ما تتطلبه الحاجة إليه (ألفت حقى، ١٩٧٩، ٢٣٠)[٧٦].

• ولذا نناشد العاملين في وزارة الثقافة - خصوصًا العاملين في المتاحف - أن يكثروا من تجهيز المتاحف المعبرة عن بيئاتنا المختلفة، إلى جانب الاهتمام بإعداد مجسمات فنية عن عناصر البيئة الطبيعية (أنواع الجبال، الهضاب، الغابات، مصادر المياه الطبيعية والصناعية، النباتات بأنواعها وألوانها وأحجامها المختلفة، الحيوانات المختلفة طبقاً لبيئاتها الطبيعية: حيوانات بحرية وبرية وصحراوية).

• كما نناشد الوزارة بعمل المتاحف المفتوحة التي تعرض فيها نماذج للبيئات المختلفة (الريف والحضر والبدو)، وتجسد من خلالها الموارد والمعالم والسمات الطبيعية المميزة لكل بيئة منها.

• التأكيد على إعادة تنشيط فكرة المتاحف الإثنوجرافية والفولكلورية[*]؛ ليعرض فيها التراث الخاص لكل بيئة من

(*) عرفت مصر المتاحف الإثنوجرافية والفولكلورية منذ نهاية القرن الماضي، وبالتحديد عام ١٩٥٢، إلا أن معظم هذه المتاحف قد صادفها كثير من المشاكل والصعوبات تسببت في إعاقة تطورها؛ وذلك بسبب ضآلة التمويل ونقص الخبرة وتدريب العاملين بها.

بيئاتنا كنوع من التثقيف البيئي لأطفالنا، وتعرف تراث آبائهم وأجدادهم؛ ولتوثيق علاقاتهم بهم.

- التوصية بضرورة إعداد مجسمات فنية لتجسيد مشـاكل الهدر البيئي التي أصابت كلاً من البيئة الريفية والصحراوية والحضرية (تصحر، تملح الأرض الزراعية، ازدحام، تلوث، زيادة السكان).

- إعداد مجسمات تجسد مشكلة التلوث بصورها المختلفـة: غازات وعوادم المصانع الضارة التي تتسـبب فـي تلـوث الهواء، والمواد الكيماوية التي لم تكن تعرفها البيئة، ثم ألقت بها المصانع في البحيرات والأنهار، فتسببت في تلوث المياه، إسراف الناس في استخدام المبيدات الحشرية والمخصـبات الزراعية، التي أسهمت فـي تلـوث التربـة واسـتهلاكها، فأصبحت بعض الأراضي الزراعية غير قادرة على الإنتاج، فيتسبب ذلك، مع العوامل الأخرى في ظاهرة التصحر.

- يمكن توفير تسجيلات صوتية لعناصر النظـام البيئـي بمكوناته الحية وغير الحية، بحيث يتحـدث كـل عنصـر؛ ليعرف نفسه ودوره في النظام البيئـي، وفوائـده للإنسـان، ويحاور الطفل بطرح مجموعة من الأسئلة. من ذلك:

س: ماذا يحدث لو أن المطر لم ينزل؟

س: ماذا يحدث لو أن الزرع لم ينبت؟

س: ماذا يحدث لو حجب الهواء عن الناس؟

ويحاول العاملون في المتاحف حث الأطفال على الإجابة عن هذه الأسئلة، وإعطائهم الفرصة؛ حتى يصلوا إلى الإجابة بأنفسهم، بعد أن يفهم كل منهم دور وطبيعة كل عنصر.

- كما تجهز المتاحف صوراً وأفلاماً تسجيلية تجسد أنواع التلوث البيئي: البصري، السمعي، الضوضاء.

١- **التلوث البصري**: هو كل المحيطات المرئية حول الطفل التي تفتقد للذوق والجمال المتلائم مع البيئة، ومن ثم أفسدت الرؤية البصرية، بما يؤثر على الوجدان وسلوك الطفل، حتى لا يستطيع التفريق بين ما هو جميل وما هو قبيح.

- **من نماذج التلوث البصري:** ما نراه على سبيل المثال لا الحصر في الميادين الرئيسية بعواصم المدن، وبالتحديد مدينة القاهرة. التناقض البصري للأشكال المعمارية من حيث الحجم واللون. بمعنى أن هناك عمارات ذات ارتفاع شاهق تجاورها بيوت صغيرة؛ مما يترتب عليه تباين بصري بين كبير الحجم والصغير وغير مناسب الحجم. وهناك عمارات لم تستكمل، بناؤها متروك للمستقبل، بالإضافة إلى تعدد الطرز المعمارية وتباينها، والتي لا ترتبط بأي نظام، بل تعتمد على العشوائية في الذوق.

كذلك نجد أن الألوان المستخدمة لطلاء المساكن والأبنية بصفة عامة تخلو من التناسق والتناغم، أي أنها بعيـدة عـن التذوق الجمالي، معظم الألوان مستخدمة بأسلوب عشـوائي يؤذي البصر، فنجد – على سبيل المثال – أن عمارة كان لها لون معين عند بنائها، ولكن أراد السكان تجديد الألوان، فيقوم كل ساكن باختيار لون يخرج عن النظام اللـوني الخـارجي للعمارة، والذي يمثل في الوقت نفسه وحدة اللون المعمـاري الخارجي، الذي يفترض أنه واحد. بل إنه مـن المسـلمات للنظام المعمارية الصحيحة مراعاة ألوان العمارات المجاورة وانتقاء اللون المناسب لها؛ لأنها في مجموعها تمثل واجهـة معمارية كبيرة، والنتيجة أن تضيع الوحدة البصـرية، بـل وتسود فوضى بصريـة، مما يؤدي إلى التلـوث البصـري (محمد حسن ١٩٩٣، ١٠- ١٣)[٧٧].

أما النموذج الثاني للتلوث في الشـارع المصـري مـا تعكسه فوضى الإعلانات من حيث التصميم، فهناك واجهات محلات تعتمد على الإعلانات المكتوبة أو الكهربية (اللافتات والإعلانات)، فتارة تكون بلغة أجنبية وتارة أخـرى باللغـة العربية، وثالثة بالعامية. ومفاد الكلام من هذه النماذج هو أن الإخلال بالإدراك البصري والتشويش على الرؤية المحيطـة بالطفل يمثل أقصى صور التلوث البصري.

ومن أمثلة على التلوث البيئي: عدم الالتزام في التخطيط

البيئي بالقواعد والأسس لإقامة التجمعات السكنية (قريـة أو مدينة)، ولذا كثيراً ما نجد إقامة مستشفى أو مركز علاجـي بجوار ورش، أو إقامة مصانع داخل حارات وشوارع المدن.

ب- التلوث السمعي (الضوضاء)(*)

يقصد به كل المحيطات السمعية حول الطفل التي تسبب إيذاء جهازه السمعي، ومن آثاره كلما ارتفعـت الأصـوات، وتزايدت الضوضاء في البيئة، كلما فسدت القدرة السـمعية. ويعتبر التلوث السمعي عنصراً مستحدثاً من عناصر التلوث البيئي، ذا علاقة بمناطق التجمعات السكنية، التي تزدحم بها المباني، وتكتظ بالسكان والمناطق الصناعية ومن عوامله:

- تعاني المدن الكبرى من الأصوات الصادرة من عشرات وآلاف السيارات ووسائل النقل الأخرى، التي تنطلـق فـي شوارع المدن.
- ضوضاء آلات الحفر المستخدمة فـي أعمـال التشـييد والبناء.
- الضوضاء الصادرة عـن مختلـف المحـال التجاريـة والمحال الصناعية الصغيرة، مثل الورش والمسابك.

(*) من آثار الضوضاء على صحة الطفل، تشير بعض الدراسات إلى أن الضوضاء الشديدة تسبب نوعين من الضرر: الأول الصمم المؤقت، والثاني ضعف حاسـة السمع أو فقدانها.

- أجهزة المذياع والتليفزيون وأجهزة التسجيل المنتشرة في المحال التجارية والمنازل والمقاهي وفي كل مكان.
- اعتياد الناس استخدام مكبرات الصوت وأجهزة التسجيل والمذياع للتعبير عن مشاعرهم الحزينة والمفرحة. فمن العادات السيئة في أفراحنا تتجمع السيارات والدراجات البخارية، وتسير في زفة العروس مستخدمة آلات التنبيه بصوت عالٍ؛ للإعلان عن مرور زفة العروس بالشارع. كذلك الأمر عند فوز أحد الأندية الكبرى بالقاهرة (الأهلي أو الزمالك). يخرج المشجعون إلى الشوارع؛ للإعلان عن فرحة الفوز باستخدام آلات التنبيه بالسيارات ومكبرات الصوت. وكذلك الأمر بالنسبة إلى المآتم، بالإضافة إلى اعتياد فئة من الشباب رفع صوت جهاز الاستريو بالسيارة.

وبعد عرض نماذج من الثلوث البيئي، سواء من خلال الصورة أو الفيلم أو المجسمات، يقوم العاملون بالمتحف باستثارة إحساس الأطفال الزائرين للمتحف؛ للتعبير عن مشاعرهم وانطباعاتهم لصور التلوث، إلى جانب إعطائهم الوقت الكافي للمشاهدة؛ للتعليق والسؤال والمناقشة، ومحاولة الرد على استفساراتهم، حتى يمكن أن يصل الطفل بنفسه إلى وضع حلول للتصدي لهذا التلوث، وبذلك نغرس في نفوس الأبناء اتجاهات المسئولية نحو البيئة وكيفية الحفاظ عليها والمشاركة في حل مشاكلها.

ولذا نناشد القائمين على تنشئة الطفل في كل من الأسرة ودور الحضانة ضرورة عمل زيارات ميدانيـة للمتـاحف (متحف الشمع - المتحف الزراعي) ومـا يسـتحدث مـن متاحف أخرى. كما نناشد وزارة الثقافـة أن تقـوم بإعـداد متاحف مفتوحة تجسد فيها جميع العناصر البيئية الحية وغير الحية والبيئات المختلفة في مصر.

التوعية البيئية

تتعدد صور التوعية البيئية، وتتكامـل جميـع أجهـزة التنشئة في إنجازها لما يلي:

- دعوة جميع الجهـات الحكوميـة لتخصـيص جـوائز للمؤسسات الخيرية الخاصة لمن يسهم فـي نشـاط، ويقـوم بخدمات بارزة، تساعد في المحافظة على البيئـة وترشـيد استخدام مواردها.

- تنظيم الاحتفال بعيد الشجرة، ودعوة جميع رؤساء الأحياء في المدن لتخصيص يوم من كل عام، يتم فيه زرع الأشجار في الأحياء السكنية أو الطرق العامة أو على حدود المدينـة. كما يتم في هذا اليوم إلقاء محاضرات على مستوى رئاسـة الحي، تتناول الحديث عن الشجرة وأهميتها كمنـتج للغـذاء والأخشاب والألياف ومصدات للرياح وتنقية الهواء وحمايـة التربة.

٥- الإنتاج السينمائي للأفلام التسجيلية

يسهم الإنتاج السينمائي للأفلام التسجيلية بـدور هـام - باعتباره واحدًا من التقنيات السمعية والبصرية التابعة لوزارة الثقافة - في توعية المواطنين بقضايا البيئة وحـثهم علـى المحافظة عليها وحمايتها. وقد لجأت بعـض الـدول إلـى استغلال هذا المجال في التوعية والتثقيف البيئي. مـن ذلـك على سبيل المثال: دعوة تشيكوسلوفاكيا كل عام إلى مهرجان دولي للأفلام الخاصة بالبيئة والمعروفة بـالإيكو فـيلم Eco Film. ولم لا نستفيد نحن في مصر بهذه التجربـة؛ لتحقيـق التوعية والتثقيف البيئي الذي تبغيه دراستنا الحالية ؟

لذا نناشد المسئولين بوزارة الثقافة أن يوضـع ضـمن خطة الوزارة إقامة مهرجان سنوي خاص بأفلام البيئة فـي مصر، تدعو إليه جميع الدول للمشاركـة؛ لتبادل الخبـرات بين تلك الدول المهتمة بقضايا البيئة وحمايتهـا وتحسـينها. وفي اعتقادي أن مثل هذا المهرجان سيسهم في إنشاء بنـك للمعلومات عن البيئة؛ لأنه يدعم مزيداً مـن إنتـاج الأفـلام التسجيلية في مجال التوعية والتثقيف والتربية البيئية.

٦- مسرح العرائس

مسرح العرائس فن مسرحي كامل تلتقي فيه فنون التعبير المختلفة من كلمة وموسيقى ورسم ونحت وتصوير وأزيـاء

وتصميم وديكور، كما أنه الفن الذي يجمـع بـين الأسـاس العلمي والحرفية المتعلمة، وبين البساطة من حيث إنه الفـن الوحيد الذي يستطيع كل إنسان أن يمارسه بأبسـط الطـرق وعلى أضيق نطاق. أي أنه في متناول كـل شـخص وأداة للتعبير لكل إنسان؛ لأن القائم به يعتمد فـي نقـل رسـالته التثقيفية والتربوية على العروسة أو الدمية، التي هي في حد ذاتها فن تشكيلي تطبيقي، بالإضافة إلـى كونهـا عنصـراً زخرفياً بما بها من عناصر وألوان وأشكال، إلى جانب أنهـا تصوير لملامح وتعبيرات الشخصية التي تقـوم بتمثيلهـا أو أداء دورها، كما هي قوالب (فـرم) وتشـكيل مـن حيـث الملابس والإكسسوارات والأزياء والديكور.

والعروسة (الأراجوز) ومسرح العرائس التعليمي الـذي نحن بصدده يمكن أن توظف لتحقيق هدف دراستنا الحاليـة، وهو التثقيف البيئي للطفل في جميـع القطاعـات والبيئـات المختلفة، وباختلاف الشرائح الطبقيـة، وعلـى المسـتويين الميكرو والماكرو، وذلك من خلال ربط مضمون وعناصـر التنشئة الثقافية المراد بثها في عقول ونفوس أطفالنا بالشـكل الشعبي الأسطوري أو القصص المعبرة عنه (راجي عنايت، ١٩٦٢، ٣٥)[٧٨].

وهنا يطرح سؤال هام: لماذا يحب الأطفال هـذا الفـن القائم على الدمية أو العروسة؟ والجواب يتمثل في أن إدراك

الأطفال للظواهر لا يضع حدوداً فاصلة بين الخيال والواقع، وبين الحلم والحقيقة. ففي مخيلة الطفل تعيش الدمية، وهو يعاملها على أساس أنه يمزج من خلالها بين المستحيل والممكن. كما يميل الطفل بصورة عامة إلى أن يفسر العالم الذي حوله، ابتداء من ذاته هو والمقاومة معها ضد المخاطر البيئية. ويحب الطفل أن يعطي صفات للأشياء التي تحيط به، وهو بذلك إنما يؤكد ذاته، والحياة هي أبرز ما يمنحه الطفل للأشياء المحيطة به، ففي نظر الطفل تعيش الدمية، وهو يعاملها على هذا الأساس، وتراه يقول: "الدمية جائعة" أو "حزينة" أو "زعلانة "، وتبعاً للحال تكون إما شرسة أو عطوفة أو عاقلة. ويداعب الطفل الدمية، ثم يعاقبها، وهي في نظره حية إلى حد أنه لا يقبل بأي حجة منطقية يمكن أن تزعزعه في هذا اللعب.

ومفاد القول أن السر في الدمية هو هذا النوع من الإدراك عند الأطفال، وهنا نصل إلى إجابة السؤال المطروح سلفاً: أن الدمية التي نراها جامدة في عالم الكبار، يجعلها الطفل حية حياة كاملة في عالمه هو.

وفي ضوء ما تقدم، سنجد أن فن العرائس لون فني ليس للترفيه والتسلية فقط، ولكنه في نفس الوقت وسيلة تربوية وتثقيفية لنقل المعلومات وإسداء النصح والإرشاد نحو عادات وسلوكيات مرغوبة أو غير مرغوبة في حياتنا،

وذلك من خلال تقديم المعلومة المرغـوب فيهـا، وغـرس أصعب الأفكار والقيم بأسلوب لطيف. وفي هذا الصدد يقول العالم جون كوادليه:

"ليس للدمية حياة إلا تلك التي تستمدها مـن الحركـة، وتأتي القصة فتبعث فيها الروح، فكأنها خيـال يسـتفيق إذا حدثته عن كل ما فعله، ولا يلبث بالذكرى أن يعيش القصـة في الحاضر. إنها أكثر من ممثل يتكلم. إنها كلمة تتحـرك". (جوزيت هوللر ١٩٨٠، ٦٥)[٧٩].

وتأسيساً على الطـرح السـابق، يمكننـا أن نسـتثمر خصائص ومقومات مسـرح العرائس في تحقيق الهدف من دراستنا الحالية، وهي عملية التنشئة البيئية، وذلك من خـلال إعداد أو تأليف نصوص مسرحية أو سيناريو لقصة خياليـة عن الطبيعة، التي تحكي عن حالها قـديماً، ومـاذا أصـابها حديثًا بسبب تعدي الإنسان وهتك أمنها وسلامتها، واستنزاف مواردها، حتى صارت تصرخ وتتألم مما أصابها من تدهور وفساد.

النتائـج

في ضوء ما أسفرت عنه الدراسة في إطارها النظري، عن أسباب التدهور والتلوث البيئي، على المستويين العالمي

والمحلي، يمكن أن نستخلص النتائج التالية:

١- يمثل التقدم الصناعي والتكنولوجي الحديث - الذي ترتب عليه استخدام عديد من وسائل الإنتاج الحديث فـي المـدن المتقدمة - آثاراً بيئية بالـغة الخطورة تتمثل فـي التلـوث البيئي، الذي جهزه إنسان المدنية الحديثة لنفسه، ولغيره مـن الذين يعيشون بعيداً عن المدن.

٢- أن المزج بين الاشتراكية والرأسمالية يعد بمثابة الأسباب البنائية الرئيسية في إبراز أسـوأ التـأثيرات البيئيـة علـى الصناعة، وعلى التوسع الديموجرافي الإحصائي في السكان.

٣- تمثل الصناعية السبب البنائي وليس المباشـر المسـئول عن التدهور البيئي.

٤- أما عن أسباب التدهور من وجهة نظر "جيدنز" فترجـع إلى وجود نوعين من البيئة الاصطناعية:

الأول: البيئة الإنشائية العمرانية.

الثاني: البيئة الاصطناعية اللاعمرانية.

ومفاد القول الذي وصلنا إليه من خـلال دراسـتنا، أن نؤكد على أن التربية والتنشئة هي الأداة التي يمكن أن تنقـذ البشرية جميعها مما تعانيه الآن من سلبيات تجاه المعاملة مع مقومات البيئة. فهل آن الأوان لكي نبدأ بتربية أطفالنا اليـوم

لكي يعيشوا ويتكيفوا مع بيئتهم؟

* * *

المراجع

١- **حامد عمار:** من قضايا الأزمة التربوية، وجهة نظر، القاهرة، دار سعاد الصباح للنشر والتوزيع، ١٩٩٢.

٢- **فان داليـن:** مناهج البحث في التربية، ترجمة دكتور محمد نبيـل نوفل وآخرين، القاهرة، مكتبة الأنجلو المصرية، ١٩٧٧.

٣- **مرجريت ميد:** النمو والتربية في المجتمعات البدائية، ترجمة نعمت محمد عيد، دار النهضة العربية، القاهرة، (بدون سنة نشر).
Growing up in New Guinea

٤- **Hamed Ammar,** Growing up in Egyptian Village, Silwa, Province of Aswan, Rout ledge and Kegan Paul, London, ١٩٥٤.

٥- **Walter L. Slocum,** socialization an social control in an agricultural environment, in agricultural sociology, A study of sociological aspects of American farm life, New York, ١٩٦٢, P.P. ٢١١-٢١٨.

٦- **أحمد أبو زيد:** أبحاث الإنسان المصري، مقومات الطابع القـومي المصري. التنشـئة الاجتماعيـة واحتياجـات الطفولـة، جامعـة الإسكندرية، كلية الآداب، قسم الأنثروبولوجيا، ١٩٧٩.

٧- **علياء شكري وآخرون:** المرأة في الريـف والحضـر، دراسـة لأنماط العمل والتغيرات السكانية، تقرير أولي، مركـز البحـوث والتنمية والتخطيط التكنولوجي، جامعة القاهرة، ١٩٨٥.

٨- **نجوى عبد الحميد:** دراسة أنثروبولوجية مقارنة لأنمـاط التنشـئة

الاجتماعية في مجتمع محلي بدوي ومجتمع محلي ريفي في مصر، رسالة دكتوراه غير منشورة، كلية البنات، جامعة عين شمس، ١٩٨٦.

٩- **سهير حسين إبراهيم:** المرأة والتنشئة الاجتماعية في المجتمعات البدوية، دراسة أنثروبولوجية في منطقة الحمام بالصحراء الغربية المصرية، رسالة ماجستير، كلية الآداب، جامعة الإسكندرية، إشراف فاروق أحمد مصطفى، ١٩٩٠.

١٠- نذكر من هذه الرسائل:

- **سنية محمد عبد الرحمن الشافعي:** برنامج مقترح في التربية البيئية لطلاب كلية التربية، رسالة دكتوراه غير منشورة، كلية التربية، جامعة عين شمس، ١٩٩٠.
- **سهير أنيس درباس:** الوعي البيئي لدى طلاب كلية التربية، رسالة ماجستير غير منشورة، معهد الدراسات والبحوث البيئية، جامعة عين شمس، ١٩٩٠.
- **وفاء محمد أحمد سلامة:** برنامج مقترح لتنمية بعض مفاهيم التربية البيئية بالمرحلة الإعدادية، رسالة دكتوراه غير منشورة، كلية التربية، جامعة عين شمس، ١٩٨١.
- **وهيب مرقص:** دراسة تجريبية لوحدة دراسية في التربية البيئية لتلاميذ الصف الثاني الثانوي بمدارس مدينة طنطا، رسالة دكتوراه، كلية التربية، جامعة طنطا، ١٩٨٠.
- **سعيد محمد محمد السعيد:** بناء وحدة مرجعية في التربية البيئية لطلاب المدارس الثانوية الزراعية، رسالة ماجستير غير منشورة،

كلية التربية جامعة عين شمس، ١٩٨١.
١١- **الأمم المتحدة:** تقرير الأمم المتحدة للتنمية والبيئة فـي ريـودى جانيرو من ٣:١٦ يونيه ١٩٩٢، الهيئة العامة للاستعلامات، وزارة الإعلام، ج.م.ع.
١٢- **ك.م ستيك وآخرون:** المعيشة في البيئة، ترجمة مكتب اليونسكو الإقليمي للتربية في الدول العربية بعمان، ومؤسسة الكويت للتقـدم العلمي، الكويت، ١٩٩٠

١٣- **Eckersley. R.** Environmentalism and Political Theory Forwards an Ecocentric Approach, London, ١٩٩٢.

١٤- Adam Kuper and Jessica Kuper, ١٩٩٦, P.P. ٢٥٠-٢٥١.

١٥-**Oriordam,** ed, Environmental science for Environmental Management, Har low, ١٩٩٤.

١٦- **عبد المحسن صالح:** المدينة الحديثة ومشكلات التلـوث، مجلـة عالم الفكر، المجلد الثاني، العدد الثالث، ١٩٨٥.

١٧- **John Barry,** Environment and Social Theory, London and New York, ١٩٩٩.

١٨- **Antony Giddens, C**apitalism, Industrialism and The Trans Formation of Nature in Social Theory And Environment, David Goldblatt,١٩٩٩, USA.

١٩- **Eckersley, R,** Environmental and Political Theory Towards an Ecocentric Approach, London,

١٩٩٢.
٢٠- **Eckersley, R,** ١٩٩٢.
٢١- **Marray Boockchin,** ١٩٩٨.
٢٢- **David Gold blatt,** ١٩٩٩.
٢٣- **Pearce, D. W. and Turner,** R.K. Economical of Environment and Natural Resources, Hemel Hempstead, ١٩٩٠.

٢٤- **John Barry,** Environment and Social Theory, London and New York, ١٩٩٩.
٢٥- **Dobson, A.** Green Political Thought, London, ١٩٩٠.
٢٦- **Antony Giddens,** Capitalism, Industrialism and Transformation of Nature in Social Theory and Environment, ١٩٩٩, USA.
٢٧- **Antony Giddens,** ١٩٩٩.
٢٨- **Atkinson, A.** The Principles Of Political Ecology, London, ١٩٩١.
٢٩- **David Goldblatt,** Op. Cit. ١٩٩٩.
٣٠- **David Goldblatt,**١٩٩٩.
٣١- **Antony Giddens**, ١٩٩٩.
٣٢- **عبدالمحسن صالح:** مرجع سابق.
٣٣- **جهاز شئون البيئة، ١٩٨٧.**

٣٤- **اللجنة العالمية للبيئة والتنمية:** ١٩٨٧.
٣٥- **أحمد الرشيد وهناء الحسن سند** علم البيئة، مـدخل عـام، دار المعرفة الجامعية، ١٩٨١.
٣٦- **الوثيقة رقم ٨،** المشكلات الرئيسية، المجتمع المعاصـر، ١٩٧٨.
٣٧ - **سلوى محمد عبد الفتاح:** النمـو الحضـري، القـاهرة، ١٩٨٨.
٣٨- **جامعة الدول العربية،** المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلـوم الإنسان والبيئة، مرجع العلوم البيئية والتعليم العالي، ١٩٧٨.
٣٩- **سعيد محمد الحفار:** بيئة من أجل البقـاء، دار الثقافـة للنشـر والتوزيع، الدوحة، ١٩٩٩.
٤٠- **إبراهيم حلمي عبد الرحمن:** اقتصاديات البيئة والتنميـة، بعـض القضايا المثارة بشأن مصر، معهد التخطيط القومي، ١٩٩٠.
٤١- **الجمعية المصرية للجودة،** الجودة الشاملة والقـدرة التنافسـية، المؤتمر السنوي الأول نحو سياسة قومية للجودة من ٨-١٠ نوفمبر ١٩٩٩.
٤٢- **الجمعية المصرية للجودة،** نفس المرجع.
٤٣- **الجمعية المصرية للجودة،** نفس المرجع.
٤٤- **إبراهيم حلمي:** المرجع السابق.
٤٥- **إبراهيم حلمي،:**نفس المرجع.
٤٦- **عزة أحمد:** تلوث المياه في حلوان، ١٩٨٥.
٤٧- **Abdel-Aal** et, ١٩٨٨.
٤٨- **مجلس الوزراء وجهاز شئون البيـئة،** الخطـة القومية للبيئة-

الإطار العام، سبتمبر ١٩٨٦.
٤٩- **مركز النيل الإعلام والتدريب والتعليم،** المعلوماتيـة وتحـديات العصر، حمايـة البيئـة ملف العدد، الهيئـة العامة للاسـتعلامات العدد ٣٤، يوليو ١٩٨٨، السنة التاسعة، ص ٧٧- ٨٣.
٥٠- **مؤتمر المحافظة على البيئة،** ١٩٨٦.
٥١- **ك.م. سنتك وآخرون:** المعيشة في البيئة، ترجمة مكتب اليونسكو الإقليمي للتربية في الدول العربية بعمان، مؤسسة الكويـت للتقـدم العلمي ١٩٩٠.
٥٢- **رشيد الحمد، ومحمد سعيـد صبارينى:** البيئـ ـة ومشـكلاتها، عالم المعرفـة، ١٩٧٩.
٥٣- **علي خليل مصطفى:** فلسفة التربية الإسلامية كما يحددها القـرآن الكريم، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية التربية جامعة طنطـا، ١٩٧٨.
٥٤- **Allen, N, Kuese.** Polution prices and Public Policy Washington. Booking institution, ١٩٧٨.
٥٥- **القرآن الكريم:** سورة الرعد: آية ١١.
٥٦-**Peter, F,Fensham:** Stackhalm Totbilsi The Evolution of Environment education prospects Review No III No.٤, ١٩٧٨.
٥٧- **إبراهيم عصمت مطاوع:** التربية البيئية دراسة نظرية وتطبيقيـة، دار المعرفة الجامعية، ١٩٨٢.
٥٨- **القرآن الكريم:** سورة التوبة: الآية رقم ١٠٩.
٥٩- **القرآن الكريم:** سورة القمر: الآية رقم ٤٩.

٦٠- **القرآن الكريم:** سورة الفرقان: الآية رقم ٢.
٦١- **القرآن الكريم:** سورة البقرة الآية رقم ٦٠.

٦٢- **Robert Cahn,** Foot Primts on the planet, A Search for Environmental Ellic, universe, Book, New, ١٩٧٨.

٦٣- Robert , ١٩٨٧, Op. Cit.

٦٤- Robert, ١٩٧٢, Op. Cit.

٦٥- **فوزية دياب:** دور الحضانة إنشاؤها وتجهيزهـا، دار النهضـة المصرية ١٩٨٧.

٦٦- **جمهورية مصر العربيـة،** قرار وزير الشئون الاجتماعيـة رقم ٢٠٧، ٧٨٨ بتاريخ ١٩٧٨/٤/٢٦ بإصدار اللائحة النموذجية لدور الحضانة.

٦٧- **إبراهيم المنوفى:** التربية وتنمية الشخصية القومية فـى ضـوء النظام العالمى الجديد، مؤتمر التربية والنظام العالمي الجديد، ٢٠- ٢٢ يناير سنة ١٩٩٢، الجزء الثاني، كلية التربيـة جامعـة عـين شمس.

٦٨- **Peters, R, S,** Freedom and The Development of man in Educational Judgment, Ediled by James, F. Doyle, London. Routledge and kegan Paul, ited, ١٩٧٥.

٦٩- **محمد صديق حماد سليمان:** دور الأسرة في غرس قيم التنشـئة

السياسة للطفل. المؤتمر السنوي الثالث للطفل المصـرى، ١٠-١٣ مارس سنة ١٩٩٠، المجلد الأول، مركز دراسات الطفولة، جامعة عين شمس.

٧٠- **Egan, Kieran:** Teaching As Story Telling, An Alternative Approach to teaching and The curriculum, London Rout ledge, ١٩٨٨.

٧١- ماجى الحلوانى، ١٩٩٢.

٧٢- **ألفت حفنى:** ثقافة الطفل، عالم الفكر، المجلـد العاشـر، العـدد الثالث، ١٩٧٩.

٧٣- **صبري هاشم محمود هاشم:** فاعلية برامج الأطفال التلفزيونيـة على تنمية التفكير الإبتكاري لدى عينـة مـن الأطفـال، رسـالة دكتـ ـ ـوراه، ١٩٩٩.

٧٤- **شارلوت سيمور-سميث:** موسوعة علم الإنسان ترجمة محمـود الجوهري وآخرين، المجلس الأعلى للثقافة، ١٩٩٩.

٧٥- **حمدية أحمد محمود سالمان:** دور المتاحف في تنميـة الثقافـة للطفل المصرى، منشور في مجلد المؤتمر السنوي السادس للطفـل المصري، تنشئة في ظل نظام عالمي جديد، ١٩٩٣.

٧٦- **ألفت حقي:** ثقافة الطفل، عالم الفكر، المجلد العاشر، العدد الثالث، ١٩٧٩.

٧٧- **محمد حسن محمد حسـن:** تحليـ ـل متطلبـ ـات واتسـ ـاق عناصـر الهويـة الثقافيـة العصـريـة للطفل المصري، منشور في مجلد المؤتمر السنوي للطفل المصري، تنشئة في ظـل نظـام عالمي جديد، في الفترة من ١٠ – ١٣ إبريل ١٩٩٣.

٧٨- **راجي عنايت:** مسرح القاهـرة للعـ ـرائس فى خمس سـنوات، دار المعرفة، ١٩٦٢.
٧٩- **جوزيف هوللر:** مسرح العرائس، مركز التربية الأساسية في العالم العربي، دار الثقافة، ١٩٨٠.

الفصل الثانى

التكنولوجيا والتلوث فى منطقة حلوان

تلوث الهواء وأمراض الطفولة

بحث أنثروبولوجى

أولاً: مقدمة منهجية

تعتبر مرحلة الطفولة من المراحل التى نالـت اهتمـام العديد من المتخصصين فى مجـالات متنوعـة، كالأطبـاء وأخصائى التنمية الاجتماعية والاقتصادية، والتغذيـة، إلـى جانب اهتمام كل من علماء التربية وعلم النفس والاجتمـاع والأنثروبولوجيا.

وقد تضامن هذا الاهتمام على المستويين: العالمى مـع تحديد هيئة الأمم المتحـدة عـام ١٩٧٩ بعـام الطفـل[١]، والمحلى: بتسمية الفترة من ١٩٨٩-١٩٩١ بعقد الطفل، بغية تسليط الأضواء بشكل أكبر على حقوق الطفل، وما يشـوب هذه الحقوق من انتهاكات، خصوصاً فى الفترة مـن أواخـر الستينيات والسبعينيات مـن هـذا القـرن، وبالتحديـد فـى المجتمعات الآخذة فى الاستنزاف النهم لمواردها البيئية بهدف التوسع فى النشاط الصناعى والتكنولوجى. ذلك التوسع الذى يتم فى غيبة من التخطيط العلمى والنظرة المسـتقبلية ومـا

يستتبع ذلك من نتائج وآثار.

فقد أخذت هذه المجتمعات تبحث عن أنماط اسـتهلاكية جديدة لمواردها البيئية، وازدادت اتجاهاً نحو استخراج هـذه الموارد وتصنيعها، ضاربة بعرض الحائط ما يترتب علـى ذلك من أثار بالغة الخطورة، متمثلة فى الإخـلال بـالتوازن البيئى، بسبب زيادة النفايات التى تصب فى الهـواء والمـاء والأرض، حتى حل التلوث بالعناصر الأساسية التى تعتمـد عليها حياة الكائنات الحية والإنسان عامة والأطفال خاصة[٢]. فظهرت أعراض لأمراض جديدة لـم تعرفهـا المجتمعـات الإنسانية فى الماضى. ومن هذا المنطلق تشكل الدافع نحـو إجراء هذه الدراسة وإن كانت هناك دوافع أسبق مـن ذلـك لإجرائها[*].

وهذا البحث هو الأول من سلسلة بحوث تتناول الطفـل فى مجتمعات محلية فى منطقة حلوان، وسيتم التركيز بصفة خاصة على أشكال التلوث البيئى وأثرها على صحة الطفـل

(*) نمت بذور اهتمام الباحثة بدراسة الطفولة أثناء إجرائها الدراسة لبحـث المـرأة الذى نشر = = عنه تقرير بعنوان: (المرأة في الريف والحضر – دراسة لحياتهـا فى العمل والأسرة) حيث كانت تنشئة الطفل أحد محاور تلك الدراسة. كمـا ازداد الاهتمام بالطفل أثناء إجراء الباحثة الدراسة الميدانية لبحثها لنيل درجة الدكتوراه، حيث كان من بين قضايا دراسة تنشئة الطفل فى الريف والبدو – حصر لأنمـاط عمالته فى القطاعين الريفى والبدوى. ثم استمر هذا الاهتمام لـدى الباحثـة فـى بحوثها الأخرى بعد ذلك، فجاءت على النحو التالى: دراسة لأنماط رعاية الطفـل فى الأسرة الريفية كما تعكسها جداول استخدام الوقت – المـدخل الأنثروبولـوجى للتوعية الصحية للطفل البدوى – المخاطر البيئية وأثرها على صحة الطفل.

فى هذه المجتمعات المحلية. ويتركز البحث الحـالى علـى إحدى هذه المجتمعات: هى منطقة المعصرة وذلك للكشـف أولاً عن مصادر التلوث، وثانياً إجراء مسح لأنواع الأمراض التى تصيب الأطفال.

وبناء على ذلك يهدف البحث إلى الإجابة عن الأسـئلة الآتية:

١- إلى أى مدى أسهمت بعض الأنشـطة الصـناعية فـى التلوث البيئى؟

٢- هل هناك علاقة بين نوع التلوث وبعض الأمراض التى تصيب الأطفال؟

٣- هل تساهم الأبعاد الاقتصادية والثقافية فى زيادة معدلات إصابة الأطفال؟

أما الإطار التصورى للبحث فيتبنى كلاً من الاتجاهين: الأول اتجاه الإيكولوجيا الطبية Medical Ecology وهو أحد الاتجاهات الجديدة فى الأنثروبولوجيا الطبية – الذى يستعان به فى دراسة المشاكل الصحية فى ضـوء علاقـة التـأثير المتبادل بين كل من الثقافة والبيئة والصحة، ومن ثم تتفاعل أضلاع المثلث المتمثلة فى العوامـل الاجتماعيـة والثقافيـة والبيولوجية والبيئية معاً لتؤثر فى الصحة والمرض[٣].

أما الاتجاه الثانى فهو الاتجاه الإيكولوجى، الذى يسـير فى تحليله لظاهرة التلوث فى ضـوء قـانونين إيكولـوجيين

أساسيين هما:

١- أن البيئة الطبيعية على مستوى الكرة الأرضـية تعتبـر نسقاً مترابط الأجزاء.

٢- أن مقومات النسق الإيكولوجى لا تفنى ولا تستحدث.

وقد حاول كل من ويلسـون وزوجتـه تفسـير هـذين القانونين "بأن مجموع الناتج القومى العام يعـادل مجمـوع التلوث القومى العام، أى أن كل رطل من الموارد المتخلفـة يضاف إلى الناتج القومى العام يعادلـه رطـل آخـر مـن الفضلات فى شكل آخر إما فى صـورة مـادة معدنيـة أو ملوثات كيميائية، وهى التى توجد فى الماء والهواء أو فـى شكل فضلات إنسانية. ومن هذا يصبح التلوث عبـارة عـن نفايات ناجمة عن النشاط الإنسانى.

ونظراً لتداخل الأنساق الإيكولوجيـة الفرعيـة (علـى المستوى الذى يجعل من البيئة الطبيعية ككل نسقاً إيكولوجياً أكبر) فإن الملوثات التى توجد فى النسق الفرعى (الهـواء) تؤثر على نحو مباشر أو غير مباشر فى الأنسـاق الفرعيـة الأخرى، ومن ثم فإن الهواء الناتج عـن عـادم المصـانع والسيارات يؤثر على الهواء كنسق إيكولوجى فرعى، فيؤثر بدوره فى الأنساق الأخرى (كالبحيرات والأنهار) من خـلال مياه الأمطار المتساقطة، ثم من خلال سـريان هـذا المـاء الملوث داخل التربة، وهكـذا تتفاعـل المنظومـة الكونيـة

بعناصرها الثلاثة[٤].

وقد اعتمد البحث على المنهج الأنثروبولوجى الذى يحتم ضرورة المعايشة فى المجتمع حتى تتوفر للباحث ملاحظة مباشرة متعمقة مع الاعتماد على عدد من الإخباريين الذين لديهم معرفة دقيقة عن مجتمع البحث. حيث يوفر ذلك للباحث – بطريقة غير مباشرة – المعلومات الضرورية التى لا يستطيع أن يحصل عليها بطريقة مباشرة. ويحتم هذا المنهج أيضاً ضرورة الاطلاع على الأدبيات التى تتعلق بموضوع البحث، وذلك لتساعده فى التحقيق والدراسة والبحث. ومن ثم اعتمد البحث على الاطلاع على أبحاث محلية وعالمية عن التلوث البيئى – تلوث الهواء – والدراسات التى أجريت على منطقة حلوان[٥]، وذلك بالإضافة إلى مقابلة المسئولين المحليين من أطباء ومهن مساعدة وعمال خدمات داخل المؤسسات العلاجية والمجلس المحلى. وقد تطلب هذا المنهج إعداد دليل العمل الميدانى ليكون مرشداً وموجهاً للدراسة الميدانية[٦]. وقد استغرقت الدراسة الميدانية ستة أشهر، وبدأت بمجموعة من الزيارات الاستطلاعية بمنطقة حلوان من أول شهر يونيه ١٩٩٥ حتى نهاية الشهر، تم خلالها اختيار مجتمع البحث (المعصرة المحطة) التابعة لمجلس محلى حلوان.

وبدأنا زياراتها الميدانية المكثفة التى أخذت طابعاً شبه يومى حتى آخر نوفمبر ١٩٩٥. وقد تم اختيار خمس عشرة

أسرة من منطقة المعصرة المحطة كان توزيعهـا كالتـالى: خمس أسر من عزبة الصفيح، وخمس أخرى من المعصـرة المحطة، وخمس أسر أخرى من عزبة الهجانة. وقد روعـى فى الاختيار تنوع الخصائص، كما روعى أيضـاً أن يكـون لدى الأسرة أكثر من طفل، مـع مراعـاة تنـوع المراحـل العمرية، بدأ من مرحلة المهد أو الرضاعة (الطفولة المبكرة) حتى سن الخامسة عشرة (الطفولة المتأخرة)، (انظر الجدول رقم (١) الذى يوضح خصائص العينة).

ثانياً: التلوث Pollution

من المفاهيم الحيويـة التـى ارتـبط ذيوعهـا بالتقـدم التكنولوجى الذى أحدثه الإنسان منذ الثورة الصناعية، ومـا تبع ذلك من تغيرات عديدة، ويعنى التلوث: "التغير الكيميائى أو الطبيعى أو الحرارى أو الحيوى أو الإشـعاعى فـى أى مكـان بالبيئة الذى يؤدى بطريقة أو بأخرى إلى الإضـرار بصحة وأمان ورفاهية الكائنات الحية[٧].

ونستخلص من هذا التعريف، بأنه كل تغيـر كمـى أو كيفى أو وجود مادة غريبة على مكونـات الوسـط البيئـى الأساسى، وهذه المواد التى تعرف بالملوثـات قـد تكـون مصادر طبيعية أو مصادر اصطناعية (من تدخل الإنسـان)، يترتب عليها الإخلال بنظام التوازن البيئى ودرجـة فاعليـة عناصره الأساسية من (ماء – هواء – تربة) فى أداء وظائفها

مما يهدد بالإضرار بالكائنات الحية أو فنائها أو يؤدى إلـى تعرضها إلى أخطار مزمنة.

والملوثات إما أن تكون طبيعية، وهى التى تنـتج مـن الطبيعة دون تدخل الإنسان مثل الأتربة والغازات المنبعثـة من البراكين وحبوب لقاح النباتات، أو ملوثات صناعية ناتجة عن نشاط الإنسان بسبب ما استحدثته من أنشـطة ووسـائل تكنولوجية وهى نوعان:

١- ملوثات كيميائية: مثل المبيدات والأبخـرة والغـازات والجسيمات الناتجة عـن الصـناعات المختلفـة ووسـائل المواصلات.

٢- ملوثات فيزيائية: مثل الضوضاء والتلـوث الحـرارى، والإشعاعات النووية الناتجة عن التفاعلات النووية[٨].

وينتج عن هذه الملوثات: تلوث التربة – تلوث الماء – تلوث الغذاء – تلوث الهواء. وسوف تقتصر دراستنا الحالية على شكل واحد من هذه الأشكال هو تلوث الهواء.

تلوث الهواء

الهواء النقى هو ذلك الوسط الذى يحتوى علـى نسـب معينة من الغازات التى تدخل فى تكوينه الكيميـائى، وهـى على النحو التالى:

٧٨% غاز النيتروجين، ٢١% من الأكسجين، ٣٩% غـاز

الأرجون الخامل، ٠,٠٣% ثانى أكسيد الكربون، وغـازات أخرى تتواجد بنسب نادرة مثل: البينون والهيليوم والزينـون والكريبتون والميثان والأيدروجين[٩].

كما أكدت نتائج معظم الدراسات العلمية المتخصصة أن تركيب الهواء الكيمائى لم يبق على نقاوته لأن طبيعـة هـذا الوسط (الهواء) له خاصية الامتزاج بالمواد الأخرى الغريبة فى البيئة من جسيمات عالقة (غبار وكائنات دقيقة) وغازات وأبخرة من (البراكين – وحريق الوقود). ومع ذلك كانت هذه المواد فى حدود تحمل الإنسان.

ومع تزايد عدد السكان فى المناطق المعمورة على وجه الأرض، ثم زيادة النشاط الصناعى مع بدء الثورة الصناعية، وما ترتب على ذلك من تطور هائل فى وسائل النقـل التـى عرضت الهواء لأنواع عديدة من الملوثات وانتشارها وتعدد أنواعها مثل (أكاسيد الكربون – أكاسيد الكبريـت – أكاسـيد النيتروجين، الجسيمات الصلبة والمعادن المختلفة والـروائح وغبار وسناج وأدخنة الضباب والدخان)، سعت الحكومـات جاهدة من أجل تحقيق نظافة البيئة. ففى عـام ١٩٦٧ قـرر المجلس الأوروبى أن التلوث الجوى يحدث "عندما توجد مادة غريبة أو عندما يحدث تغير هام فى النسب المكونة للهواء قد يؤدى إلى نتائج ضارة، وكـل مـا يسـبب مضـايقات أو إزعاج"[١٠]. فتلوث الهواء إذن هو وجود مـواد غازيـة أو طيارة فى الهواء ليست من مكوناته الطبيعيـة، أو حـدوث

زيادة فى المكونات غير الأساسية للهواء مثل: غـاز ثـانى أكسيد الكبريت – أو أول أكسيد الكربون – أو ثـانى أكسـيد النيتروجين أو الأتربة[11].

وهناك مصادر طبيعية وأخرى من صـنع الإنسـان – الأولى هى البراكين وما تقذفـه مـن غـازات وملوثـات، والحرائق وما ينتج من نواتج الاحتراق، والعواصف الترابية ومن أمثلتها رياح الخماسين التى تهب على مصـر. ولقـد جاءت نتائج دراسة لقياس شدة التلوث بالأتربة فـى مدينـة القاهرة ١٩٦٠-١٩٦١ لتشير إلى تعرض مدينـة القـاهرة للأتربة التى تحملها رياح الخماسين من تلال المقطـم التـى تحد المدينة من الطرف الجنوبى الشرقى[12].

ومن بين المصادر الأخرى المصادر التاليـة الناجمـة عن: نشاط محطات توليد الطاقة – صناعة تكرير البترول – الصناعات المعدنية – الصـناعات الحديديـة – الصـناعات الكيميائية غير العضوية – صناعة لب الـورق، الصـناعات الغذائية – صناعات الغزل والنسيج – الأقطان والأصـواف والألياف الصناعية، واسـتخدام وسـائل النقـل – التلـوث الإشعاعى[13]. ونحن نعلم أن الهواء أحد المسلمات الأساسية لاستمرار حياة الكائنات الحية (إنسان – حيـوان – نبـات) فهـو عنصر حتمى لاستمرار الحياة، حيث وتشـير نتـائج بعض الدراسات المتخصصة إلى ما يلى:

أ- إمكانية استغناء الإنسان البالغ القوى الصحيح عـن

الشرب لمدة من ٢: ٣ أيام، وعن الطعام من ٤: ٥ أيام، ولكنه لا يمكن أن يبقى حياً لدقائق تعد على أصابع اليد دون أن يستنشق الهواء ويزفره. وفى ضوء هذه الحقيقة الحتمية لا يستطيع الإنسان أن يرفض استنشاق الهواء حتى ولو كان ملوثاً أو كان يحتوى على غازات سامة، ذلك لحساسية خلايا المخ لغياب الأكسجين.

ب- أن رئة الإنسان تستقبل يومياً حوالى ١٥كجم من الهواء الجوى، بينما لا يمتص الجسم سوى ٢,٥كجم من الماء وأقل من ١,٥كجم من الطعام.

ج- يقدر استهلاك الإنسان العادى فى اليوم الواحد ١,٢٥ كجم من الطعام، ويشرب أكثر من ٢كجم من السوائل والماء، إلا أنه يستنشق حوالى ٩كجم من الهواء[(١٤)]. وفى ضوء قانون حتمية الهواء لاستمرار الحياة على وجه الأرض لم يجعل الله سبحانه وتعالى الهواء ملكاً لأحد، فليس لأحد سلطان عليه وإلا توقفت الحياة على وجه الأرض[(١٥)].

وتشير أدبيات العلوم البيئية والصحة العامة إلى أنواع المخاطر الناجمة عن تلوث الهواء فى شتى بلدان العالم، ففى الفترة من ٥-٨ ديسمبر سنة ١٩٥٢ حدث أن بلغت نسبة تلوث الهواء بالكبريت فى مناطق التجمع السكانى أرقاماً مرتفعة بلغت عشرة أمثال النسبة المألوفة، مما أدى إلى وفاة ٤ آلاف نسمة[(١٦)].

وحدث فى مدينة "دو نورا" فى ولاية بنسلفانيا بالولايات المتحدة الأمريكية فـى يـوم ٢٦ أكتـوبر سـنة ١٩٤٨ أن تعرضت هذه المدينة لتلوث هوائى بسبب انحباس المصـانع فى المنطقة. ونتج عن ذلك أن امتلأ جو المدينـة بالأدخنـة والأكاسيد السامة، وأصيب حوالى ٩ آلاف شخص من سكان المدينة بأعراض مرضية، بينما توفى عشرون آخرون[١٧].

ثالثاً: التكنولوجيا والتلوث البيئى فى منطقة حلوان

تقع حلوان[*] على بُعد ٢٥ كيلو متراً جنوب القـاهرة. ويبلغ عدد سكانها ٢٨٢,٦٤٧ نسمة طبقاً لتعداد عام ١٩٨٦. كما كان لهذه المنطقة شهرتها كمكـان صحى للاستشـفاء. ونظراً لموقعها المتميز بحكم وجودها فى ملتقى طرق نيليـة وصحراوية ومساحتها الكبيرة التى تشـغلها، فقـد ضـمت جنباتها مناطق خضراء وحدائق، انعكس هذا علـى مناخهـا فاتسم بالجفاف والدفء شتاء، إلى جانب العيـون الكبريتيـة الطبيعية التى عرفت منذ عهد الخديوى إسماعيل سنة ١٨٥٨ باسم (الحمامات الكبريتية)، ثم تطورت فـى ذلـك الوقـت وعرفت بمركز علاج الطب الطبيعى والرومـاتيزم. وفـى ضوء توفر كل هذه المقومات صارت حلوان مشتى لمعظـم

(*) تعددت الأقوال حول أصل تسمية حلوان بهذا الاسم إلا أن أكثرها شيوعاً هو أن عبدالعزيز بن مروان حينما كان والياً على مصر اختار هـذه المنطقـة لإقامتـه وسماها حلوان نسبة إلى مدينة حلوان بالعراق، حيث إنهـا تشـبهها فـى المنـاخ ولوقوعها بجانب نهر ومجاورة للصحراء. للمزيد انظر خطط المقريزى.

أسر الطبقة العليا وبعض أسر الطبقة المتوسطة، وهدفاً للكثير من الباحثين عن الهدوء والصحة والنقاهة[١٨].

ومع ذلك فقد شهدت المنطقة ما أدى إلى فقـدانها هـذه الخاصية (الميزة الصحية) مع أوائل القرن التاسـع عشـر، وبالتحديد الفترة من سنة ١٩١١ إلى سنـة ١٩٥٦، حيث تم إنشاء خمس منشآت صناعية، كان نصيب الأسمنت منهـا أربع منشآت هى على التوالى طبقاً لتاريخ الإنشاء: مصـنع أسمنت بالمعصرة سنة ١٩١١، ثم شـركة أسـمنت طـره المصرية فى سنة ١٩٢٧[**] والتى تم دمجها مـع مصـنع المعصرة، ثم مصنع ٤٥ الحربى، فشركة حلوان للأسـمنت سنة ١٩٢٩ بكفر العلو، وآخرها الشركة القومية للأسـمنت سنة ١٩٥٦.

ومع قيام ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ حدثت طفرة صـناعية كبيرة تمثلت فى إنشاء صناعات جديدة إلى جانـب صـناعة الأسمنت، وهى صـناعة الاسبسـتوس والحديـد والصـلب والألومنيوم والكوك والسماد والغزل والنسـيج والصـناعات المعدنية والصناعات الحربية. ويعزى هذا التمركز الواضـح فى منطقة حلوان بالذات للاعتبارات الآتية:

أ- أنها ضاحية قريبة من مدينة القاهرة.

(**) تم إنشاء مصنع الإسكندرية فى نفس السنة إلا أن إنتاجه توقـف سـنة ١٩٣٥ بسبب اعتماده على مواد خام مستوردة. وفـى عـام ١٩٤٨ تـم إنشـاء شـركة الإسكندرية للأسمنت بهدف تغطية احتياجات شمال الدلتا من الأسمنت.

ب- خلوها نسبياً من الكتل السكنية ذات الكثافة العالية في ذلك الحين.

ج- توافر المواد الخام اللازمة لبعض الصناعات بها مثل صناعة الأسمنت (الحجر الجيرى – الطفل الرملى).

د- سهولة نقل الخامات إليها.

وفى ضوء ما تقدم أصبح نصيب حلوان من التلوث ضخماً، فقد أسهمت هذه الصناعات مجتمعة فى تلوث هذه المنطقة عامة وتلوث هوائها بصفة خاصة. وقد أشارت نتائج الدراسات التى أجراها المركز القومى للبحوث إلى أنه ابتداء من عام ١٩٦٦ أخذت مشكلة تلوث الهواء تتفاقم بمنطقة حلوان، وذلك بسبب تجمع مجموعة من العوامل نذكر منها ما يلى:

١- التوسع فى النشاط الصناعى الثقيل على نحو واسع، وما تبع ذلك من تلوث عناصر أساسية للبيئة (الهواء – المياه – التربة).

٢- زيادة حركة النقل ووسائل المواصلات فى القاهرة الكبرى، حيث يقدر عدد السيارات بمليون ونصف مليون سيارة باختلاف أنواعها. ويقدر نصيب منطقة حلوان بحوالى الربع، أى ٣٧٥ ألف سيارة باختلاف أنواعها، ذلك لخدمة أغراض النشاط الصناعى والمناطق السكنية التى أنشئت حولها.

٣- تمثل صناعة فحم الكوك والأسمنت والحديـد والصـلب بصفة خاصة المصدر الرئيسى لسقوط كميـات هائلـة مـن الأتربة والملوثات على منطقة حلوان. انظر الجدول رقم (٢) الذى يبين بعض الأنشطة الصناعية والملوثات الناتجة عنهـا فى منطقة حلوان.

جدول رقم(٢)[١٩]

النشاط الصناعى	الملوثات
- إنتاج الحديد والصلب	جسيمات صلبة – غاز أول أكسـيد الكربون، الفلوريدات، دخان
- الصناعات غير الحديدية	جسـيمات، ثـانى وثالـث أكسـيد الكبريت، مركبات كبريتية
- مصـانع الأسـمنت البورتلاندى	جسـيمات، ثـانى وثالـث أكسـيد الكبريت، مركبات الكبريت والسليكا
- مسابك الصلب الزهـر ومصانع السبائك الحديدية	جسيمات، دخان، روائح
- مصانع الورق	جسيمات، روائح ثانى وثالث أكسيد الكبريت
- صناعة كربيد الكالسيوم	جسيمات
- قمائن حريق الجبر	جسيمات
- الصودا الكاوية والكلور	غازات الكلور

٤- ساهم موقع المنطقة فى زيادة التلوث لتأثرها باتجـاهين من الرياح، هما الشمالى الغربى والشمالى الشرقى[٢٠].

وفى نفس الوقت أشارت نتائج القياسات إلى زيـادة

تركيزات الأتربة العالقـة بالهواء يوميـاً وشـهرياً والتـى اعتمدت اعتماداً كبيراً على العوامل الجوية السائدة بالمنطقة. الأمر الذى جعل منطقة حلوان ابتـداء مـن شـركة طـره الأسمنت شمالاً حتى مدينة حلوان جنوباً مستهدفة لملوثـات الجو الناتجة عن المصانع[٢١] المنتشرة فى هذه المنطقة والتى تضاعفت عاماً بعد عام.

(انظر الجدول رقم(٣) الذى يوضح نسبة الأتربة المتسـاقطة على منطقة حلوان).

جدول رقم(٣)

السنة	الكمية	المعدل
١٩٦٧	١٠٦ طن / ميل مربع	شهرياً
١٩٧١	٢٥٦ طن / ميل مربع	شهرياً
١٩٧٤	٣٧١ طن / ميل مربع	شهرياً

وتجمع نتائج القياسات لكل مـن دراسـة الغنـدور وزملائه ودراسة مركز الأبحاث الفلكية، وكلية العلوم بجامعة حلوان على أن منطقة المعصرة من المناطق التى تزيد بهـا نسبة تسـاقط الأتربـة. فقـد وصـلت عـام ١٩٧٥ إلـى ٢٧٨ طن / كم^{٢} يومياً، وعام ١٩٧٦-١٩٧٨-٣٥٣,٣٤ طن / كم^{٢} [٢٢]، ووصلت عـام ١٩٩٤ إلـى ٢٠٠ طـن يوميـاً وبالتحديد من شركة طره الأسمنت[٢٣] وهذا هو ما دفعنا إلى اختيار المعصرة بحلوان لتكون مجتمعاً لهذه الدراسة.

منطقة المعصرة: تتكـون مـن إقليمـين: الأول هـو **المعصرة البلـد**، وتبدأ من ترعة الخشـاب شـرقاً وتنتهـى بكورنيش النيل غرباً. الإقليم الثانى **المعصرة المحطة**، وتبدأ من طريق الأوتوستراد شرقاً، ثم يقطعها خط مترو حلـوان فى الوسط وتنتهى بترعة الخشاب.

وعموماً فإن البحث الحالى سوف يقتصر على منطقـة المعصرة المحطة، وهى تتكون من ثلاثة تكتلات سكنية هى: المعصرة المحطة، عزبة الهجانة، عزبة الصفيح. ويقدر عدد سكانها – طبقاً للتقديرات المحلية – عام ١٩٩٤ بـ ـ ٧٠٥٤٧ نسمة(٢٤). ويعمل معظم سكانها عمـالاً بالمصـانع الواقعـة بمنطقة حلوان، وبالوظائف الحكوميـة وأعمـال الخـدمات بالقاهرة الكبرى، إلى جانب المهن والحرف المتنوعة (نقاش – نجار – ميكانيكى – خياط – تجارة متنوعة – عمال أرزقية أى باليومية – عاطلين).

تتميز الخصـائص الإيكولوجيـة العامـة للمعصـرة بالعشوائية وغيبة النظر إلى المسـتقبل القريـب أو البعيـد، بإغفال المخططين لبعدين هامين هما:

أ- الامتداد الحضرى: الذى تتعرض له المدن أو القطاعـات الحضرية عامة بسبب زيادة معدلات الكثافة السكانية.

ب- عدم التخطيط عند إقامة المنـاطق الصـناعية بمنطقـة حلوان عامة، ومنطقة المعصرة خاصة، وإغفال اعتبـارات

طاقة المنطقة الاستيعابية من حيث العمل والمساكن والخدمات العامة، وما يترتب على موجات المهاجرين الوافدين من بعض المحافظات الطاردة بكل من الصعيد والدلتا بحثاً عن فرص عمل جديدة، فلم تخضع هذه الموجات لأى قواعد تنظيمية أو تخطيطية مسبقة. ولذا استمر التمدد العشوائى بمنطقة المعصرة فى كل اتجاه ليكون العمال بالقرب من منطقة العمل، دون النظر إلى طبيعة الصناعات الموجودة فى هذه المنطقة والآثار المدمرة التى يمكن أن تؤثر على صحتهم وصحة أطفالهم فى المستقبل. وبالتدريج تفاقمت مشكلة الإسكان والسكان، فانتشرت ظاهرة المنطقة الحضرية الفقيرة التي يعيش أصحابها فى مساكن رديئة (العشش – مساكن (أى مشتركة) شرك خالية من الخدمات الأساسية وغير صحية).

ومن الملاحظ أن ظاهرة الفقر الحضرى لا ترتبط فقط بالعوز المادى، رغم أنه هو أهم ملامحها وأبرزها، وإنما هى ظاهرة مركبة تتشكل لأسباب اقتصادية وعوامل اجتماعية ودوافع سياسية. وتتكامل هذه الجوانب جميعها لتتمركز فى نطاق مكانى محدد تطلق عليه تسميات متباينة، ولكنها تجمع فى النهاية على وصف شامل عام هو المناطق المتخلفة بالمدينة[٢٥]. ويعكس هذا كله المكونات الإيكولوجية للمعصرة (ويتضح ذلك فى مخطط التقسيم الإدارى للمعصرة المحطة) وهى على النحو التالى:

١- **المنطقة الصناعية**: وقد تحدثنا عنها فى صفحات سابقة.

٢- **الكتلة السكنية**: تتكون من ثلاث مناطق:

أ- **المعصرة المحطة**(*): تقع شرق خط مترو الأنفـاق، يحدها من الغرب ترعة الخشاب ومن الشمال شارع الجـيش ومن الجنوب حتى وادى حوف: تمثـل هذه المنطقة سـكنى أسر الشريحة الوسطى الدنيا، من موظفى الحكومة وعمـال الشركات الصناعية بمنطقة حلوان والحرف المتنوعة.

ب- **عزبة الصفيح**(**): يحدها من الشمال مصنع شركة سيجورات ومن الجنوب شارع الجيش ومنطقـة المـدارس وعزبة الهجانة، ويحدها من الشرق طريق الأوتوستراد: تمثل هذه المنطقة سكن أسر الشريحة المعدمة (أو الدنيا الـدنيا – الدنيا الوسطى).

ج- **عزبة الهجانة**(***): يحدها من الغرب مترو الأنفاق وشارع الأمل ويحدها من الشمال شارع الجـيش ومنطقـة المدارس، ومن الشرق طريق الأوتوستراد: تمثل هذه المنطقة

(*) ترجع تسمية هذه المنطقة باسم المعصرة إلى أنه كان يوجد بها معاصر لعصـر زيت الخس والقصب ولكن توقفت مع بداية النشاط الصناعى بالمنطقة.

(**) ترجع تسمية المنطقة باسم عزبة الصفيح إلى أن المساكن القديمة كانت كلهـا مبنية من الصفيح، وكان يعيش فيها جماعات البدو (العرب) الذين كانوا يعملـون بنشاط الرعى وتجارة الحيوانات.

(***) ترجع تسمية المنطقة باسم عزبة الهجانة إلى أنه كانت تقام بهـا معسـكرات الهجانة التابعة لقوات حرس الحدود (أحواش الجمال) ومازالـت موجـودة علـى أطراف العزبة حتى وقت إجراء البحث.

سكنى الأسر من الشريحة المعدمة (الدنيا الدنيا - والدنيا الوسطى). وكانت المنطقة إلى عهد قريب أرضاً زراعية توفر للسكان المحاصيل والخضروات، فضلاً عن الألبان ومنتجاتها حيث ترتبط بتربية الأبقار وبالزراعة.

وبعد افتتاح مصنع الأسمنت تغير الحال ولجأ الفلاحون إلى قلع الزراعات أو ترك الأرض بوراً، وذلك لتعرض المنطقة للرياح الشمالية الشرقية والشمالية الغربية طوال العام(٢٦) مما تسبب نقل كميات هائلة من أتربة المصانع - الأسمنت خاصة - التى أدت تكلس المحاصيل الزراعية وموت كثير من الحيوانات. ولذا اتجه بعض الأهالى لترك النشاط الزراعى والبحث عن أعمال أخرى، كالعمل فى المصانع بمنطقة حلوان. أما البعض الآخر فقد فضل بيع الأراضى الزراعية والاتجاه نحو بناء مساكن وتأجيرها للعمال الذين يعملون بالمنطقة، والوافدين من الصعيد والدلتا بحثاً عن فرص عمل جديدة. وساهمت أزمة المساكن بالقاهرة الكبرى وارتفاع الإيجارات وانتشار نظام التمليك فى زيادة اتجاه الزحف السكانى إلى هذه المنطقة بحثاً عن مساكن تناسب دخولهم، أو شراء أراض رخيصة للبناء عليها. ومنذ ذلك الحين ازداد الاتجاه نحو بيع الأراضى الزراعية وتحويلها إلى أراض لبناء المساكن ثم تأجيرها كمشاريع اقتصادية مضمونة العائد، وقد لاقت هذه الفكرة نجاحاً منقطع النظير بين الفلاحين الذين تلفت محاصيلهم.

ومن ناحية أخرى، قامت جماعات العـرب بالمنطقـة باستغلال هذا الموقف وحاجة السوق إلى بناء مساكن لعمـال المصانع، فاتجهت هى الأخرى نحو وضع اليد على أراضى الدولة. وساعد على ذلـك إغفـال أجهـزة الإدارة المحليـة تحصيل العوائد عنها، مما دعم الإحساس لدى جماعات البدو بأن هذه الأراضى ملك لهم، يحق لهم بناء مسـاكن عليهـا. فكانت الفرصة المناسبة أن تحولت هذه المنطقة من مسـاكن مبنية بالصفيح إلى مساكن بنيت بطـرق عشـوائية بهـدف تأجيرها للعمال والوافدين. وقد أخذت طابع المسكن التقليدى الذى يتكون من طابق أو اثنين أو ثلاثـة طوابـق، بنظـام السكنى المستقلة أو السكن المشترك.

٣- الشـوارع: تنقسم الشوارع بالمعصرة إلى نوعين: النوع الأول الطرق الرئيسية وهى:

أ- طريق الأوتوستراد: هو طريق مرصـوف، يمتـد بطول منطقة المعصرة من الجهة الشرقية، ويربطها ومنطقة حلوان بالضواحى المحيطة ومدينة القاهرة الكبـرى. وهـو طريق حيوى تمر به جميع وسائل النقل المختلفـة (العـام – الخاص) والشاحنات التى تحمل المـواد الخـام والمنتجـات المصنعة من المصانع إلى منافذ التوزيع أو منافذ التصدير.

ب- طريق الجيش: طريق رئيسـى بالنسـبة لمجتمـع الدراسة،يتقاطع مع خـط المترو ثم يستكمل امتـداده حتـى طرق حلوان، ويتوازى مع مصنع سيجورات مـن جهـة

الشمال. وهو طريق مرصوف تسير عليه الشـاحنات مـن المصانع إلى منافذ التوزيع أو البيع.

ج- طريق الأمل: طريق رئيسـى بالنسـبة للمجتمـع يتوسط الكتلة السكنية ويتوازى مع خـط المتـرو وطريـق الأوتوستراد من جهة الشرق، ويتقاطع مع شارع الجيش عند عزبة الصفيح وهو طريق ممهد، وذلك بفعل عوامل البيئـة والعادات غير الصحية السائدة فى مجتمع المعصرة، المتمثلة فى كثرة المستنقعات بسبب طفح مياه الصـرف الصـحى، وتراكم أكوام القمامة المتجمعة من مخلفات المحال التجاريـة وأسواق الخضار ومخلفات البناء ومخلفات المركـز الصحى والعيادات بالمجتمع على جانبى الطريق.

النوع الثانى الأزقة والحوارى: هى تفرعات عشـوائية تتفرع من الشارعين الرئيسيين بالمنطقة، (شـارع الجـيش وشارع الأمل) يمر بها الأهالى للوصول إلى الكتل السـكنية ذات الأبنية المتلاصقة والمكتظة بالسكان. وغالباً ما تتسم هذه الأزقة (التفريعات) بأنها غير ممهدة وترابية وضيقة، معظمها مسدود فى آخره، يصعب السير فيها من كثرة ما يوجد على جوانبها من أقفاص الطيور (دواجـن – بـط) والحيوانـات الطليقة (خراف – ماعز)، وأخرى لمبيت الدواب، وشد حبال لنشر الغسيل، أو لتراكم بعض الأدوات المنزليـة المحطمـة التى ليس لها مكان داخل المساكن. فمن المفـاهيم الثقافيـة الشائعة أن يتعامل معظم ساكنى المناطق العشوائية مع هـذه

الأزقة والحوارى على أنها امتداد للمسكن (المكون عادة من حجرة أو حجرتين فقط) – الذى يضيق أصلاً بأعضائه، مما يضطرهم إلى وضع ما تبقى من مخلفات أو أدوات خـارج المنزل فى الحارة. كما يشيع جلوس النساء والفتيات معظـم ساعات النهار – وبخاصة فى فصل الشتاء – أمام مسـاكنهن صباحاً يلتمسن الدفء نظراً لرطوبة المساكن وظلامها. أمـا صيفاً فإنهن يلتمسن نسمة هواء وليقمن بأداء معظـم المهـام المنزلية. حيث أن بعضهن يقمن بغسل الأوانى، والأخريـات يغسلن الغسيل وينظفن الخضار، ويقمن بتنقية الأرز، وإطعام الطيور ورعايتها. ويستطيع المار بهذه الأزقة والحوارى أن يخترق ببصره حرمة المساكن أو الحجرات التى لها فتحـات على الحارة، ويكشف كل تفاصيلها الداخلية، كما بلغت أسقف المساكن حداً من الانخفاض أن الإنسان يسـتطيع أن يلمـس سقف المنزل بدون مجهود، نظراً لانخفاض المسـكن عـن سطح الأرض. وهناك بعض المساكن أصبحت فى مسـتوى منخفض عن سطح الحارة. ولكى يصل إليها الإنسان عليه أن يهبط درجتين من السلالم بسبب أكوام القمامة ومخلفات البناء وروث الحيوانات فى هذه المساحات الضيقة، والتى عادة ما تتناثر على مساحة واسعة من الأرض بسبب لعب الأطفـال عليها (وكذلك الطيور والحيوانات). ومن جهة أخرى تتفاعل كل هذه المكونات مع مياه المجارى دائمة الطفح فـى هـذه الحوارى، كما يساعد على سرعة تناثرها وانتشـارها كثـرة عدد السكان المارين عليها، فتفترش الأرض حتى تتسـاوى

مع سطح الأرض، وبالتدريج يرتفع سطح أرضية الحارة عن مستوى الشارع العمومى، وتتحول الحارة إلى مناطق غير مستوية يصعب السير عليها.

٤- المساكن: يوجد نمطان من المساكن فى مجتمع البحث:

النمط الأول: (مستقل فى السكن) يأخذ شكل طابق حتى أربعة طوابق، مبنى بالطوب الأحمر والأسمنت، مسقوف بالحديد المسلح والأسمنت، تقسم إلى مجموعة من الشقق يتوفر بها الخدمات الأساسية (صرف صحى ترنشات) – مياه نقية، كهرباء، منافذ للتهوية (شبابيك وبلكونات). تتكون من حجرة وصالة ودورة مياه مستقلة، أو من حجرتين وصالة ودورة مياه مستقلة، مطلية بالجير الأبيض أو الملون. لكن بعض هذه الشقق بدون طبقة المحارة من الخارج أى (على الطوب الأحمر)، والأرضية مبلطة بالبلاط. ويكثر هذا النمط فى منطقة المعصرة المحطة، حيث تسكن الشرائح الوسطى الدنيا من الموظفين الذين يعملون فى القاهرة الكبرى ومنطقة حلوان والمعصرة. كما يوجد من هذا النمط فى عزبتى الهجانة والصفيح.

النمط الثانى: (مساكن الشرك) تتكون من طابق أو طابقين على الأكثر، مبنية بالحجر الجبلى والطين، مسقوفة بعروق خشب وألواح من الصاج، يطلق عليها فى منطقة البحث (الأمنتو). ويغطى غالباً بالطين لتثبيته ولسد ما تبقى من الفتحات للحماية من مياه الأمطار شتاء وحرارة الشمس

صيفاً. وغالباً يكون بدون طلاء، والأرضـية غيـر مباطـة (ترابية) والبعض مباط بطبقة من الأسمنت ولكـن معالمـه تغيرت، ضيقة، لا تتوفر بها التربة الجيدة وهى رطبة، ولها رائحة خاصة ذلك لأن معظمها خال من فتحات التهوية، وإذا وجدت فتحة تكون ضيقـة وفى مستوى عال قريـب مـن السقف ولا تتلاءم مع الكثافة داخل الحجرة. ولا يوجـد بهـا مطبخ، وعادة ما يخصص أحد أركان الحجرة لوضع أوانـى الطهى. ولكن معظم النساء يخرجن فى الممر المشترك بـين الحجرات المؤجرة وتتخذ كل مـنهن ركنـا للطهـى فيـه، وبعضهن يقمن بالطهى خارج المسكن أمام الباب فى الحارة أو الزقاق. كما يخلو المسكن من دورات المياه. وتقول إحدى الإخباريات: (أصحاب البيت خايفين من كتر الميـه لتبـوش الحيطان). والبعض به دورة مياه مشتركة، ولا يوجد شـبكة للصرف الصحى وإنما "ترنش" يتم نزحه عندما يمتلئ. وفى معظم الأحوال يتباطأ السكان عن نزحه مما يتسبب فى طفحه ودخول المياه داخل حجرات المسكن ويخرج باقى الطفح إلى الحارة أو الزقاق، مكوناً مستنقعات دائمـة طـوال العـام، وتصبح مصدراً للروائح الكريهة، ومرتعاً للحشرات الزاحفة والطائرة والتى تعود على هيئة أسـراب لتـزاحم السـكان وتشاركهم فى حجراتهم.

ولقد كشفت الدراسة الميدانية عن حـدوث كثيـر مـن المشاجرات بين أفراد الأسر داخل المسكن الشـرك بسـبب دورة المياه المشتركة، نظراً لارتفاع معدل الكثافة التى تصل

فى المتوسط من ٢٠ إلـى ٢٥ فـرد، بـاختلاف جنسـهم ومراحلهم العمرية، مما يجعل معظم الأطفال يهربون من هذا الصراع شبه اليومى ليقضوا حاجتهم خارج المنـزل علـى أكوام القمامة أو على أحد جانبى الحارة. يكثر هذا النمط من المساكن فى عزبتى الصفيح والهجانة، حيث يرتفـع معـدل الزحام بصفة عامة فى هاتين المنطقتـين، وترتفـع درجـة التزاحم داخل المسكن المشترك بصفة خاصة، مما يؤدى إلى انتفاء الخصوصية وانتشار الفوضى والضوضاء، وارتفـاع الاستجابة الجماعية للصراع والغوغائية. وعلـى المسـتوى الأكثر عمقاً فقد كشفت الدراسة الميدانية عن وجـود علاقـة بين ارتفاع معدل الزحام والتزاحم والكثافة السـكانية داخـل الحجرة (كمسكن)، وبين حدوث انحرافات خلقية متمثلة فـى الاعتداءات الجنسية بين درجات المحارم (لا يتسـع المقـام للحديث عن هذا الموضوع وسوف تؤجلـه الباحثـة لبحـث متعمق آخر). كما لاحظت الباحثة أثناء الدراسـة الميدانيـة حدوث حملات من رجال الشـرطة للقـبض علـى تجـار المخدرات والمدمنين بالمنطقة.

وخلاصة القول: لقد أدت هذه الوضعية غير المتوازنـة فى مجتمع البحث إلى هيمنة وغلبة المناطق غير المنضـبطة (العشوائية) المتخلفة على المنطقة الصناعية حتى حولتها إلى وكر للانحراف والجريمة.

٥- الترع: يوجد بمنطقة المعصرة ترعـة واحـدة تعـرف

بترعة الخشاب، وهى تمثل الحد الفاصـل بـين المعصـرة المحطة والمعصرة البلد. وقد تبين أن هـذه الترعـة هـى المصرف الوحيد الذى يلقى فيه نـزح ترنشـات مجـارى المنازل التى تنقل بالعربات، إلـى جانـب كونهـا المقلـب الرئيسى للقمامة لمعظم المساكن القريبـة منها. كما تبين أن هناك اتجاهاً لدى بعض الأهالى فى المعصرة المحطة نحـو مد شبكة المجارى إلى منازلهم. وهذه الشبكة مازالت تصب فى ترعة الخشاب. ولقد حدث فى فترة الدراسة الميدانيـة أن غرق أحد الأطفال فى هذه الترعة، نظـراً لتـراكم كميـات القمامة على سطحها فيخيل للمارة عامة وللأطفال خاصة أنها امتداد للشارع. ولم يدرك الطفل صغير السن أن تحت هـذه القمامة مياهاً راكدة فسقط فيها ومات.

رابعاً: تلوث الهواء والإصابة بالمرض

تجمع نتائج معظم الدراسات التى أجريت فـى مجـال صحة الطفل – وبالتحديد التى تمت فـى كـل مـن ألمانيـا وتشيكوسلوفاكيا – على أن صحة الأطفـال فـى المنـاطق الصناعية ذات التلوث العالى أكثر تدهوراً بالمقارنة بأقرانهم فى المناطق الأقل تلوثاً. وقد وجد أن المجموعة الأولى أكثر تعرضاً للأمراض وخصوصـاً الضـعف العـام (الأنيميـا) والكساح. إلى جانب أن هناك فروقاً واضحة فى هيموجلوبين الدم ومستوى الكالسيوم والفوسفور فى الـدم لـدى أطفـال المناطـق ذات التلوث العالى.

أما دراسة هودجسن Hodgson التى أجراها عام ١٩٧٠ واستمرت قرابة عامين ونصف بمدينة نيويورك فكشفت عن النتيجة التالية:

- أن أى زيادة فى تركيز الملوثات فى الجو – حتى لو لـم تكن هذه الزيادة ملحوظة – تتسبب فى زيادة حالات الوفـاة والإصابة بأمراض القلب وأمراض الجهاز التنفسى بأعـداد تصل إلى مئات الأشخاص شهرياً[٢٨].

كما كشفت نتائج دراسات متخصصة عن:

- وجود علاقة بين النشاط الصناعى بمنطقة حلوان وارتفاع معدل إصابة الأطفال حيث تقدر بـ ٣٠% بينما يقدر معـدل الإصابة بين الأطفال بأمراض الطفولة بالمناطق الريفية فـ ـ ج. م. ع بـ ٩%[٢٩].
- من نتائج بعض الدراسات المتخصصـة والتـى قامـت بالتحليل الكيميائى لعادم الأسمنت بالمنطقـة، أنـه مخلـوط بنواتج الاحتراق ومركبات كيميائية ذات تأثير بالغ الخطورة على صحة الإنسان عامة والأطفال خاصة.

انظر الجدول رقم (٦) يوضح لنا المركبات الكيميائية الداخلة فى تركيب عادم مصانع الأسمنت.

الأمراض	المركبات ونسبتها
يؤدى استنشاقه إلى الإصابة بمرض التحجر الرئوى (السليكوزى).	- ثانى أكسيد السليكون (السليكا الحر) (١٤,٧%).
تتسبب فى الإصابة بأمراض الجهاز التنفسى، تزداد خطورة هذه الجسيمات إذا كانت بها عناصر سامة كالزئبق والمعادن الثقيلة تتسبب فى الإصابة بالأمراض الصدرية (الربو الشعبى).	- الجسيمات الصلبة الدقيقة يتراوح قطرها ١-٥ ميكرون.
تسبب الإصابة بأمراض القلب بسبب ترسب الكولسترول فى الشريان الأورطى.	- أكسيد الحديد ٢,١٨% أكسيد الألومنيوم ٣,٣٥%، أكسيد الماغنسيوم ٢,١%، أكسيد الكالسيوم ٤٧,٢%، ثانى أكسيد الكبريت – مركبات الكبريت ٤,٩٥%.
الإصابة بلين العظام والكساح.	- ارتفاع معدل التساقط من الأتربة يتسبب فى حجب ٥,٥% من أشعة الشمس. ٢٠٠ طن يومياً على منطقة المعصرة.

خامساً: السمات العامة لحالات العينة

التعليم: ترتفع نسبة الأمية بين الأزواج والزوجات فى كل من عزبتى الهجانة والصفيح، وتقل نسبياً فى منطقة المعصرة. كما لا يوجد من العينة من الزوجات من تعلمن تعليماً جامعياً إلا واحدة فقط فى المعصرة المحطة. أما من أنهين مرحلة التعليم المتوسط فقد زاد عددهن بين أفراد عينة المعصرة، حيث بلغن ٤ زوجات. أما الأزواج فهناك ٣ أزواج أنهوا مرحلة التعليم المتوسط، واثنان اجتازا مرحلة فوق المتوسط ومرحلة التعليم الجامعى (بالمعصرة). ومن المتوقع أن تشكل هذه الأمية أو تؤثر فى كثير من مفاهيم الأزواج والزوجات فى تعاملهم مع مكونات البيئة الملوثة،

دون مراعاة أدنى مستوى للحرص أو النظافة، وذلـك إلـى جانب سلوكهم عند اكتشاف أعراض مرض لـدى أطفـالهم وسرعة أو بطء استجابتهم للعلاج الرسمى. وبهـذا المفهـوم سوف نلاحظ انخفاض الوعى الصحى بين غالبية الزوجـات والأزواج فى عزبتى الهجانة والصفيح، إذ أن ذلـك وثيـق الصلة بالأمية وانتشارها.

المهن: يكاد يكون معظـم الأزواج فـى عزبتـى الهجانـة والصفيح فى حالة بطالة دائمة أو موسمية. ويرجع ذلك إلـى إصابة البعض منهم بأمراض مزمنة أقعدتهم عن العمـل، أو بسبب عدم وجود فرص العمل الدائم. ذلك لأن معظم مساكن العزبتين متاحة أمام الوافـدين والمهـاجرين مـن بعـض محافظات الصعيد والدلتا بحثاً عن فرص عمل جديد، أو ممن يعملون بالحرف (نقاش – حمال)، عامل أرزقى. وهنـاك ٧ أزواج واحد منهم مـدرس ويعمـل ثلاثـة مـنهم بمصـنع الأسمنت، وواحد فى أعمال الخدمات (بالمدرسة) واثنان فى وظائف كتابية وإشرافية (المعصرة – القاهرة).

أما الزوجات: فمنهن ٢ ربات بيوت، أما الثلاثة عشرة الأخريات فهن كالآتى: ٣ يعملن موظفات (٢ بالمركز الطبى بالمعصرة، ١ مدرسة)، ٣ عاملات (بـالمركز الطبـى)، ٧ بائعات بالسوق (خضار – عيش). ويعنى ذلك خروج المرأة للعمل لساعات طويلة، نظراً لاعتماد أسرتها علـى دخلهـا، وبالتالى تعتمد على الأبناء الكبار لرعاية الأخوة الصغار، أو

بعض الدرجات القرابية المقيمين معهم.

الدخل: فى ضوء المهن التى تمارسها أسر العينة، يتضح لنا أن هناك ٩ أسر ليس لديها دخل ثابت، أو تعتمد على دخـل الزوجة. ومعظم الزوجات العاملات يتراوح دخلهن ما بـين ٨٠ جنيه (عاملات خدمات) اثنتان تقبضان كل شهر والثالثة كل ٤٥ يوم لأنها معينة على بند مكافأة. يصل الدخل اليومى للبائعات السبعة ما بين ٣-٥ جنيهات يوميـاً أى ٩٠-١٥٠ جنيه شهرياً. والموظفات يتراوح دخلهن ما بين ١٥٠-١٨٥ جنيهاً وهن ثلاث.

قامت الباحثة بمحاولة تقسـيم العينـة وفقـاً لمحكـات سوسيولوجية هى: (المهنـة – الدخل – التعليم) إلى ثـلاث شرائح طبقية:

- **الشريحة الدنيا العليا**: بها أسرتان تعتمدان على مرتب كل من الزوج والزوجة، يقدر الدخل ما بين ٣٠٠-٤٠٠ جنيـه شهرياً.
- **الشريحة الدنيا الوسطى**: بها ثلاث أسر، تعتمد أسـرتان على دخل الزوج فقط الذى يقـدر مـن ٢٠٠-٢٥٠ جنيهـاً شهرياً، والأسرة الثالثة تعتمد على دخل كـل مـن الـزوج والزوجة، ويقدر دخلهما معاً من ١٦٠-١٨٠ جنيه شهرياً.
- **الشريحة المعدمـة**: بها تسع أسر: ثلاثـة أسـر تعولهـا الزوجة، مع عدم وجود دخل ثابت. وثلاثة أسر تعتمد علـى

دخل الزوج والزوجة غير الثابت. وثلاثة أسر تعتمد على دخل الزوجة من مهن دائمة ويقدر من ٨٠-١٠٠ جنيه.

ولقد كشفت الدراسة الميدانية عن وجود علاقة قوية بين تدنى الدخل الأسرى أو عدم انتظامه، وبين العديد من الصراعات والمشاكل ذات الطابع الاجتماعى والاقتصادى، والصحى بين الزوجين. تقول إحدى الإخباريات: "الستات هنا ماتبطلش خناق مع جوازهم بسبب قعدته فى البيت بدون شغل، وياريت على كده عاجب، إلا هو قاعد بيتأمر وعايز سجاير بالنهار ويشرب ميه بالليل وياكل لحمه. منين أجيب وأنا يدوب يومى بيصفى على ٢ أو ٥ جنيه. طول النهار قاعدة فى السوق متحمله حرها وبردها". وتقول إخبارية أخرى تعمل عاملة بالمركز الصحى بالمعصرة: "إحنا مش عارفين نعيش، أنا ماعنديش غير عيل واحد جبته بعد ٧ سنين جواز، لكن بربى خمسة ولاد أختى اللى ماتت وبعدها جوزها مات وسابهم ليه كوم لحم، ده أنا باصرف على ٨ أفراد، وأنا باخد مرتب كام ٨٠ جنيه، ٦٠ جنيه أجرة الأوضة، ٥ جنيه لمية الشرب مع إن البيت مفهوش ميه، ٥ جنيه لنزح بيت الراحة، قولى يفضل كام؟ اللى بيفضل ما يأكلش عيش حاف علشان كده تلاقينى بعد العمل أطلع أشوف شغل فى عيادة أو أى بيت بس لما يطلبونى عشان كده أولاد أختى خرجتهم من المدارس".

أما بالنسبة للمشاكل الصحية، فقد ساهم انخفاض الدخل

لدى بعض الأسر فى ظهور بعض أمراض سـوء التغذيـة والضعف العام، الذى انتهى بإصابة الأطفال بلـين العظـام والكساح ذلك بسبب عجز الأسرة عن تقديم أطعمة يتوفر فيها الكالسيوم وفيتامين (د) اللازمين لتكوين وتقوية العظام علـى المستويين: الأم وهى حامل، والطفل بعد ولادته وفى مراحل نموه المختلفة.

حجم الأسرة:

يلاحظ كبر حجم الأسرة فى عزبتى الهجانة والصـفيح، إذ يزيد عن ٦ أفراد باستثناء أسرتين بلغ مجموع حجمهما ٤ أفراد (بالمعصرة)، ولوحظ أن حجم الأسر الباقيـة بلـغ ١٠ أفراد فأكثر. ومازال النمط الأسرى المشترك هـو الشـكل الأسرى الغالب فى المجتمع، حيث يسمح هذا النمط باقامـة والدى الزوج والأخوة غير المتزوجين، واستقبال الأقارب أو المعارف باعتبارهم قد سبقوهم إلى هذه المنطقة وسكنوا فيها.

ويعتبر ذلك من أكبر الدوافع التى تساعد على تركيـز المهاجرين بمناطق معينة كما هو قائم بالفعـل فـى منطقـة المعصرة، وبالتحديد عزبة الصفيح وعزبة الهجانة. وغالباً ما تأخذ المناطق التى يتجمع بها النازحون شكل السكن المشترك أو شكل مستوطنات صغيرة (التجمع فـى حـوارى وأزقـة متقاربة)، وذلك من منطلق الأساس القرابى تارة، أو مكـان الميلاد الأصلى (البلديات) أو القرب من منطقة الطرد (مـن نواحينا صعيدى أو فلاح).

مدى الإقامة:

تكاد معظم أسر العينة تتراوح إقامتهم بمجتمع الدراسة ما بين خمس عشرة إلى عشرين سنة، باستثناء خمس أسر، منها أسرتان بلغت مدة الإقامة من ١٢-١٧ سنة، وثلاث أسر بلغت ٨ سنوات.

التاريخ المرضى للأسر:

تجمع نتائج الدراسة الميدانية على أن الغالبية العظمى من أسر العينة لهم تاريخ مرضى طويل سواء على مستوى البالغين أو الأبناء باختلاف مراحلهم العمرية، وتنحصر معظم أمراض البالغين فى الأمراض المزمنة (أمراض الجهاز التنفسى). أما الأبناء، فتتركز فى الإسهال والنزلات الشعبية والنزلات المعوية والضعف العام والأمراض الجلدية، وأمراض العيون، والالتهاب الرئوى. كما لوحظ أن ١٢ أسرة من أسر العينة توفى لديهم طفل أو اثنان فى مرحلة الطفولة المبكرة، نظراً لكثرة الإصابة بالإسهال فالجفاف، والضعف العام (الأنيميا) والالتهاب الرئوى. وسوف تتناول الباحثة ذلك بالتفصيل فى موضع آخر.

ودلتنا معايشة مجتمع البحث على أن تلك الإصابات المرضية ترجع إلى انخفاض الدخل وانعدامه لدى الغالبية العظمى من أسر العينة، مما يجعل أرباب الأسر فى حالة عجز دائم عن مواجهة أمراض الأطفال الناتجة عن التلوث

البيئى، بالتباطؤ فى الذهاب للمركز الطبى، نظـراً لارتفـاع قيمة الخدمات الطبية بالنسبة لمستوى الـدخل، ممـا يجعـل الأسرة تبدأ فى العلاج بالطرق الشعبية. وعندما تسوء حالـة الطفل أو تتفاقم، تضطر للذهاب إلى المركز الطبـى. كمـا يساهم كل من تدنى المستوى الاقتصادى وكبر حجم الأسـرة فى عجز الأسرة عن توفير المسكن الصحى والغذاء الجيـد اللازم لكل مرحلة من مراحل نمو الطفل، مما يترتب عليـه إصابة الأطفال بالضعف العام. كما سـاهم ارتفـاع معـدل الكثافة ومعدل التزاحم فى المسكن فى زيادة معـدل انتشـار الإصابة بين أفراد الأسرة، خصوصـاً بالنسـبة لأمـراض الجهاز التنفسى والأمراض الجلدية، التى تتطلـب أن يكـون للمريض أكثر من غيار وأن يتم غليه ولا يستخدمه أحد مـن إخوته. ومن البديهى أن ذلك لا يتحقق لعدم قدرة الأسرة على توفير هذه الاحتياجـات للأبنـاء بسـبب تـدنى المسـتوى الاقتصادى.

سادساً: عادم الأسـمنت وأمـراض الطفولـة فـى المعصرة

سبق أن تناولنا بالحديث الآثار الضارة التى قد يحـدثها اختلاط الهواء بعوادم ونفايات المناطق الصناعية على صحة الإنسان عامة، والأطفال خاصة، وذلك مـن واقـع نتـائج دراسات متخصصة فى مجال التلوث فـى بدايـة البحـث. والقضية المحورية لموضوع هذا البحث هى إلقـاء الضـوء

على أمراض الطفولـة فى منطقة المعصرة، وعلاقـة هـذه الأمراض بالتكنولوجيا المنتشرة فى المنطقة. ولمـا كانـت الإحصاءات قد كشفت عن أن منطقة حلوان لهـا النصـيب الأكبر من منشآت إنتاج الأسمنت، فإننا سوف نركز فى هذا الجزء على علاقة تلوث الهواء بعادم الأسـمنت بـأمراض الطفولة، وذلك من خلال ما يلى:

التعرف على مفهوم تلوث الهواء لدى الزوجـات فـى مجتمع البحث، ثم نعرض لأنماط الخدمة العلاجية المتـوفرة فى مجتمع البحث (حكومى – خاص) لقطاع الطفولـة بغيـة إلقاء الضوء على أمراض الطفولة. ونظراً لتدنى المستويات الاقتصادية فى المعصرة، فإن الخدمـة العلاجيـة بالعيـادة الخاصة تكاد تكون شبه متوقفة لأن معظم السكان يتعامل مع المؤسسات العلاجية الحكومية. وذلك يرجع إلى ارتفاع تكلفة الخدمة العلاجية الخاصة (العيادات) بالنسبة لدخل السـكان، حيث تتراوح قيمة الكشف بالعيادة من ٥-٧ جنيهـات مـن ناحية، واقتصار تقديم الخدمة العلاجية للعيادات الخاصة على الفترة المسائية من الساعة الخامسة إلى السابعة شتاء، ومـن الساعة السادسة إلى الثامنة مساء صيفاً من ناحية أخرى.

١ - مفهوم تلوث الهواء بالمعصرة

لدى معظم سكان المعصرة فى المناطق السكنية الثلاثـة مفهوم شكلى عن تلوث الهواء، بمعنى أنه ناتج عن شـبورة الغبار التى تتم رؤيتها بالعين، وتغير لون الملابـس، سـواء

التى يرتديها أو التى تم غسلها ونشرها، وامـتلاء المسـاكن بالتراب حتى لو كانت نوافذها مغلقة، وتغير لون أرضـيات المسكن والأثاث، وهذه كلها يتم تنظيفها يومياً. كما أن لـدى نساء المجتمع مفهوماً خاصاً عن مواجهة تلوث الهواء الـذى لا يتسق والواقع المعاش، فنجد أن الزوجات (ربات البيوت – عاملات) أفضن فى وصف ما يتم اتخاذه من أساليب لمقاومة دخول الهواء الملوث إلى مساكنهن. يتمثل ذلك فـى العنايـة بغلق النوافذ والشرفات، ووضع ورق على شـيش الشـباك الخشبى لمنع تسرب التراب (المعصرة المحطة)، إلى جانب الكنس وتنظيف الأثاث يومياً، بل ومرتين فى اليوم الواحـد، إلى جانب حرصها الشديد عند جمع الغسيل المنشور خـارج المسكن أن تقوم بإزالة التراب العالق (بنفضه عدة مرات).

أما بالنسبة للعناية بالأطفال، فـيقمن بتغييـر ملابسـهم بشكل يومى، خصوصـاً التى خرج بهـا خـارج المنـزل (ملابس المدرسة أو غيرها) حتى تتأكـد من خلوهـا مـن التراب، إلى جانب أنهن يذكرن أنهن حريصات على تطبيق المفاهيم المثالية للعادات السلوكية الصحية، فتذكر معظمهـن أنهن يقمن بغسل يدى الطفل قبل الأكل، وبعد قضاء الحاجة، وقص الأظافر، والتشطيف اليومى، والاستحمام مرتين فـى الأسبوع صيفاً على الأقل، ومرة أسبوعياً شتاء. إلى جانـب تغيير ملابسه وغسل بعض أجـزاء جسـمه بعـد عمليـات الإخراج، وتخصيص إناء بغطاء لتجميـع قمامـة المنـزل، والحرص على تغطية المأكولات المطهية وغيـر المطهيـة،

والاهتمام بغسل أوانى الطهى النظيفة قبل استخدامها، إلى جانب حرصهن على غسل الخضر والفاكهة قبل استخدامها مرة أو مرتين. أما فى حالة مرض أحد الأبناء فإنهن يحرصن على عزل الطفل المريض عن بقية الإخوة أو نومه عكس إخوته أو تصطحبه للنوم بجوارها. كما يحرصن على الذهاب إلى الطبيب عندما يشتكى الطفل من أى ألم.

إلا أن الملاحظات الميدانية المتكررة لأسر العينة أوضحت غير ذلك تماماً، فالأدوات التى يتم استخدامها للطهى يمكن أن تكون بها فضلات طعام باقية ومتروكة بالمطبخ تمر عليها الحشرات (الصراصير)، وذلك بسبب انقطاع أو ضعف المياه فى الأدوار العليا (المعصرة محطة)، وعدم توفر المياه النقية داخل المسكن (عزبتى الصفيح والهجانة). كما قد يكتفى بوضع قليل من الماء بالإناء ورجه عدة مرات (مصمصته)، ويعتبر ذلك نظافة للإناء قبل استخدامه.

أما بالنسبة لعادات نظافة الأطفال، فلا يستحمون أو حتى يغسلون وجوههم على الأقل عند الاستيقاظ صباحاً أو بعد الانتهاء من قضاء الحاجة، أو قبل الأكل، وذلك بسبب كبر حجم الأسرة وانشغال الأم فى أمور عديدة تجعلها فى غفلة عن تطبيق النمط المثالى أو التصورى الذى أشارت إليه على مستوى الحديث، لكنها بعيدة عن المستوى التطبيقى أو الفعلى لأنه يصبح أمراً غاية فى الصعوبة فى ذلك الوسط

الإيكولوجى الذى أشرنا إليه سلفا.

كما تبين شيوع عادة الرضاعة الصناعية فيما بين معظم نساء المجتمع بسبب ضعف صحة الأم التى يسببها كثرة عدد مرات الحمل والولادة. إلا أن المشكلة تكمن خطورتها فى عدم وعى الأمهات بأساليب السلوك والتعامل الصحى مع الأطفال، مما يتسبب فى إصابتهم فى السنين الأولى من العمر بالإسهال والنزلات المعوية طوال فترة الصيف، إلى جانب العديد من الأمراض الأخرى، التى تترتب على الإهمال وعدم وعى الأمهات بالعادات السلوكية الصحية، كالأمراض الجلدية (الجرب) والعيون.

كما لوحظ أن قدرة الأمهات على ملاحظة ما يطرأ على صحة أطفالهن من تغير (هرش) يعتبر شيئاً مستبعداً، وتقل درجة وعيهن بمرض أطفالهن إلا عندما يبكى أو يصرخ أو يشتكى هو بنفسه. وقد تبين أن الأم تترك الطفل يوماً أو اثنين أو أكثر ولا تذهب به إلى الطبيب إلا بعد انعدام قدرته على تحمل الألم. وبالرغم من توعية الطبيب لها بأن الطفل مصاب بالديدان الدبوسية التى تسبب له الهرش فى فتحة الشرج وتسبب هذا الألم المبرح، وينصح بضرورة عزل الطفل المريض، إلا أنها بمجرد عودتها إلى المنزل تضرب بكلام الطبيب عرض الحائط، وتفعل عكس الإرشادات فتترك الطفل المريض ينام مع إخوته، وتغسل ملابسه مع ملابسهم بالماء البارد ودون صابون وتقوم بعصرها ونشرها،

وأحياناً يرتدى السليم منهم ملابس المصاب.

وخلاصة القول، أن هناك شبه إجماع للآراء الطبية حول العلاقة بين الإصابة بالأمراض المزمنة (الديدان) وبين اتباع عادات غير صحية فى بيئة ملوثة. والشىء المدهش تشجيع الأم للذهاب إلى أطراف المجتمع حيث تتراكم أكوام القمامة للبحث عن عبوات البلاستيك وجمعها فى جوال لبيعها إلى المصانع التى تعيد تصنيعها. كما لاحظت الباحثة أثناء الزيارات الميدانية أن الأم كثيراً ما تقوم بإعداد الطعام دون غسل يديها بعد وصولها من عملها إذا لم تجد مياها نقية بالمنزل. وعادة ما تبدأ طهى ما أحضرته من خضروات فى عجالة (لسه حاروح أجيب ميه ألحق أعمل له لقمة قبل ما يجى الراجل ويعمل معايا خناقة).

وفى أسرة أخرى، تصل الأم من عملها ومعها أكلة جاهزة (كشرى) وتفرغ الكيس فى الطبق بدون غسله، ثم تنادى على أولادها من الحارة ويجلس الجميع لتناول الطعام بأيديهم دون غسلها ودون استخدام ملعقة، لكن من الأرجح أن صعوبة الحياة ومشقتها وارتفاع نسبة الجهل هى التى يتسبب عنها عدم وعى النساء بمفهوم التلوث وبمضمونه الحقيقى وآثاره الضارة على الصحة. فكيف لها أن تدرك فى وسط هذه المعاناة وانخفاض المستوى الاقتصادى الاهتمام ببعض الأشياء التى تبدو بالنسبة لها ثانوية أو مكلفة أو غير مفهومة. ثم كيف تتحقق هذه الجزئية أو تلك فى سياق بيئى

يحمل الكثير من مقومات التلوث والإصابة بالأمراض.

٢- إيقاع الحياة والعادات السلوكية غير الصحية وعلاقتها بأمراض الطفولة

فرض إيقاع الحياة بمجتمع البحث بعض العادات اليومية التى قد تساهم كبعد من أبعاد تلوث الوسط البيئى، إلى جانب تلوث الهواء، نظراً لأن طبيعة المجتمع منطقة صناعية، يبدأ فيها العمل من الساعة السابعة صباحاً مع بداية أول ورديـة بالمصانع (مصنع الأسمنت – مصنع ٤٥ الحربى)، وينتهـى فى الرابعة بعد الظهر (مصنع ٤٥ الحربى)، بينمـا يسـتمر حتى اليوم التالى الساعة السابعة صباحاً (بالنسـبة لمصـنع الأسمنت) فى ثلاث ورديات لكل منها ثمانى ساعات عمل.

وفى ضوء هذه الخصوصية لمجتمع البحث، ظهر نشاط جديد يتمثل فى توفير الوجبات الغذائية طول اليوم عن طريق الباعة الجائلين.

أ- الباعة الجائلون:

يكثر الباعة الجائلون بصورة ملحوظـة فـى منطقـة البحث، ويبلغ عددهم من ١٠-١٥ فـرداً يقومـون بتقـديم الوجبات الغذائية الثلاث إما على عربة مكشـوفة، أو عمـل نصبة (خيمة تتخذ كمحل لإعداد الأطعمة). ويقـدم هـؤلاء الباعة أصنافاً متعددة: ففى وجبة الإفطـار يقـدمون الفـول

والطعمية، وكذلك وجبة العشاء. وفى الغذاء يقدمون الكشرى والجبن القديم. ونجد أفواج العمال وتلاميذ المدارس تتـدفق وتلتف حول البائع، يقدم لكل فرد طبقاً صغيراً الألومنيوم به كميه من الفول المدمس وآخـر بـه كميـة مـن السـلطة (خضروات أو طحينة)، مع قرص أو اثنين طعمية ورغيفين من الخبز.

ومن الملاحظ أن هذه الفئة من الباعة الجـائلين غيـر مرخص لهم بمزاولة هذا النشاط، ومن ثم لم تثبت صلاحيتهم من الناحية الصحية لمزاولة هذا النشاط. وقد اعتـادت هـذه الفئة من الباعة ممارسة بعض السلوكيات التى تتنـافى مـع القواعد الصحية، خصوصاً عند إعداد الطعام. فمثلاً لا يجـد بعضهم غضاضة فى عدم غسل الخضروات التى تسـتخدم لعمل السلطة أو الطعمية. كمـا لا يبـدون اهتمامـاً بغسـل الأطباق التى توزع فيها المأكولات على الزبائن بعـد كـل استخدام. كما لا يهتم بتغطية المأكولات (السلطة والطعميـة) لحمايتها من الحشرات أو التراب الملوث. لذا فإن أى فـرد يقع بصره على المأكولات المعروضة أمام هؤلاء الباعة إلا ويجد أطباق المأكولات محطاً للذباب، إلى جانـب اسـتخدام البائع للطبق أكثر من مرة بدون غسـيل بحجـة قولـه: "إن الرزق يحب الخفية، فترة الصبحية مفيش وقت عشان أغسل طبق". وإذا أراد أن يكرم أحد الزبائن يقـوم بـأداء حركـة تمثيلية توحى بأنه يقوم بغسل الطبق إما بوضع كميـة مـن الماء ويحركها فى الطبق أو يدخله ويخرجه فـى جـردل أو

صفيحة به ماء بينما لا تزال بقايا الطعام عالقة به.

ب- تربية الطيور والحيوانات:

تنتشر تربية الطيور (بط – دجاج – أوز) والحيوانات المنزلية (ماعز – خراف) وتقتات الطيور والحيوانات على أكوام القمامة والمستنقعات، ويلعب الأطفال بجوارها. وفى المساء تبيت هذه الحيوانات والطيور مع أعضاء الأسرة فى نفس الحجرة. ولقد ثبت أن ريش بعض الطيور وفروة الحيوانات تحوى بعض أنواع الفيروسات والميكروبات التى قد تسبب بعض الأمراض الجلدية، وبالتحديد الجرب. وفى ضوء السياق المحيط بالطفل وملازمته للحيوانات والطيور فى اللعب والمبيت، يصبح فريسة سهلة لمرض الجرب اللعين، الذى تسببه عدم النظافة العامة والنظافة الشخصية خاصة.

ج- الحفاء:

عادة ما يسير الأطفال باختلاف مراحلهم العمرية بدون ارتداء الأحذية صيفاً وشتاء. ويقتصر لبس الحذاء على الذهاب إلى المدرسة، ولما كانت الأرض طينية (زراعية)، فهى مكان جيد لتكاثر الديدان (الإنكلستوما – الاسكارس)، فمجرد أن تلامس الدودة رجل الطفل فإن حرارتها تسهل مهمة اختراق القدم، مما يتسبب فى الإصابة بالمرض.

د- الاستحمام فى الترع:

سبق أن أشرنا أنه يوجد ترعة واحدة هى ترعة

الخشاب، التى تمثل المصرف الأساسـى لميـاه المجـارى والصرف الصحى، سواء ما يتم نزحه أو الذى يعتمد علـى شبكة الصرف الصحى، إلى جانب أن الترعة تمثل المكـان الوحيد لمخلفات المصانع المحيطة (مصـنع ٤٥ – مصـانع الأسمنت)، بالإضافة إلى كونها تمثل أحـد مقالـب القمامـة للمساكن القريبة المجاورة لها. ورغم حجم هـذه الملوثـات ونوعيتها، فإن ترعة الخشاب تمثل مكانـاً للهـو الأطفـال، خصوصاً فى فصل الصيف، وذلك للاستحمام بها نظراً لعدم توفر المياه فى معظم منازل عزبتى الصفيح والهجانة. وهكذا تصبح ترعة الخشاب واحدة من مصادر إصـابة الأطفـال بالأمراض الجلدية والبهارسيا والديدان الأخرى.

٣- المركز الطبى العام بالمعصرة:

يقع المركز الطبى شرق محطة المترو ويخدم منـاطق المعصرة المحطة وعزبة الصفيح وعزبة الهجانة، التى يبلغ التعداد التقديرى لها عام ١٩٩٥ حوالى ٧٩٥٦ نسمة. ولعلنا نستطيع الوقوف على دور هذا المركز من خلال استعراضنا لهيكله التنظيمى ونظام الخدمات العلاجية التى يقدمها. وهـى على النحو التالى:

أ- نظام العلاج: يقدم المركز الطبى الخدمة العلاجيـة مـن خلال نظامين:

الأول: نظام العلاج الشامل: ويعنى تقديم الخدمـة العلاجيـة وصرف الدواء مجانـاً بعد دفع قيمة التـذكرة وقـدرها ٩٥

قرشاً.

الثانى: نظام العلاج الاقتصادى: ويعنى تقديم الخدمة العلاجية بعد دفع قيمة التذكرة وقدرها ١٤٠ قرشاً، على أن يقوم المريض بشراء الدواء على نفقته من خارج المركز[٣٠].

ب- الهيكل التنظيمى بالمركز:

مدير المركز (طبيب)

وكيل المركز (طبيب)

مفتش الصحة (طبيب)

فئة الأطباء	**فئة المهنيين**	**فئة التمريض**	**فئة الأعمال الكتابية**
عدد	عدد	عدد	عدد
٥ -طبيب بشرى	**١-أخصائى اجتماعى**	**١-رئيس هيئة التمريض**	**١- مندوب صرف**
٢- طبيب أسنان	**١ -أخصائى نفسى**	**١ -وكيل هيئة التمريض**	**١- أمين مخزن**
- صيدلى	**١-مراقب صحى**	**٧ -ممرضات**	**٣ -كاتب شئون عاملين**
		٦ -ممرضون	**٢ -كاتب بمكتب الصحة**
		٥ -مولدات	**٢ -كاتب بالصيدلية**
		١ -عامل	**١- فنى معمل**
		٥ -عاملات	**١ -مساعد فنى معمل**

شكل (٧) الهيكل التنظيمى للمركز الطبى بالمعصرة

بالمعصرة

نلاحظ من الرسم التوضيحى للهيكل التنظيمى للمركـز أن به حوالى ٢٠ فرداً يتوزعون على أربع فئات هم:

فئة الأطباء وعددهم ٧ ما بين طبيب وطبيبـة، هيئـة التمريض ٢٦ (ممرض وممرضة) الأعمـال الكتابيـة ١١ فرداً، المهن الأخرى ٣ أفراد.

ج - أقسام المركز الطبى:

يضم المركز الطبى أحد عشر قسماً هى: الاسـتقبال – العيادة الشاملة – الصيدلية – عيادة الأسنان – مكتب الصحة – مكتب الخدمة الاجتماعية والنفسية – عيادة تنظيم الأسرة – رعاية الأمومة والطفولة – معمل التحاليل – المطبخ التعليمى – مسكن النوبتجية.

ويتكون المركز من طابقين:

الطابق الأول: ويضم جميع الأقسام السـابقة، ويضـم الطابق الثانى سكن النوبتجية.

قسم الاستقبال: يعمل طوال ٢٤ ساعة – طبقـاً لنظـام النوبتجية – ويقسم إلى ثلاث فترات تضم كل فتـرة طبيبـاً وممرضة وعاملاً، يقوم القسم بإسعاف جميع حالات الحوادث وعلاج الجروح والمغص الكلوى، إلى جانب قيامـه بعمـل بعض العمليات الصغيرة (طهارة ذكور – فـتح الخـراج).

تتكون حجرة الاستقبال من منضدة للكشف، ومكتب الطبيب، ودولاب به بعض الأدوات الطبية، وبعض الأدوية الخاصـة بالإسعافات السريعة، وبعـض المـواد المطهـرة، وأدويـة مسكنات، وخيط وإبرة جراحية.

العيادة الشاملة: تعمل من الساعة الثامنـة والنصـف صباحاً حتى الواحدة والنصف ظهراً، وبها عـدد ٢ طبيـب وعامل. يقوم الطبيب بالكشف على جميع المرضى البـالغين والأطفال من الجنسين، وذلك فى تخصصات الباطنة والجلدية والأطفال. تتكون الحجرة من منضدة كشف – مكتب الطبيب – دولاب به بعض الأدوات الطبية. وقد لوحظ مـن خـلال الدراسة الميدانية تغيب الطبيب أو تأخره عن مواعيد العمل، حيث تصل مدة الكشف ومتابعة الحالة المرضية إلى نصـف ساعة على الأكثر وعدد الحالات مائة حالة يومياً.

مكتب الصحة: يقوم بتسجيل المواليد الجدد واسـتخراج شهادات الميلاد وتسجيل الوفيات واستخراج شهادات الوفاة، وذلك بعد توقيع الكشف الطبى على الحالة بمعرفـة مفـتش الصحة الذى يعاونه ٢ كاتب يقومون بتسجيل أسماء المواليد والوفيات بالسجل الخاص بها، ويوجد بالحجرة مكتب الطبيب ودولاب نماذج شهادات الميلاد والوفاة والسجلات الخاصـة بقيد المواليد والوفيات.

عيادة الأسنان: تخـتص بالكشـف وعـلاج الأسـنان وعمليات خلع الأسنان وحشو الضـروس، وبهـا ٢ طبيـب

يعملان بالتناوب. ويوجد بالحجرة كرسى خـاص بالكشـف، ودولاب به أدوات، وعدة الكشف والخلع. وقد كشفت الدراسة الميدانية عن قلة عدد المترددين على هذه العيادة بسبب كثرة غياب الطبيبة التى تقيم خارج منطقة حلوان وتتـراوح أيـام حضورها ما بين يوم أو يومين فى الأسبوع.

قسم رعاية الطفولة والأمومة: يتكون من قسمين:

الأول: خاص برعاية الأم طوال فترة الحمـل، والقيـام بعمليات التوليد سواء داخـل المركـز أو عنـد الاسـتدعاء للمنزل.

الثانى: خاص برعاية الطفل: ويخـتص برعايـة الأم والطفل بعد الولادة من لحظة الميلاد حتى سـن ٥ سـنوات وإعطاء التطعيمات اللازمة لكل مرحلـة عمريـة، وجميـع الخدمات تقدم مجاناً.

عيادة تنظيم الأسرة: تقوم بالكشف على السيدات اللائى يرغبن فى استخدام وسائل تنظيم الأسرة، لتحديـد الوسـيلة المناسبة لكل حالة، ثم تقوم العيادة بمتابعة المترددات علـى العيادة، لعمل كارت لكل حالة (سيدة) تسـجل بـه البيانـات الأساسية والفحوص التى أجريت لها. وأثناء الدراسة الميدانية لوحظ وجود عدد من السيدات الحوامل، ومن خلال المقابلـة تبين أن كل واحدة منهن سبق لها الإنجاب ثـلاث أو أربـع مرات، وإحداهن خمس مرات، ومع ذلك مازلن يرغبن فـى

الإنجاب مرة أخرى، ومن خلال سؤال الباحثة لبعضهن عن سبب الحمل بالرغم من وجود أطفال لديهن، قـال إحـداهن (عشان باستخدام الحبوب عند اللزوم) وقالت الأخرى (دايماً أنسى آخد الحباية). ولنا فى هذا الحديث وقفة، نهدف منهـا إلى القول بأن عيادات ومراكز تنظيم الأسـرة فـى مصـر حريصة كل الحرص على زيادة معدلات بيع وسائل تنظـيم الأسرة، ورغم زيادة معدلات البيـع هـذه، إلا أن معـدلات الإنجاب لم تتغير، خصوصاً فى المناطق الشعبية والمنـاطق المتخلفة. ويرجع ذلك إلى انتشار الأمية، التى تعكس بدورها غيبة الوعى بأهمية تنظيم الإنجاب خوفاً على صحتها وصحة طفلها. لذا، يجب أن يضاف إلى مهام مراكز تنظيم الأسـرة مهمة التوعية المستمرة لهذه المستويات.

معمل التحليل: يقوم بإجراء تحليل الدم والبول والبراز، إلى جانب التحاليـل الخاصة بأمراض السكر والكولسترول، وعملية التحليل للدم، جميع أجهزة المعمل معونة مـن هيئـة الأمـم المتحـدة، كمـا يقـوم بـإجراء التحاليـل عـدد ٢ فنى معمل يتناوبون فيما بيـنهم. وقـد كشـفت الدراسـة الميدانية عن اقتصار المعمل على تحليل البول فقط، وذلـك تحت حجة تعطل الأجهزة وقلة الخامات اللازمـة لإجـراء التحاليل الأخرى.

مكتب الخدمة الاجتماعية: يقوم هـذا المكتـب بعمـل الأبحاث الاجتماعية لحالات الأسرة الفقيرة التى تحتاج إلـى

معاش أو إعانة شهرية، وعادة ما يتم تحويل الحـالات إلـى الجهات المختصة بتقديم هذه الخدمة. كما يقوم بعمل بحـث حالة للمرضى والأطفال العجزة المحتـاجين إلـى أطـراف صناعية أو نظارة أو حذاء طبى، ثم بعدها يقوم بتحويلها إلى الجهات التى تقوم بتوفير هذه الخدمة (مثـل مستوصـف د/ مصطفى محمود بالمهندسين).

المطبخ التعليمى: يقوم بمهمة التوعية الصحية والغذائية للسيدات بمجتمع البحث، وذلك مـن خـلال المحاضـرات النظرية والعملية عن كيفية إعداد وجبة صـحية اقتصـادية للأسرة، وكيفية إعداد وجبات صحية للطفل فى كل مرحلـة عمرية. يقوم بالإشراف على المطبخ التعليمى مشرفة تقـوم بعملية تعليم السيـدات كيفية تجهيز الوجبـات مـن خـلال ملاحظتهن لها، وأحياناً تقوم كل واحدة بتنفيذ ما تم شـرحه بصورة عملية. وعادة ما يتم توزيع الوجبات التى تم إعدادها على المترددات. ولهذا المطبخ ميزانية خاصـة مـن وزارة الصحة، وقد كشفت الدراسة الميدانية عن عـدم قيـام هـذا المطبخ بالمهمة التى أنشئ من أجلها بسبب إغلاقـه طـوال فترة الدراسة الميدانية.

المسكن الخاص بهيئة النوبتجية: يقـع سـكن هيئـة النوبتجية بالدور العلوى من المركز، ويتكون من جنـاحين: الأيمن مخصص لمبيت النساء، والأيسر لمبيـت الرجـال. ويتكون كل جناح من حجرة للنوم ومطـبخ وحمـام ودورة

مياه.

الصيدلية: تبدأ مع بداية يوم العمل وتنتهـى بانتهائـه. وتقوم موظفة بصرف الأدوية لمرضى نظام العلاج الشـامل فقط ويوجد بها أنواع قليلة من الأدوية ينحصر معظمها فـى بعض المسكنات (نوفالجين – أسبرين – سلفا). ولا يوجد بها الأدوية الخاصة بأمراض الجهاز التنفسى والجهاز الهضـمى والمضادات الحيوية. ولوحظ أثناء الدراسة الميدانية وبالتحديد بجوار طابور الأمهات اللاتى يصرفن تذاكر الدواء، لـوحظ أن حديثهن يدور حول معنى واحد هو "دايماً ما تسمعش منهم غير الدوا ده ناقص – ده مش موجود – ده خاص – وترسى الروشتة على شوية برشام، وفى آخر الوقفة الطويلة نـروح نشترى الروشتة مـن الأجزخانة". وخلاصة القول أن حجم وطبيعة الخدمة العلاجية الحكومية فـى مجتمـع البحـث لا تتناسب مع احتياجاته من حيث:

- عدد الأطباء ٧ بالقياس إلى عدد السكان الذى بلـغ طبقـاً لتقديرات ١٩٩٥ ٧٩٥٦ نسمة أى أن لكـل ١١٣٦,٨ فـرد طبيب واحد.
- خصوصية مجتمع البحث المحاط بملوثات البيئة الصناعية وملوثات البيئة الناتجة عن انعدام الخدمات الأساسية انتشـار العادات السلوكية غير الصحية.

٤- أمراض الطفولة من واقع سجلات المركز الطبى العـام

بالمعصرة:

تم حصر أمراض الطفولة فى الفترة من ١٩٩٠-١٩٩٥ من سجلات مكتب الصحة والعيادة الشاملة وتبين ما يلى:

أ- ارتفاع نسبة المصابين من الأطفال المترددين علـى العيادة الشاملة بالقياس إلى الفئات العمرية الأخرى (البالغين وكبار السن). فمن بين كل ١٠٠ تذكرة كشف نجد ٧٥ منها خاصة بالأطفال، أما الـ ٢٥ الأخرى فهـى لبقيـة الفئـات العمرية الأخرى.

ب- تتباين نسبة المترددين من الأطفال علـى المركـز الطبى طبقاً لتباين فصول السنة. ففى فصل الصيف تسـجل سجلات المركز فى المتوسط من ١٠٠-١٥٠ تذكرة للأطفال باختلاف أعمارهم.

وتفسير ذلك يرجع إلى توقف خدمة التـأمين الصـحى المطبق بالمدارس فى فترة الإجازة الصيفية، مما ينتج عنـه تحويل جميع حالات الأطفال المصابة للعلاج بالمركز.

ج- هناك علاقة بين بعض الفصول وبين زيادة معدلات الإصابة بأمراض معينة. ففى فصل الشتاء، وبالتحديد بدايـة شهر أكتوبر حتى آخر شهر فبراير تتزايد نسبة المصـابين بأمراض الجهاز التنفسى فيما بين الأطفال والبالغين، بسـبب زيادة معدل إنتاج الأسمنت فى هذه الفترة، وبالتـالى تزايـد نسبة التراب المتساقط على منطقة حلوان تقدر بـ ـ٧٦٢,٤٦

طن/كم^2. وقد أشارت إحدى نتائـج القياسات إلى تزايد نسبة التراب المتساقط على منطقة المعصرة مـن مصـنع طـره الأسمنت بالتحديد لتصل إلى ٢٠٠ طن يومياً[٣١].

ولذلك تبين أن هذه الأمراض تتصدر قائمة الأمـراض التى تصيب الأطفـال فى مجتمع البحث، حيث تقدر نسـبة الإصابة بحوالى ٣٠% والتى تظهر فى أمـراض: التهـاب الزور – حساسية الصدر – النزلات الشعبية – الربو الشعبى.

د- تتزايد معدلات الإصابة بأمراض الجهاز الهضـمى فى الصيف التى تتمثل فى: (النـزلات المعويـة – التسـمم الغذائى – الإسهال والجفاف – ارتفـاع درجـة الحـرارة – الحمى – القىء – المغص).

كما احتلت أمراض سوء التغذية مكاناً فى قائمة أمراض الطفولة، وتتمثل فى (نقص الـوزن – النحافـة الشـديدة – الأنيميا) وتقدر نسبة الإصابة بـ ٣٠%.

هـ- الأمراض الجلدية (الجـرب): كشـفت سـجلات المركز عن وجود مرض الجرب الذى يزيد معدل الإصـابة به بين الأطفال باختلاف أعمارهم، وتقدر نسـبة الإصـابة بـ ٣%.

و- الكساح ولين العظام: تشير بيانات السـجلات إلـى انتشار هذا المرض بين الأطفال من عمر سنة إلـى خمـس سنوات، وتقدر نسبته بـ ٥%، وذلك بسبب عـدم تعـرض

أطفال مجتمع البحث إلى الشمس، وبالتحديد للأشـعة فـوق البنفسجية التى تساعد على تكوين فيتامين (د) الطبيعى.

ز- الأمراض البيئية: ذات طبيعة وراثية: كشفت بيانات المركز الطبى – إحصائيات وفيات الأطفال – عـن حـالات وفيات أطفال نتيجة إصابة الوالدين بأمراض مزمنة وأخرى وراثية، منها على سبيل المثال (السقط الرحمـى – ضـمور المخ – ضمور القلب – هبوط القلب – فشل كلوى – عيـب خلقى – وجود ديدان – بلهارسيا) وتقدر بـ ـ٧%. ويرجـع تفسير ذلك إلى تداخل عوامل، منها ما يرتبط بظروف التلوث البيئى، وبالتحديد مخاطر تلوث الهواء بتراب الأسـمنت، أو بعادم وسائل النقل – اللذان يتسببان فى زيادة معـدل أكسـيد الكربون أحد نواتج صناعة الأسمنت وعادم وسـائل النقـل، والتى تتسبب فى أمراض القلب بسـبب الكولسـترول فـى الشريان الأورطى الذى يؤثر بدوره على الجهـاز العصـبى المركزى[٣٢].

أما من ناحية الإصابة بالديدان بأنواعها: (الإنكلستوما – الإسكارس – الديدان الدبوسية)، فإنه يساهم فى الإصابة بهـا تلوث الوسط البيئى الذى يعيش فيه الأطفال وشيوع العـادات غير الصحية بخصوص عدم عزل المريض فى نومه، وعدم استخدام ملابس داخلية، والسير حافى القدمين. إلـى جانـب اعتياد التبرز والاستحمام فى الترع، وعدم الوعى بـأعراض الإصابة خصوصاً البلهارسيا (مثل نزول دم مـع البـراز أو

البول)، والتباطؤ فى العلاج بسبب الاعتقاد الخاطئ بأن هـذا العرض شئ عادي. تقول إحدى الإخباريات لطفلهـا: "كـل ولاد عمك نسمع أن عندهم دم فى البراز وهم لـم يشـتكوا وعايشين زى الفل". إلى جانب عدم مراعاة مفهوم النظافـة عامة، والنظافة الشخصية خاصة، كل ذلك من دواعى ارتفاع معدلات الإصابة فيما بين الأطفال فى الشريحة الدنيا.

٥- وفيات الأطفال: بالرجوع إلى سجلات مكتـب الصـحة بالمركز الطبى بالمعصرة انظر الجـدول (٨) يتضـح لنـا الآتى:

أ- ارتفاع معدل وفيات الأطفال (الرضع حتى سن سنة).

ب- يقل معدل الوفيات نسبياً فيما بين الأطفال من عمـر سنة حتى ٥ سنوات.

ج- ارتفاع معدل وفيات الأطفال من عمـر ٥ سـنوات فأكثر.

جدول (٨) الإحصائيات الحيوية فى الفترة من ١٩٩١-١٩٩٥ المصدر[٣٣]

السنة	تعداد السكان	إجمالى المواليد	بيان الوفيات الرضع حتى سن سنة	الوفيات من ١-٥ سنوات	النسبة المئوية للوفيات من سن ٥ سنوات فأكثر
١٩٩١	٦٧٠٠٠	١٤٦٥	٠,٠٣%	٠,٠١%	٠,١١%
١٩٩٢	٦٨٢٤٨	١٢٦٢	٠,٠٣%	٠,٠٠٦%	٠,١٤%
١٩٩٣	٦٩٤٩٨	١٣٧٧	٠,٠٢%	٠,٠٠٥%	٠,١٤%
١٩٩٥	٧٠٥٤٧	١٣٧٩	٠,٢٣%	٠,٠٠٧%	٠,١٤%

كما ألقت بيانات سجلات مكتب الصحة الضوء على العلاقة بين بعض الأمراض وارتفاع معدلات وفيات الأطفال.

جدول (٩) يوضح الأمراض المسببة لوفيات الأطفال وأعدادهم بمجتمع البحث

السنة	الإسهال والنزلات المعوية	ربو شعبى	التهاب رئوى	ضعف عام
١٩٩٠	٣٦	٢٢	١٩	٨
١٩٩١	٤٩	١٥	٦	٢
١٩٩٢	٤٠	١٤	٩	٦
١٩٩٣	٣٤	٥	٦	٣
١٩٩٤	٣٦	٣	٥	٥
١٩٩٥	٣١	٤	٦	-

ويتضح لنا من الجدول (٩) ما يلى:

١- ارتفاع معدل وفيات الأطفال فيما بين المصابين بأمراض الجهاز التنفسى: الأمراض الصدرية مثل: الربو الشعبى والالتهاب الرئوى.

٢- ارتفاع معدلات وفيات الأطفال المصابين بالنزلات المعوية والإسهال والجفاف.

٣- هناك علاقة بين ارتفاع معدل وفيات الأطفال فى

مرحلة الطفولة (المهد والطفولة المبكـرة) وبـين الإصـابة بالضعف العام (الأنيميا).

عرض لأهم نتائج الدراسة الميدانية

أولاً: بالنسبة للخصائص الإيكولوجية العامة لمجتمع البحث

١- كشفت نتائج الدراسة الميدانية عن غيبـة التنظـيم والتخطيط عند إقامة المنطقة الصناعية بمنطقة حلوان عامـة ومنطقة المعصرة خاصة، وإغفال المخططين لاعتبار طاقـة المنطقة الاستيعابية من حيث العمل والمساكن والخدمات، وما يترتب على موجـات المهـاجرين الوافـدين مـن بعـض المحافظات الطاردة بكل من الصعيد والدلتا بحثاً عن فـرص للعمل الجديد، التـى لا تخضـع لأى قواعـد تنظيميـة أو تخطيطية مستقبلية. ولذلك استمر التمدد العشـوائى لمنطقـة المعصرة فى كل اتجاه دون النظر إلـى طبيعـة الصـناعة الموجودة والآثار المدمرة التى يمكن أن تؤثر على صـحتهم وصحة أطفالهم فى المستقبل. وهكذا تفاقمت مشكلة الإسكان والسكان، وتدريجياً تكونت ظاهرة المنطقة الحضرية الفقيرة التى يعيش أصحابها فى مساكن رديئة (مساكن شرك خاليـة من الخدمات الأساسية التى جعلتها مساكن غير صحية).

٢- إن حجم وطبيعة الخدمة العلاجية الحكوميـة فـى مجتمع البحث لا تتناسب مع احتياجاته من حيث:

أ- عدد الأطباء ٧ أطباء بالقياس إلى عدد السكان الذى

يبلغ طبقاً لتقديرات ١٩٩٥ (٧٩٥٦) نسمة. وهذا يعنى أن لكل ١١٣٦ فرد طبيباً واحداً. مع أن لمجتمع البحث خصوصيته من حيث أنه محاط بالملوثات الصناعية وملوثات بيئية ناتجة عن انعدام الخدمات الأساسية، وتدنى المستويات الاقتصادية وانتشار العديد من العادات السلوكية غير الصحية.

٣- هناك علاقة بين تغير الفصول وبين زيادة معدلات الإصابة بأمراض معينة: ففى فصل الشتاء تتزايد نسبة المصابين بأمراض الجهاز التنفسى فيما بين الأطفال والبالغين - بسبب زيادة معدل تساقط الأتربة على مجتمع البحث.

٤- كشفت نتائج الدراسة الميدانية عن تصدر أمراض الجهاز التنفسى قائمة الأمراض التى تصيب الأطفال، حيث تقدر النسبة بـ ٣٠% والتى تظهر فى أعراض (التهاب الزور - حساسية صدرية - نزلات شعبية - الربو الشعبى - الالتهاب الرئوى).

٥- ثم يليها التسمم الغذائى وأمراض الجهاز الهضمى وتتمثل فى: (الإسهال - المغص - الجفاف - النزلات المعوية). كما احتلت أمراض سوء التغذية مكاناً فى قائمة الأمراض تتمثل فى: نقص الوزن، النحافة الشديدة، الأنيميا الحادة التى تؤدى إلى سرطان الدم. وتقدر نسبة الإصابة بأمراض الجهاز الهضمى بأنواعها ٣٠%.

٦- أظهرت بيانات السجلات انتشار الكساح ولين العظام فيما بين أطفال المرحلة العمرية من سنة إلى خمس سنوات وتقدر النسبة بحوالى ٥%. وذلك بسبب عدم تعرض أطفال المجتمع للشمس وبالتحديد للأشعة فوق البنفسجية التى تساعد على تكوين فيتامين (د) الطبيعى، وذلك بسبب امتصاص الشعاع الشمسى فى طبقات الجو العليا نظراً لما يحمله هواء المجتمع من غبار وأتربة وغازات.

٧- ثم جاءت الأمراض البيئية ذات الطبيعة الوراثية فى آخر قائمة الأمراض، حيث تشير إحصائيات الوفيات بالمركز الطبى إلى حالات وفيات أطفال حديثى الولادة وفى مرحلة الطفولة المبكرة نتيجة لإصابة الوالدين بأمراض مزمنة وأخرى وراثية، نذكر منها على سبيل المثال لا الحصر: السقط الرحمى – ضمور المخ – ضمور القلب – هبوط القلب – فشل كلوى – عيب خلقى – الإصابة بالديدان الدبوسية – الإنكلستوما – البلهارسيا. وتقدر النسبة بحوالى ٧%.

خاتمة

بات من المؤكد أن إصابة الأطفال بالأمراض البيئية فى المعصرة حلوان ما هى إلا تجسيد لتفاعل أضلاع المثلث (الذى حدده سلفاً اتجاه الإيكولوجيا الطبية): العوامل الإيكولوجية، والاجتماعية، والثقافية وتأثيرها على الصحة

والمرض.

أما عن الظروف الإيكولوجية بالمعصرة فتتركـز فـى مخاطرها بتلوث الهواء بتراب (عـادم) الأسـمنت، وعـادم وسائل النقل اللذان يتسببان فى زيادة معدل أكسيد الكربـون أحد نواتج كل من صناعة الأسمنت وعادم النقل. مما كـان بدوره سبباً لأمراض القلب. كما ساهم كـل مـن التركيـب الكيميائى للأسمنت وقدرته على الاختلاط بنواتج الاحتـراق ومركبات كيميائية مثل (أكسيد السيلكون – مركبات الكبريت – الجسيمات الصلبة الدقيقة) أن يكون سبباً للإصابة بأمراض الجهاز التنفسى مثل: التحجر الرئوى، الأمراض الصـدرية، والربو الشعبى.

كما ساهمت كل من عوامـل تلـوث الوسـط البيئـى والعوامل الثقافية المتمثلة فى انعدام الوعى الصحى، وتـدنى المستوى الاقتصادى، وسوء المسكن، وافتقار المجتمع للحدود الدنيا للخدمات الأساسية، وارتفاع نسبة الأمية – خصوصـاً بين الأمهات – فى انتشار الإصابة بالديدان بأنواعهـا. كمـا كان لبعض العادات الثقافية دور من حيث أن منطقة البحـث تمثل مكاناً لتجمع الوافدين مـن محافظـات الصـعيد التـى مازالت ثقافتهم تعلى من الزواج القرابى الذى يترتب عليـه آثار غير صحية على المواليد من حيث الإصابة بـأمراض التخلف العقلى[٣٥]، إلى جانب ارتفاع نسبة وفيات الأطفال من خلال ما يعرف بالسقط الرحمى، ضمور المخ، هبوط القلـب ... إلخ.

المراجع

١-محمد سعيد فرح، **الطفولة والثقافة والمجتمع،** منشـأة المعـارف بالإسكندرية، ١٩٧٣، ص١٤.

٢-عبدالمحسن صالح، "**المدينة الحديثة ومشكلة التلوث**"، مجلة عـالم الفكر، المجلد الثانى، العدد الثالث، ١٩٩٢، ص٧١٢,٧

٣-علية حسن حسين، **البيئة والصحة والمرض فى الـوادى الجديـد،** بحث غير منشور، ١٩٩٠.

٤-السيد عبدالعاطى السيد، **الإنسان والبيئة،** دار المعرفـة الجامعيـة، الإسكندرية، ١٩٩٣، ص٢٩٩.

٥- A) M. A. Mosalam Shaltut, A. A. El Hadad, M. A. Fadly, and A. M. Mahrous; Estimation of the Total Atmospheric Pollution in Cairo Using Solar Energy Data, ١٩٩٤.

B) El-Gandour, M. F., et. al., Al Kali, Earth Al Kali & Heavy Metal constituents of Dust – fall in Helwan area, Environmental pollution, Series B. Applied sciences publishers, Essex, England, ١٩٨٢.

C) El-Gandour, Studies on Air Pollution from Construction plants in Helwan Industrial Area: I Total Dust Deposition Over the Area, vol. ١٧, No. ٢, ١٩٨٣.

d) Nancy – J., Industrial Pollution Control, Issues and Techniques, Reinhold, New York, ١٩٨١.

هـ-أحمد مصطفى حسن العتيق، الآثار النفسية للتلوث بعادم الأسمنت

فى منطقة حلوان، رسالة ماجستير غير منشورة، معهد الدراسات والبحوث البيئية، جامعة عين شمس، القاهرة، ١٩٧٢.
و-عايدة بشارة، دراسات فى بعض مشـاكل تلـوث البيئـة، الهيئـة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٧٣.
ز-أمال إسماعيل شاور، تلوث الهواء بمدينة حلوان كرد فعل لتـدمير الإنسان للبيئة، المجلة الجغرافية العربية، العـدد ١٩، السـنة ١٨، ١٩٨٧.
حـ-المركز القومى للبحوث، وحدة تلوث الهـواء، دراسـات تلـوث الهواء فى حلوان، تقرير غير منشور (ب،ث).
٦-محمد الجوهرى، طرق البحث الاجتماعى، دار الكتـاب للتوزيـع، جـــــــــــــــــــــــــــــــــــ٣، ١٩٨٢، ص ٣٥٥.
٧-Michael Allaby, Macmillian Dictionary of Environnment, Macillan, Press, London. (M. P.), p.١٨٣.
٨-محمد يونس عمار، ماهية البيئة وأهميتها، ورقة مقدمة إلى الـدورة التدريبية للقادة التربويين فى مجـال التربيـة البيئيـة، أغسـطس، ١٩٨٢.
٩-عبدالمحسن صالح، مرجع سابق، ص١٥٧.
١٠-روبرت لافون (تأليف)، نادية القبانى (ترجمـة)، تلـوث شـرق ترادكيم، جنيف، ١٩٧٧. ص٣.
١١- Michael Allaby, Op. Cit., p.٢٠٠.
١٢-المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، مرجع فى التعليم البيئـى لمراحل التعليم العام، القاهرة، ١٩٧٧، ص٣٧٩.
١٣-خالد فهمى، التوطن الصناعى والبيئة، بحث التوطن الصناعى فى

مصر، سلسلة أوراق عمل بحثية (٣٩)، معهد التخطيط القـومى، القاهرة، ١٩٨٥، ص٢٠.
١٤-عبدالمحسن صالح، مرجع سابق، ص٤١٥.
١٥-محمد متولى الشعراوى، حديث إذاعى يوم الأحد الموافـق ٣ أكتوبر سنة ١٩٩٥.
١٦-عبدالمحسن صالح، مرجع سابق، ص ص٧١١-٧١٥.
١٧-أحمد أبو زيد، أزمة البيئة، عالم الفكر، المجلـد السـابع، العـدد الرابع، يناير / مارس، الكويت ١٩٧٧، ص٧.
١٨-السجلات الرسمية لحى حلوان.
١٩-الجهاز المركزى للتعبئة العامة والإحصاء، صناعة الأسـمنت فى مصر، مرجع ٧١ – ١٤١٢٤ – ٨٤ القاهرة، ١٩٨٤.
٢٠-آمال إسماعيل شاور، مرجع سابق، ص١١٩.
٢١-خالد فهمى، مرجع سابق، ص٣٠.
٢٢-المركز القومى للبحوث، مرجع سابق، ص٢٥٠.
٢٣- M. A. Mosalam, Op. Cit., p. ٣٠.
٢٤-السجلات الرسمية لحى حلوان، مرجع سابق.
٢٥-محمود الكردى، التحضر، الكتـاب الثـانى، دار المعـارف، القاهرة، ١٩٨٦، ص١١٤.
٢٦-آمال إسماعيل شاور، مرجع سابق، ص٢٥.
٢٧-محمد الجوهرى، دراسات فـى الأنثروبولوجيـا الحضـرية، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ١٩٩١، ص١١٣.
٢٨-Nancy, J., Op. Cit., P.٢١٠.

٢٩-جامعة القاهرة، المؤتمر الثانى لمشـروعات البحـوث العلميـة،

١٩٩٥، دراسة تأثير التلوث البيئى الناتج عن عوادم الصـناعات على الصحة العامة، ص٣٠.

٣٠-السجلات الرسمية للمركز الطبى بالمعصرة.

٣١- M. A. Mosalam Shaltut, Op. Cit. P.٨.

٣٢- Nancy, J., Op. Cit., p. ٢١٨.

٣٣-السجلات الرسمية للمركز الطبى بالمعصرة، مرجع سابق.

٣٥-نجوى عبدالحميد سعد الله، نظام القرابة عند بعـض الجماعـات السكانية المتميزة فى منطقة أسوان، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية البنات، جامعة عين شمس، ١٩٨١.

م	نمط المسكن	عدد الحجرات	عدد أفراد أسرة	الدرجات القرابية المقيمة مع الأسرة	عدد الأبناء وأعمارهم				الحالة التعليمية		المهنة			الدخل			مكان الإقامة فى ا تمع	مدة الإقامة فى ا تمع	الخدمات الأساسية للمسكن	التاريخ المرضى للأسرة حالات الوفيات
					العدد الكلى	ما قبل المدرسة	سن المرحلة الابتدائية	المرحلة الإعدادية	للزوجة	للزوج	للزوجة	للزوج	للأبناء	الزوجة	الزوج	كلى				
١	مستقل	٣	٤	-	٢	-	٢	-	دبلوم	بكالوريوس	أعمال كتابية	مدرس		١٠٠	٣٠٠	٤٠٠	المعصرة	٨	به صرف صحى ومياه نقيه	-
٢	مستقل	٢	٧	والدى الزوج	٣	٢	١	-	دبلوم	تربية	أعمال كتابية	أمين مخزن		١٠٠	٢٠٠	٣٠٠	المعصرة	٨	به صرف صحى ومياه نقيه	وفاة بسبب الإسهال
٣	مستقل	٢	٤	-	٢	١	١	-	دبلوم	دبلوم	ربة م ل	ميكانيكى		-	٢٥٠	٢٥٠	المعصرة	١٦	به صرف صحى ومياه نقيه	وفاة بسبب نزلة معوية
٤	مستقل	٢	٧	والدى الزوج	٣	١	١	١	دبلوم	يقرأ ويكتب	ربة م ل	سكرتير		-	٢٠٠	٢٠٠	المعصرة	١٥	به صرف صحى ومياه نقيه	وفاة بسبب نزلة شعبية
5	مستقل	٢	٦	-	٤	١	٢	١	دبلوم	دبلوم	أعمال كتابية	مشرف فنى		١٠٠	٢٢٠	٣٢٠	المعصرة	٨	به صرف صحى ومياه نقيه	
٦	مشترك	١	٨	والد الزوج + ابن عم الزوجة	٤	٢	١	١	أمية	دبلوم	بائعة خضر	نقاش أرزقى		١٠٠	-	١٠٠	عزبة الصفيح	٢٠	لا يوجد صرف صحى ولا مياه نقيه	وفاة بسبب ضمور المخ
٧	مشترك	١	٧	أخ الزوجة	٤	١	٢	٣	أمية	أمى	عاملة بالمركز	حمال أرزقى		٨٠	-	٨٠	عزبة الصفيح	١٥		وفاة بسبب التهاب رئوى

م	نمط المسكن	عدد الحجرات	عدد أفراد اسرة	الدرجات القرابية المقيمة مع الأسرة	عدد الأبناء وأعمارهم				الحالة التعليمية		المهنة			الدخل			مكان الإقامة فى ا تمع	مدة الإقامة فى ا تمع	الخدمات الأساسية للمسكن	التاريخ المرضى للأسرة حالات الوفيات
					العدد الكلى	ما قبل المدرسة	سن المرحلة الابتدائية	المرحلة الإعدادية	للزوجة	للزوج	للزوجة	للزوج	للأبناء	الزوجة	الزوج	كلى				
٨	مشترك	٢	٩	والدى الزوجة	٥	٢	٢	١	أمية	أمى	بائعة خبز	عامل أرزقى		٧٥	-	٧٥	عزبة الصفيح	١٦		وفاة بسبب هبوط بالقلب
٩	مشترك	١	١١	أبناء أختها المتوفاة(٨)	٩	٢	٤	٢	أمية	أمى	بائعة خضر	عامل أسمنت	عاطل	١٠٠	١٨٠	٢٨٠	عزبة الصفيح	١٣		وفاة بسبب فشل كلوى
١٠	مشترك	١	٧	أخت الزوج	٤	١	٢	١	أمية	أمى	بائعة أطعمة	عامل أسمنت		١٠٠	١٨٠	٢٨٠	عزبة الصفيح	١٥		
١١	مشترك	٢	١٠	٢ أبناء عمومة	٦	٢	٣	١	أمية	أمى	بائعة	عامل أسمنت		١٠٠	١٩٠	٢٩٠	عزبة الهجانة	٢٠		وفاة بسبب هبوط بالقلب
١٢	مشترك	١	٧	أخ الزوج	٤	١	٣	٢	أمية	أمى	عاملة بالمركز	فراش بالمدرسة		٨٠	٨٠	١٦٠	عزبة الهجانة	١٩		وفاة بسبب نزلة شعبية
١٣	مشترك	٢	١١	والدة الزوج	٩	٢	٣	٢	أمية	أمى	عاملة بالمدرسة	متوفى	٢عاطل	٨٠	-	٨٠	عزبة الهجانة	١٨		وفاة بسبب نزلة معوية
١٤	مشترك	١	٩	والدة الزوج	٦	١	٢	٢	أمية	أمى	بائعة بالسوق	متوفى	عاطل	١٠٠	-	١٠٠	عزبة الهجانة	٢١		وفاة بسبب إسهال
١٥	مشترك	١	١٠	والدى الزوج	٨	٢	٣	٢	أمية	أمى		متوفى	عاطل	١٠٠	-	١٠٠	عزبة الهجانة	١٧		وفاة بسبب ربو شعبى

الفصل الثالث

الطب الشعبي لقبائل البشارية في منطقة أسوان

دراسة في الإيكولوجيا البشرية

أولاً: مقدمة منهجية

تكشف لنا أدبيات كل من علم الفولكلور والأنثروبولوجيا عن المكانة والأهمية التي يحظى بها الطب الشعبي، لدرجة أنه أصبح يشغل اهتمام العديد من المنظمات والهيئات الصحية في العالم عامة، والدول النامية خاصة. أما على المستوى الأكثر تحديداً قد ترجع هذه المكانة إلى حاجة نسق الطب الشعبي واستخدامه في ميدان الأنثروبولوجيا ليجسد العمليات، أي القوى والعوامل التي تؤدي إلى إفراز أنماط متباينة من أنواع التكيف بين الجماعات والأجناس البشرية في بيئاتها الطبيعية المختلفة لمواجهة المشاكل الخاصة بالصحة والمرض(١)، ضمن توازن بيئي تحافظ فيه الجماعات والمجتمعات التقليدية على العلاقات المتوازنة بين احتياجاتها وقدرات وإمكانات البيئة على العطاء، إلى جانب إلقاء الضوء على الأساليب والممارسات الشائعة، والعناصر البيئية المستخدمة، والقائمين بالعلاج الشعبي.(٢)

واتساقاً مع ما سبق، تكشف نتائج دراستنا الاستطلاعية

لنسق الطب الشعبي لبدو البشارية، عن مدى العلاقة الوطيدة بين الإنسان البدوي ومكونات بيئته الطبيعية، وأساليب تكيفه معها. فالرجل البشاري يعالج نفسه وذويه بوسائل بسـيطة، قوامها النباتات والأعشاب الطبيعية التي تنمـو فـي بيئتـه الصحراوية، وعلى سفوح الجبال، والتي قـام باسـتخلاص العناصر العلاجية منها. حتى أن ممارساته العلاجية جـاءت معتمدة في المقام الأول علـى الاسـتعانة بعناصـر البيئـة الصحراوية من رمل، وأعشاب، وزيوت نباتيـة، ودهـون حيوانية، ووبر الأغنام.

ولقد ظلت هذه الممارسات العلاجية تمارس، وتتناقلهـا الأجيال تلو الأجيال حتى وقت إجراء دراستنا الحالية، حتـى أصبحت جزءاً من نسيج التراث الثقافي البدوي، والذي ساهم في تميزهم عن غيرهم من المجتمعات الريفية والحضرية.

ومن هذا المنطلق تشكل الدافع الحقيقي نحو إجراء هـذه الدراسة، وإن كان هناك دوافع مسبقة لإجرائها(*) (٣).

(*) نمت بذور دراسة الطب الشعبي البدوي أثناء قيـام كاتبـة هـذه السطور بجمع المادة الميدانية لنيل درجة الماجستير عـام ١٩٨١، بعنوان "نظام القرابة" حيث كان بدو البشـارية ضـمن مجتمعـات الدراسة، وكانت تهدف الباحثة حينذاك من دراستها إلـى الوقـوف على طبيعة القرابة ووظيفتها لدى بدو البشارية المقيمين شرق مدينة أسوان بالصحراء الشرقية. أما الدراسـة الثانيـة فكانت عـن الأولياء بعنوان "أبو الحسن الشـاذلي - سـلف قبائـل العبابـدة المصريين". وها هي الدراسة الثالثة في إطار منظومة توليها الباحثة اهتمامها وهو محاولة لدراسة الثقافة البدوية لقبائل العبابدة والبشارية بالصحراء الشـرقية، حيـث نـدرة الدراسـات الأنثروبولوجيـة

وبناء على ذلك تسعى الدراسة الحالية للرد على مجموعة من التساؤلات:

١- إلى أي حد يؤدي التفاعل بين عناصر البيئة الطبيعية البدوية وبين نشاط البدو الاقتصادي إلى الإصابة ببعض الأمراض؟

٢- إلى أي حد أدى التفاعل بين كل من الخبرات الإنسانية للرجل البدوي مع عناصر البيئة الصحراوية للوصول إلى وصفات وممارسات علاجية ووقائية؟

٣- إلقاء الضوء على المكنون الثقافى وعلاقة التفاعل بين الممارسات العلاجية والوقائية، وبين خصائص البيئة الطبيعية لبدو البشارية، وما يتوفر بها من عناصر طبيعية مثل: الرمال، والأعشاب، والنباتات، والعيون، والآبار.

وذلك راجع إلى ما تؤكده لنا إحدى المسلمات الثقافية بأن مرجع معظم أنواع الطب الشعبي وممارساته العلاجية في الثقافات المتباينة قد صبغت أو تشكلت بناء على خصوصية العناصر البيئية. فاجتهد الإنسان فيها باستغلال هذه العناصر الطبيعية في بيئته، واستخلاص منها عناصر علاجية ووقائية متعددة، لتلبية حاجة من حاجاته وهي كيفية الوقاية من المرض والتداوي للتصدي للألم أو التغلب عليه.

والفولكلورية باستثناء الدراسات الجغرافية (محمد عوض، كوثر عبد الرسول، رحلات بوركهارت).

٤- إلقاء الضوء على ملامح التغير في هذا الجانب من ثقافة المجتمع البدوي، وما هي العوامل المتسببة في ذلك.

- **أما الإطار النظري:**

اتخذت الدراسة من بعض قضايا الاتجاه الوظيفي إطاراً نظرياً لها على النحو التالي:

- الدور الوظيفي لنسق الطب الشعبي بالنسبة للنسق الثقافي العام.

- نسق الطب الشعبي في ضوء علاقته بالسياق الاجتماعي والثقافي، ونمط النشاط الاقتصادي البدوي، وعلاقته بالبيئة الطبيعية.

- **وأما الإطار المنهجي:**

تعتمد الدراسة على المنهج الأنثروبولوجي الذي حتم ضرورة الانتقال إلى فروع القبيلة البشارية، وأسرهم المقيمين بالمناطق الصحراوية والريفية والحضرية. كما تمكنت الباحثة من مقابلة بعض الإخباريين من المعالجين الشعبيين ممن لديهم خبرة في التطبيب والعلاج الشعبي، فضلاً عن استخدام الطريقة الجينولوجية للكشف عن الزواج القرابي، وما ترتب عليه من ظهور بعض الأمراض الوراثية في أجيال الأبناء والأحفاد. بالإضافة إلى ذلك قامت الباحثة بتصميم دليل العمل الميداني، إلى جانب الاستعانة بدليل الدراسة العلمية للمعتقدات الشعبية، وعلى وجه الخصوص

الجزء الخاص بالطب الشعبي. وقد تم ذلك بعد إدخال بعض الأسئلة والتعديلات بما يتلاءم والخصوصية الثقافيـة لبـدو البشارية.

- **أما عن مفهوم الطب الشعبي: Traditional Medicine**

تعددت المسميات التي تداولت مفهوم الطب الشـعبي في المصادر والقواميس المتخصصة. فتـارة أطلـق عليـه بالطب اللاإحيـائي non-biomedical - أو الطـب البـديل Alternative medicine - الطب السلالي Ethnomedicine - الطب الشعبي الطبيعـي Natural folk medicine - الطـب الشعبي النبـاتي Herbal folk medicine - الطـب البـدائي Primitive medicine (٤)

- **أما على المستوى الأوسع:**

تباينت التعريفات فقد جاء تعريـف دون يـودر Don yoder للطب الشعبي: "جميـع الأفكـار ووجهـات النظـر التقليدية حول المرض والعلاج وما يتصل بذلك من سـلوك وممارسات تتعلق بالوقاية من المرض ومعالجته، بصـرف النظر عن النسق الرسمي الطبي العلمي"(٥). أما تعريف دبر توفام Debr L.Topham فيقول: "هو التطبيب من الأمراض والأعراض عن طريق الأعشاب أو الممارسـات التقليديـة والتي أمكن التعرف عليها منذ زمن بواسطة مطببين محليين أو شيوخ دين"(٦).

في حين جاء تعريف شارلوت سـيمور-سـميث فـي

موسوعة علم الإنسان بأنه "طائفة واسعة من الممارسات الرسمية المتخصصة للطب الغربي التقليدي. وترجع أصول هذه الممارسات والوصفات العلاجية، أو تراث الطب التقليدي سواء كان محلياً أو مستورداً والتي تتخذ ممارسته قدراً من الرسمية تبعاً لتأهيل وكفاءة ممارسيه"(٧).

وتأسيساً على ما سبق من تعريفات جاء مفهومنا للطب الشعبي، ونقصد به "كل المساعي أو الأساليب التي يقوم بها الإنسان لمواجهة الأعراض المرضية سواء عن طريق الأعشاب، أو النباتات (مواد غذائية)، والمعادن، والأجزاء الطبيعية من جسم الحيوان، أو استخدامه للرقي والتعاويذ والكلمات المقدسة (القرآن – التسبيح)، وما يترتب على ذلك من وصفات أو ممارسات وقائية أو علاجية سواء كان القائمون على إعدادها وتجهيزها واستخدامها أعضاء الأسرة بأنفسهم أو بواسطة مطببين محترفين أو شيوخ دين".

وبذلك يتضح، أننا نقصد من تعريفنا الإجرائي للطب الشعبي في هذه الدراسة، أنه يعنى الجمع بين أساليب التطبيب الوقائية والعلاجية التقليدية التي قاوم بها الانسان البدوي المرض بغية الشفاء، سواء كان هذا العلاج بالمنزل، أي من خلال ممارسات علاجية تجرى بمعرفة أفراد العائلة العاديين. وهذه الممارسات قائمة على الخبرة المكتسبة من التجارب الموروثة، وساهمت التنشئة الاجتماعية في المحافظة على هذا التراث جيلاً بعد جيل، أو يتم ممارسته

بواسطة معالجين محترفين، سواء شيوخ ديـن مـن خـلال الاستعانة بالكلمات المقدسة (آيات القرآن الكريم – التسبيح)، أو بعض المتخصصين المحترفين بتجهيز وإعداد وصـفات وممارسات علاجية قوامها وعناصرها البيئية الطبيعية للبيئة البدوية الصحراوية، مثل الرمـال، والأعشـاب، والزيـوت النباتية، ودهون الحيوان، والفحم، والسكر، والبيض، واللبن. وبالتالي عمل عمليات وقائية علاجية مثل: الفصـد والكـى بالنار وتجبير العظام المكسورة. أو استخدام العلاج بـالرقى والتعاويذ، خصوصاً في الحـالات التـي يكـون لـلأرواح والشياطين دخل فيها.

وعلي المستوى الأكثر رحابة، يجد الطب الشعبى شـأنه في ذلك شأن غيره من موضوعات علم الفولكلور، يجد فـي الثقافة التقليدية والثقافـات الفرعيـة بيئـة صـالحة لنمـوه وازدهاره.

كما يؤكد بوتنر Bottner بأن المترددين على الممارسين الشعبيين المحترفين، عادة ما ينتمون إلى جيل الأجداد والآباء من الفلاحين والبدو، مصطحبين معهم ذويهم من صغار السن بغية علاجهم وذلك بعد فشل الممارسات العلاجية بـالمنزل. ثم يأتي العلاج بالرقى والتعاويذ في المحل الثالث[٨].

وفي دراسة أنثروبولوجية عن فلاحى الصـعيد تشـير بلاكمان Blackman إلى تعدد أساليب الطب الشعبى خاصـة للأطفال، نظراً لكثرة تعرضهم للأمراض، ومن ثم كثيراً مـا

تلجأ الأمهات إلي السحرة المتخصصين لعلاج أطفالهن بعمل الأحجبة، وحمل التمائم لحمايتهم من العين الشريرة والحسد، أو أذى القرين[٩].

وفي دراسة عن الاستخدامات الطبية لكثير من الأعشاب والنباتات، يشير "باندولف"Pandolph إلي أن هناك كثيراً من الأعشاب والنباتات التي تغلى وتشـرب، وأخـرى تطحـن وترش، بالإضافة إلي استخدام أوراق التبغ كعلاج للجـروح وآلام البطن. وتقوم نساء متخصصات بالعلاج عـن طريـق أوراق التبغ[١٠]. وقد اتفقت كل من نتائج دراسة فوزى عبـد الرحمن عن الممارسات الطبية الشـعبية، ودراسـة حسـن الخولى عن الفروق الريفية والحضرية بين علـم الاجتمـاع وعلم الفولكلور، حيث اتفقت الدراستان فى بيان الاستخدامات الطبية للأعشاب والنباتات، فكانت أوراق التبغ لها مكانة في الوصفات العلاجية، حيث لاحظ كل منهما أن استخدام الدخان (السجائر) كعلاج للحروق في ريف محافظة الدقهليـة. أمـا ريف وبدو محافظة الفيوم فيستخدمون الدخان (المعسل) لنفس الغرض. ولكن توقفت هذه الممارسة في الدقهلية واقتصـرت على استخدام (الرماد) أو العادم المتخلف من حريق السجائر، أما في الفيوم فمازال يستخدم الدخان المعسل.[١١]

أما دراسة بول كومساروف Paul, A. Komsaroff عـن الممارسات العلاجية في تايوان والصين، فتكشف عن مـواد علاجية شعبية ذات طبيعة معدنية، وأخرى حيوانية كـالطين وأعضاء الحيوان، في عـلاج بعـض الأمـراض المعديـة

كالجرب والجذام[١٢].

وتشير بعض الدراسات الفولكلورية المعاصرة إلى استخدام عناصر سحرية كالرقى والتعاويذ كوصفات علاجية. فتسخير الأرواح يعد في الصومال وسيلة سحرية تستعين بها المرأة لممارسة الضغط علي الزوج وأسيادها، كما تأكد ذلك من نتائج كل من الرواد إيفانز برتيشارد Evans Pritchard عند النوير وكلاكهون عند النافاهوNavaho إلي جانب اعتماد بعض السحرة المحترفين على أساليب العلاج السحرى، للتخلص من الأعراض المرضية لدى المرضى النفسيين والعصبيين.[١٣]

أما علي المستوى الإمبريقي لجمع المادة الإثنوجرافية لموضوع الطب الشعبى، فيشير محمد الجوهرى أنه على الباحث أن يفاضل بين أسلوبين:

الأول: بأن يبدأ الباحث بالسؤال الأول عن الأمراض التي يفيد فيها استخدام عنصر معين(عشبى، نباتى، طبيعى) أى أن الباحث يطبق منهج الاستفسار، أو السؤال عن المرض الذى تستخدم في علاجه عناصر معينة. وهنا يقوم الباحث بذكر أمثلة لهذه العناصر، حتى يساعد الإخبارى على أن يضيف ما لديه من عناصر لازمة للعلاج، مثلاً: (آلام البطن إيه اللى يستخدم له كعلاج؟) (الثوم أو النعناع، أو الحرجل؟).

الثانى:أن يقوم الباحث بإعداد قائمة بالأمراض الشائعة في مجتمع الدراسة، ثم يسأل الباحث عن الوصفات العلاجية أو

العناصر اللازمة لعلاج هذه الأمـراض، مثلاً☹إيه الوصفات اللى بتعالج السخونية والحمى، الصداع، ديدان الـبطن، ألـم الكلى؟[١٤]

وبناء علي النتائج الأوليـة للدراسـة الاسـتطلاعية للباحثة لمجتمع دراستها، آثـرت الباحثـة المزاوجـة بـين الأسلوبين، نظراً لخصوصية مجتمع الدراسة وثقـافتهم مـن جهة، وطبيعة موضوع الطب الشعبى من جهة أخرى. وبعد الانتهاء من جمع المادة الإثنوجرافيـة وتحليلهـا، لاحظـت الباحثة أن الجمع بين الأسلوبين أثناء الجمع الميدانى قد أثرى الدراسة بمادة ميدانية وفيرة عن نسق الطب الشعبى البدوى، حيث ساهم الأسلوب الأول في التأكيد علي العلاقة الوطيـدة بين عناصر البيئة الطبيعية البدوية الصحراوية، وبين صياغة نمط ثقافى علاجى شعبى، يتسق مع مكونـات وخصـائص البيئة الصحراوية، أما الأسلوب الثانى: فكشف عـن درجـة ميل المجتمع إلي التغير في استخدام عناصر علاجية غيـر شعبية، وذلك من خلال معرفته بالأمراض الجديدة وأسـاليب علاجها.

مجتمع البحث

أجريت الدراسة علي قبيلة العلياب البشـارية وبيوتهـا الواقعة شرق منطقة أسوان بالصـحراء الشـرقية، وكـذلك البيوت البشارية التي تسكن على الحـدود الشـرقية لمدينـة أسوان وقراها حتى حدود مدينة "دراو" شمالاً.

اختلاف العلماء حول أصل تسمية بـدو البشـارية بهـذا الاسم. فتشير بعض المصادر التاريخية إلى أن سبب التسمية يرجع إلى رجل يلقب باسم "بشير بن مروان بن إسحق"، نزح إلي أراضى"البجة" في القرن الرابـع الهجـرى – العاشـر الميلادى – ومعه ثلاثون ألف رجل مـن الجـوارب. وهـم فروع أخرى من "البجـة"، كانوا وثنيين ثم اعتنقوا الإسـلام في عهد مبكر. ثم جاء بهم وسكن في أراضى "البجة".

في حين يكتب محمد عوض: "البشاريون يزعمون بـأن جدهم"كاهل" الذى يرجعون نسبه إلي الزبير بن العـوام، وأن أجدادهم كانوا يعيشون في"علبة"، والواقع على بعـد عشـرة أميال إلى الغرب من صحراء عيذاب. ويتفق هذا الزعم مـع كواهل في كردفان، كما يتفقون مع البشارية بأن جدهم أنجب ثلاثة عشر ولداً من الذكور من بينهم من يدعى بشـار. ثـم يضيف محمد عوض بـأن هنـاك بعـض الأمـراء مـن العرب(قبيلة كاهل) قد أصهر إلـي بعـض"البجـة"(قبائـل البشارية). ومن المرجح أن الذين أصهروا كانوا فعلاً ينتمون إلي بنى كاهل وإلى أحد أبنائه المسمى بشار فاشتق منه اسم البشاريين.(١٥)

وقد تعددت الروايات عن تاريخ البشاريين، فقد أشار ابن بطوطة في رحلاته إلى صـحراء عيـذاب، أنـه صـادف جماعات من البجة ومن بنى كاهـل متجاورين. ويشير ابـن بطوطة في الروايات التي ترجع إلى القرن الحادى عشـر، بأن بشار له ولدان وبنت كوكا وكليان والبنت فاطمة. ويذكر

بأن ليس للابن كليان أهمية في تاريخ البشارية على العكس من الابن كوكا، فقد كان فقيها وقاضياً وتاجراً في آن واحد، وكان كوكا أيضاً يقضى الصيف إلى جوار جبل "علبة"[*] والشتاء في مصب وادي "العلاقى". أما أخته فاطمة فكانت كثيراً ما تؤدى واجبات أخيها. وهناك رواية يذكر فيها خطف فاطمة، وأخرى تؤكد هروبها مع عشيقها، ثم ولدت ولداً اسمه عنقود Anakwd. ويرجع الفضل لهذا الشاب في إعادة ملك وادى العلاقي من غاصبه وبسط نفوذه عليه.

ونخلص من هذه القصة إلى أن الجد الأول بشار، والجد الثانى كوكا، والجد الثالث والأخير عنقود الذي يرجع إليه الفضل في تأسيس القبيلة بقسميها: أم على، وأم ناجى.

١-بشاريو أم علي: يشتملون علي أربعة أقسام: العلياب، العمراب، حمدوراب وبشاقطيراب، أغلبهم في السودان، وهناك فروع منهم داخل الحدود المصرية. أما العلياب فيتركزون بجوار مدينة أسوان، والحمدوراب بجوار دراو.

٢-بشاريو أم ناجى: يشغلون جميع أقاليم عطبرة والأجزاء الجنوبية الغربية من العتباى. أما القسم الشمالى فيشتمل علي الإيراباب، والمنصوراب، والنافعاب، والعدلواب. وأما القسم الجنوبى فيعيش فيه حمداب، وإبراهيماب.[١٦]

(*) تعتبر هذه المنطقة مقدسة في نظر قبائل البشارية وتجارتهم، وذلك لاعتقادهم بأن(الولى) كوكا لونكو انقلب إلى حجر صوان، وأنه موجود في إحدى مغارات الجبل، وأن رياحاً موسمية شديدة الحرارة تهب من هناك. ولذا يحتفل بمولده كل عام في شهر ربيع.

الأقاليم الجغرافية لفروع قبيلة العلياب البشارية

يشير ساندرز فـي مقـال البشـاريين The Bisharian المنشور في مجلة S.N.R (عدد عام ١٩٣٣، الجزء الثـانى) بأن هناك أربعة أقاليم لإقامة البشاريين هى على التوالى:

الإقليم الأول: الجونيب Gwineb وهو إقلـيم يشـتمل علـى المنحدرات الشرقية لجبال البحر الأحمر والسهول السـاحلية وجميع الأراضى التي تقع على البحر الأحمر. ويمتاز هـذا الإقليم بالأمطار الشتوية من شهر نوفمبر إلي شهر مارس.

الإقليم الثانى: العتباى: يمتد هذا الإقلـيم مـن المرتفعـات الشرقية إلى وادى فبقيعة في الغرب، ومن الحدود المصـرية شمالاً إلي وادى عامور جنوباً. ويلاحظ أن الحياة النباتية تتبع للظاهرات المناخية لهذا الإقليم، فالمطر يكـون أكثـر فـي المرتفعات، وبذلك يكثر العشب والشجر، ثم يأخذ النبات فـي الندرة تدريجيا حتى ينعدم.

الإقليم الثالث: تماراب Tamarab : يأخذ شـكل المثلـث: قاعدته وادى عامور شمالاً ورأسه في الجنوب عند مشروع متاتب Mitateb على الضفة اليمني لنهر العطبرة. ويتشـابه هذا الإقليم مع إقليم العتباي من حيـث وجـود عديـد مـن التضاريس مع سلسلة متقطعة من الكثبان الرمليـة، وتمتـاز هذه الكثبان بأنها أكثر نباتاً وذلك لأن المطـر يتسـبب فـي غزارة العشب حولها.[١٧]

الإقليم الرابع: هو النهر: يقصد بالنهر، نهر عطبرة، وهـو

إقليم صغير المساحة، يقع بالضفة الغربية للنهر، يأخذ شـكل مثلث. يمتاز هذا الإقليم عن غيره مـن الأقـاليم بالسـهول الموازية للشاطئ الجنوبي للنهر التي ساعدت علـى وجـود مراعي جيدة وعلى الزراعة أيضاً. (١٨)

وعموماً، في ضوء الظروف الطبيعية لقبائل البشـارية، تتسم حياتهم بالبـداوة والتي لها طابع خاص تبعـاً لسـقوط المطر، فنجد أن الحركة لا تتم فى تجمعات كبيـرة العـدد، وإنما تأخذ طابع جماعات صغيره تتراوح ما بين خمـس أو ست أسر، وذلك لعدم اتساع المراعي.

ثانياً: تفاعل الإنسان والبيئة وأنماط المرض

تشير شواهد المادة الميدانية إلى أن بدو البشارية أكثـر خضوعاً للبيئة من غيرهم من البيئات الريفيـة والحضـرية، بالإضافة إلى أن نمط معيشتهم ونشاطهم الاقتصادي يعتمدان على الموارد الطبيعية الخام للبيئة. فبدو البشارية يعيشون في الصحراء الشرقية، سواء في خيام أو منـازل شـبه ريفيـة (بالقرب من مدينـة أسـوان ودارو)، ويمارسـون النشـاط الرعوي حيث يرعون الإبل والماعز والأغنام. بالإضافة إلى مزاولتهم لنشاط اقتصادي آخر هو جمع الأعشاب والنباتـات الطبية التي تنبت بعد هطول الأمطار في فصل الشتاء، وعلى سفوح الجبال في الصحراء الشرقية. وهذا النشاط بدوره أكثر اعتماداً على الطبيعة وما أعطاها الله قدرة الإنبات، وقـدرة النباتات والأعشاب العلاجية والوقائية، ثـم العمـل بتجـارة

الأعشاب والنباتات التي يقومون بجمعها لتجارة العطارة في مدينة أسوان.

ومازال النشاط الرعوي يمثل حجر الزاوية في النشـاط الاقتصادي في البيئة البدويـة الصـحراوية عامـة، ولبـدو البشارية خاصة. ومن سماته التنقل والحركـة المسـتمرين طوال العام مستخدمين الإبل والحمير لمتابعة قطعان الإبـل والماعز والأغنام. وتارة أخرى يقومـون بجمـع النباتـات والأعشاب الطبية من فوق سفوح الجبـال، بالإضـافة إلـى نشاطهم بنقل بضائعهم إلى الأسواق المحلية الأسبوعية فـي مدينة أسوان (سوق الخميس)، ومدينة دراو (سوق الجمال).

ولقد لوحظ بالمعايشة أن انتقالهم من مكان إقامتهم إلـى القرى والمدن المجاورة يعتمد فـي الأغلـب الأعـم علـى الاستعانة بالدواب (الإبل والحمير) باستثناء بعـض البيـوت التي تقطن بجوار مدينة وقرى مركز أسوان، فيعتمدون على سيارات الركاب، أو سيارات النقل.

وتأسيساً على ما سبق جاء تفاعل بدو البشارية مع بيئتهم ونشاطهم الاقتصادي تفاعلاً إيجابياً، بمعني أنهم لـم يسـيئوا استخدام البيئة ولم يلوثوها. على عكس ما هو قائم في بيئات أخرى كالريف والحضر والمناطق الصناعية.

١-البيئة البدوية كوعاء للمرض

تجمع غالبية آراء أعضاء بدو البشارية على أن مفهـوم المرض: "ألا يشتكي الزول (أى الشخص) من أي ألم ودايماً

نايم في البيت ومش قادر يعمل". أما مفهوم الصحة يعنـي: "القدرة على العمل والحراك في النهار وفي الليل في الحـر والبرد ولا يكل ولا يتعب الزول منا". ونستخلص من مفهوم الصحة والمرض لدى بدو البشارية أن الاعتقاد السائد حـول الإنسان السليم هو الفرد القادر علي أداء أعماله في ظـروف البيئة الطبيعية(بما فيها من رياح وحرارة وبرودة). وأن عدم الحركة والالتزام بالبيت وكثرة الشكوى هـى مـن سـمات الرجل المعتل.

في حين أننا إذا تأملنا الظروف وسمات البيئـة البدويـة الصحراوية لبدو البشارية، سنجدها في جملتها بيئة تجمع بين المتناقضين: مقومات الصحة ومقومات المرض وهى علـي النحو التالى:

أ- تتميز البيئة البدوية الصحراوية بالاتساع اللامحدود، وهذا علي المستوى الميكرو. أما علي المستوى المـاكرو فجميـع مساكن البدو البشارية إما خيام مصنوعة من صوف الإبـل والأغنام، أو منازل ريفية عبارة عن حجـرة أو حجـرتين مسقوفتين بسقف النخيل، ملحق بهما حـوش كبيـر لمبيـت الحيوانات.

وهذا النمط من المساكن بقدر ما يتميز بالتهوية الجيـدة وتوفير الإضاءة الطبيعية بدخول الشـمس المسـكن طـوال ساعات النهار، إلا أنه يتعرض في فترات هبـوب الريـاح لتيارات هوائية متربة وباردة شتاء حارة صيفا، ومما لا شك

فيه أن هذه التيارات الهوائية تؤثر علي صحة أفراده، فيترتب علي ذلك الإصابة بالنزلات الشـعبية والصـدرية والزكـام والكحة للأطفال والبالغين.

ب- البيئة البدوية الصحراوية لبدو البشارية غالبا ما تكثـر بها الرمال وتيارات الهواء والرياح الحارة والباردة، وتتباين فيها درجات الحرارة في اليوم الواحد، صباحاً ومساءاً، بشكل حاد، وعلى المستوى الفصلى قد تصل درجة الحـرارة فـي شهر يناير إلي ٢٣,٧ درجة والنهاية الصغرى ٩,٦ درجـة بفارق ١٤,١ درجة. أما في شهرى يوليو وأغسطس فتصـل النهاية العظمى إلي حوالى ٤٢ درجة في الظل والصـغرى ٢٥,٦ درجة أى بفارق حوالى ١٦,٤ درجة.

والخلاصة، أن بدو البشارية يعيشون معظم أوقات السنة في مناخ قاري شديد الحرارة نهاراً، شديد البرودة ليلاً، مما يحدث خللاً من حرارة الجو والحرارة الداخلية لأجسـامهم. ولذلك كثيراً ما تنتشر الأمراض الروماتيزمية بأشكالها (آلام الظهر، آلام المفاصل، عرق النسا)، والأمـراض الصـدرية (أمراض الجهاز التنفسى كالحساسـية الصـدرية والكحـة والربو).

ج- البيئة البدوية الصحراوية لبدو البشارية قليلـة المـوارد المائية، لذا فهم يعتمدون علـى الميـاه الجوفيـة- الآبـار والعيون- في قضاء حاجاتهم من الشرب والطهى والنظافـة. وغالباً ما تكون هذه النوعية من المياه إما ملحـة أو شـديدة

الملوحة، مما يسبب لهم آلام المعدة وعسر الهضم وتقلصات الأمعاء وأمراض الكلى.

د- البيئة البدوية الصحراوية عامة وبيئـة بـدو البشـارية خاصة، مرتع للحشرات والزواحف الضارة بصحة الإنسان: مثل الثعابين والعقارب، و(ثعبان الطريشة)، وجميـع هـذه الحشرات والزواحف تمثل مصدر خطر لسـاكنى المنـاطق الصحراوية.

وعلي المستوى الأكثر تحديداً، فإن مورفولوجية المسكن البدوى تمثل وعاء جيدا للإصابة بلدغ الحشرات والزواحـف والحيوانات. وبالرغم من أن مساكن البدو البشارية تنقسم إلي نوعين: الأول الخيام المصنعة من صـوف الأغنـام ووبـر الإبل. والنوع الثانى هو البيوت التي توجد على حدود مدينة أسوان وقراها. فهم يسكنون في مساكن ريفيـة ذات طـابق واحد أو اثنين. وغالباً ما يكون السقف مـن جريـد النخيـل وفروع الأشجار أو عروق الخشب، وتبقى الجـدران بـدون طلاء(محارة). وبالتالى تكثر فيها الفجوات والفتحات الناتجة عن تباين أحجام مواد البناء (الـدبش – الحجـر الرملـى)، فتتحول معظم جدران هذه المساكن إلي مأوى للكائنات البيئية الخطيرة (الأفاعى، الثعابين، الحيات، العقارب، الأبـراص، الفئران)، حيث يتعايش أعضاء البيـت الواحـد بـاختلاف أعمارهم مع هذه الكائنات على أنها تشاركهم الإقامة في نفس المسكن، من حيث عدم إبداء أى محاولة أو بادرة لمقاومتهـا أو الفزع والخوف منها عند رؤيتها علي جدران المسكن، أو

عندما تخرج من جحورها أو مخابئهـا، أو أثنـاء تحركهـا للانتقال من مكان إلى مكان أخر، بحثا عن الدفء (الثعابين) أو عن فريسة تلتهمها، خصوصاً في فصل الصـيف حيـث يشـيع النـوم علـى الأرض علـى أبـراش وبجـوار الجدار(العقرب- الحية-البرص) فيتعرض الصغار والكبـار للدغ والإصابة بسمومها التي غالبا ما تؤدى إلى موتهم[١٩].

أما عن التقسيم الداخلى لمسكن بدو البشارية سواء منهم من يقيم في خيام داخل الصحراء أو البيوت التي تقيم بجوار المدن والقرى، فغالباً ما يلحق بآخره (حجـرة – أو خيمـة) طبقا لحجم الأسرة تعرف بالحوش، يكون مخصصاً لمبيـت الحيوانات والطيور ليلاً. أما أثناء النهار فتمثـل كـل مـن الحيوانات والطيور جزءاً من مكونات المسكن.

ولقد كشفت الملاحظة المتكررة عن عدم وجود حـدود فاصلة بين مكان معيشة الإنسان ومكان معيشـة الحيـوان، وبالتالى فإن ما يعلق بأجسام الحيوانات من حشرات (الذباب والبراغيث والقراد) يتسبب في إصابة أفراد الأسرة بأمراض الحيوان. ومن هذه الأمراض مرض الدرن الذى يحمله جلـد الماعز.

هـ- المسكن البدوى وعاء يخلو من مقومات النظافة: لقـد كشفت المعايشة لبدو البشارية بأن الغالبيـة العظمـى مـن مساكنهم (خيام أو منزل ريفي) تخلو مـن المـواد اللازمـة للنظافة، وتأتى المياه على رأس هذه المواد اللازمة لعمليـة

النظافة، حيـث تباعد أماكن الآبار عن مساكن البدو، ممـا يجعل عملية نقل المياه – علي الدواب علي رؤوس النسـاء- لمسافات تبلغ من ١,٥ –٢ كيلو متر عملية شاقـة، ويجعل الحصول عليها والتعامل معها يتمان دائماً في حرص وفـى أضيق الحدود. هذا إلي جانب عدم توفر الوعى الصحى لدى السيدات البدويات، بسب ارتفاع نسبة الأمية بينهم، وبالتـالى ليس هناك أى وعى بعمليات النظافة الشخصية، من غسـيل الأيدى واستحمام للبالغين والأطفال، ممـا أدى إلـي عـدم الاهتمام بتوفير المواد اللازمة لنظافة جسم الإنسان، وبصفة خاصة الأطفال (مـن صابون وملابس داخلية)[٢٠].

كما لوحظ من العـادات الشـائعة لـدى أسـر البـدو البشاريين، أن نجد أطفالهم وقد اعتادوا علي تناول طعـامهم أثناء اللهو مع أطفال آخرين، أو مع الحيوانـات الموجـودة داخل الحيز المكانى أو أمام المسكن. ولذا نلاحظ أن الطفـل كثيراً ما يترك الطيور والحيوانات تأكل من نفس الإناء الذى يأكل فيه. وبالتالى يؤدى ذلك إلي اختلاط لعـاب الحيـوان بطعام الطفل، مما يؤدى إلي إصـابة الأطفـال بـالأمراض المختلفة – نزلات معوية – تسمم – أمراض جلدية – نتيجـة لهذه المخالطة للحيوانات.

و-الزواج القرابى والأمـراض الوراثيـة: تتفـق الشـواهد الميدانية لدراستنا الحالية مع نتائج سابقة لكاتبة هذه السطور عن قوة النسق القرابى في البناء الاجتماعى لبدو البشـارية، من حيث قيامهم بوظيفة التوازن الاجتماعى لهذه التجمعـات

البدوية ذات الكثافة السكانية القليلة من جهة، وبـين طبيعـة البيئة البدوية الصحراوية القاسية والفقيرة للكثير من الموارد الطبيعية اللازمة لتحقيق حياة مستقرة وآمنة لسـاكنى هـذه المناطق. وهكذا دعمت ميكانيزمات الثقافة البدوية من إعلاء قيمة الزواج القرابى، الذى يساهم في تكوين تجمعات قرابية عاصبة، يعملون معاً في نشاط اقتصادى واحد هو: الرعـى، والتجارة، وجمع النباتات والأعشاب الطبية، بغيـة تحقيـق التكيف مع البيئة.

أما على المستوى الأوسع، فقد أعلا بدو البشـارية من قيمة العلاقات القرابية العاصبة[٢١] كتدعيم لوحدتهم وتماسكهم في مواجهة النقص في الكثافة العددية، والعوز الذى تفرضه عليهم البيئة البدوية الصحراوية. أما على المستوى الأضيق، فقد كشفت نتائج الطريقة الجينولوجية لهذه التجمعـات عـن ظهور الجانب السلبى للزواج القرابى، متمثلا في الأمـراض الوراثية التي ظهرت فيما بـين جيـل الأبنـاء والأحفـاد، كالتشوهات الخلقية مثل: الصمم، والبكم، والعمى، والكساح، ونقص الوزن، وأمراض القلب.

ز-افتقار البيئة البدوية الصحراوية لبدو البشارية عن تـوفر العناصر الغذائية: لقد كشفت الدراسة الميدانية عـن افتقـار البيئة الطبيعية لبدو البشارية لكثير مـن العناصـر الغذائيـة اللازمة للطعـام الصـحى، مثـل الخضـراوات والفاكهـة الضرورية ليتحقق الغذاء المتكامل بالنسبة لأعضاء المجتمع. هذا بالإضافة إلي اعتماد أعضاء مجتمـع البشـارية بشـكل

مباشر علي ما تقدمه البيئة الطبيعية الصحراوية من إمكانيات وعناصر في صورتها الأولية، مثل ألبان الماشية والماعز والإبل التى اعتادوا استخدامها بصورتها الأولية (بدون غلي) من جهة، وعدم مراعاتهم لقواعد النظافة بالنسبة لجسم الحيوان أثناء عملية الحلب ومن جهة أخرى، وكذلك القائمين بعملية الحلب. هذا فضلاً عن انعدام المقومات اللازمة لتحقيق النظافة (مياه دائمة – صابون)، بالإضافة إلى اعتيادهم مخالطة الحيوانات، مما ساهم في كثرة إصابتهم بالأمراض التي تصيب الحيوانات. نذكر منها على سبيل المثال: مرض الدرن الذي تحمله الماعز، ومرض الجرب الذى تحمله المواشى والإبل، والحمى المالطية التي تصيب الحيوانات الأخرى، بالإضافة إلى كثرة إصابة الأطفال بالنزلات المعوية.

وتأسيساً على الطرح السابق يمكننا أن نخلص إلى القول: أن هناك تفاعلاً حميماً بين البشارية مع بيئتهم الطبيعية وعناصرها المختلفة من جهة، ونشاطهم الاقتصادى من جهة أخرى، وأن هذا التفاعل قد ساهم في إصابتهم ببعض الأمراض، وبالتالى ظهور بعض الأعراض المرضية. ومن ثم تحددت أنماط المرض التي تنتشر فيما بينهم، والتي أكدت أقوال الإخباريين إصابتهم بها.

وبناء علي ذلك قامت الباحثة بعد حصر هذه الأمراض وتجميعها بإجراء محاولة لتصنيف هذه الأمراض في ضوء تقسيمات أعضاء الجسم أو مكان الألم أو موضع الإصابة

معياراً للتصنيف، فجاء التصنيف على النحو التالى:

١- الأمراض الجلدية: هى الأمراض التي تصـيب سـطح الجلد مثل الجدرى، والحصبة، والقراع، والجرب، والبهـاق، والبثور، والجزام.

٢- أمراض الصدر:هى التي تصيب الجهاز التنفسـى مثـل نزلات البرد، والكحة.

٣- أمراض العيون: هى التى تصـيب العـين (الحـول – إحمرار العين – شعر العينين).

٤- أمراض وألم البطن والكلى: مثل التسمم – انتفاخ البطن – ديدان البطن – تعقد الرياح – الحمى القلاعية (البثور فـى اللسان أو الفم) ـ السخونة – حصر البول – حصوة المثانة – النزيف – التقل (الدوسنتاريا) ـ المغص الكلوى.

٥- الأمراض الوراثية: هى الأمراض التى ليس لعامل البيئة دخل فى حدوثها أو وقوعها، وترجـع إلـى القـيم الثقافيـة والاجتماعية التى مازال مجتمع البشارية يتمسك بهـا، مثـل الزواج العاصب، الذى يتسبب فى ظهور بعض التشـوهات الخلقية مثل الصمم والعمى، وأمراض القلـب (ثقـب فـى القلب)، نقص الوزن، الكساح.

٦- ألم المفاصل والعظام: مثل الآلام الروماتيزمية – ملـخ الركبة – وجع الظهر، عرق النسا.

٧- الجروح وكسور العظام والحروق: الجروح بأنواعهـا،

النزيف، الحرق بالنار، كسور العظام.

٨- التسمم: مثل: لدغ العقرب والثعبان والطريشـة، لسـع النحل، أو التسمم بتناول أطعمة أو أشياء فاسدة.

٩- آلام الأسنان: تسوس الأسنان.

١٠- أمراض خاصة بالنساء: العقم – قطع الدم (الحيض) – المشاهرة – المقيرنة (التى يموت أطفالها بمجرد ولادتهم).

١١- أمراض مرحلة الطفولة: تأخر المشى والكلام – تأخر ظهور الأسنان – البكاء الكثير.

١٢- الأمراض النفسية والعصبية: الصرع، المس.

٢- البيئة البدوية كوعاء للصحة

(أ) تتميز البيئة البدوية بالصحراء الشرقية بأنها مازالت بيئة بكراً: أى لم تصل إليها يد التلوث، وذلك راجع إلى خلوهـا من مشاريع التنقيب عـن البتـرول والمعـادن، والمنـاجم. وبالتالى يتميز هواؤها بخلوه من كثير من الملوثـات مثـل: الرصاص، وعوادم السيارات، وتـراب المنـاجم، ودخـان المصانع، إلى جانب تميزها بالكثافة السكانية القليلة.

(ب) طول ساعات سطوع الشمس طوال العام: تتميز البيئـة البدوية الصحراوية بطول ساعات سـطوع الشـمس صـيفا وشتاء، والتى قد تصل فى المتوسـط مـن ١٢-١٧ سـاعة يوميا، وقد ساهم ذلك فى تعرض أجسام أطفالهم للأشعة فوق

البنفسجية، مما يساعد على تقوية عظام أطفالهم والشباب البالغين، ولذا أكدت المادة الإثنوجرافية قلة الإصابة بلين العظام عند أطفال البشارية.

(ج) تتسم البيئة الطبيعية لبدو البشارية بتوفر العناصر الطبيعية المتعددة: من (طمى – تراب الجبل – رمال – هواء نقى – أشعة شمس طول العام – نخيل)، بالإضافة إلى الأعشاب والنباتات الطبية التى حباهم بها الله - سبحانه وتعالى – فجربوها وتعرفوا على خصائصها الوقائية والعلاجية، ثم قاموا بجمعها من أماكن وجودها فى سفوح الجبال والوديان، ثم باعوها إلى التجار (العطارين) فأصبحت كنشاط اقتصادى إلى جانب النشاط الرعوى.

ومن أهم الأعشاب والنباتات الطبية التى تتوافر فى بيئة بدو البشارية، على سبيل الحصر: الحرجل – الشيح – الحلفا بر – الحنظل – ورق الأراك – الماشة – شجر المشمس – شجر العشر – الغزال – الطلح – شجر المليح – السنط – القرض.

ثالثا: الممارسات العلاجية والعناصر المستخدمة فى الإعداد

تشير بعض نتائج الدراسة الميدانية إلى تعدد العناصر الطبيعية المستمدة من البيئة الصحراوية، التى مكنت بدو البشارية من اختبارها والاعتماد عليها كمصدر من مصادر العلاج الشعبى. حيث عرف بدو البشارية بممارسات علاجية

وقائية تعتمد فى إعدادها على أنواع معينة مـن الأعشـاب والنباتات الطبيعية، وهى كما يلى:

١- وصفات علاجية تعتمد على الأعشاب البريـة وأوراق الشجر

تظهر المادة الإثنوجرافية اتساع دائرة خبرة بدو البشارية ببيئتهم وما تحتويه من أعشاب، وخبرتهم فى إمكانية توظيف استخدامها كعلاج، بعد أن أعيتهم الحيلة وظـروف العزلـة النسبية وقسوة الظروف الطبيعية، بالإضافة إلى خلو بيئـتهم من الخدمات الطبية الرسمية، مما حتم علـيهم أن يخضـعوا مقومات وعناصر البيئة الطبيعية للتجربة، فى ضـوء مبـدأ "الحاجة أم الاختراع". ومن الطبيعى أن محـاولاتهم كانـت تبوء تارة بالفشل وأخـرى بالنجـاح، حتـى اسـتطاعوا أن يتعرفوا على خصائص أعشابهم ونباتاتهم البرية، ثم جـاءت نتائج تجاربهم ومحاولاتهم تشير إلـى اسـتخدام الأعشـاب والنباتات البرية بصورتها الخام، وأحيانا أخـرى يقومـون بتعديلها بالنقع فى الماء أو فى اللبن أو خلطها مـع الـدهون والشحوم الحيوانية. بل إنهم يستخدمونها تارة فى صـورتها الأولية وتارة أخرى وهى سائلة، أو أنهم تعمدوا التغيير فـى شكلها بالطحن أو بالغلى أو بالخلط مع نباتـات أخـرى، أو مزجها بغيرها من الأعشاب والدهون حتى تشـكل وصـفة أخرى جديدة تفيد فى العلاج.

ومن الأعشاب والنباتات ذات الشهرة بين بدو البشارية

(أ) الأعشاب البرية: الحاف بر، الشيح، الحرجـل، الطلـح، الأراك، الغزال. وجميع هذه الأعشاب يعرفها بدو البشـارية من جيل الأجداد والآباء على أنها أعشاب برية تنمـو فـوق سفوح الجبال وفى الوديان، تعرف معظمها بلونها الأخضـر فى بداية نموها، ثم بتغير لونها بعد جفافهـا، فتأخـذ اللـون الأصفر المتشرب بالخضرة. كما تتفاوت أحجامها وأشكالها، فالبعض يأخذ شكل العيدان والبعض على شكل أوراق منهـا الصغير والكبير الحجم.

ومعظم هذه الأعشاب يتم جمعه بعد تمام جفافة، وهى تحتاج لعمليات صعود إلى سفوح الجبال وهبوط إلـى قـاع الأودية لجمعها، ولا يقدر على هذه العملية سوى من تمرس على صعود الجبال، بالإضافة إلى أن هـذه الأعشـاب فـى مجملها تتميز بالرائحة النفاذة والطعم غير المستساغ. ولـذا يراعي عند إعدادها سواء بالغلى أو الطحن (مثل الحاف بـر والشيح والحرجل والطلح والغزال) أن يضاف إليها السكر أو العسل الأسود قبل تناولها. ويؤكد إخباريو البشارية فاعليـة هذه الأعشاب فى علاج الكثير من الأمراض التى يتعرضون لها، وهى كما يلى:

- **الحاف بر:** من الأعشاب البرية المشهورة، يتوافر فـى البيئة الصحراوية لبدو البشارية. اعتاد بدو البشارية شـربه منقوعاً أو مغلياً (مثل الشاى) لعلاج المغـص وآلام المعـدة ولإدرار البول (حالة احتباسه لدى مرضى الكلى). أما فـى حالات نزلات البرد الشديدة فتضاف إليه بعض أوراق شجر

الغزال والحرجل ويغلى الخليط معاً وتحليته بالسكر. وفـى حالات الإصابة بنزلات البرد أيضاً يحرصون على استقبال دخان الحاف بر والقرض بعد وضعهما على فحـم مشـتعل بجوار المريض فى مكان مغلق، بغية تدفئة الجسـم حتـى يعرق جسم المريض، لأنهم يعتقدون بأن خروج العرق يفتح مسام الجلد ليدخل بخار الحاف بر والقرض اللذان يساعدان على إخراج الرطوبة والبرد من جسـم المـريض فيشـفى. ويقوم البدو أحياناً أخرى بعمل لبخة لعلاج الصداع المستمر أو ارتفاع ضغط الدم، تعمل من الحاف بـر والشـيح بعـد إضافة الملح، وتوضع فوق الرأس لمدة يومين حتـى يـتم الشفاء.

- **الحرجل:** من النباتات الصحراوية المتوفرة فـى بيئـة البشارية، اعتادوا استخدامه بعد غليه فـى المـاء وتحليتـه بالسكر لعلاج المغص، واسـتخدامه كغرغـرة لعـلاج آلام اللوزتين والحلق بدون تحلية.

- **أوراق الأراك:** أوراق صغيرة الحجم كأوراق النعنـاع، تجمع من على سفوح الجبـال وتجفـف، اعتـاد البشـارية استخدامها لعلاج آلام الكلى وانتفاخ البطن. ويكون ذلك بـأن تنقع الأوراق فى الماء الدافئ لمدة ٣-٤ ساعات، ثـم يقـدم كمشروب بدون تحلية. كما يستخدم أيضا فى علاج القـروح الجلدية وذلك بعد خلطه بمواد أخرى وهى كما يلى: يحضر دهن الماعز ويتم تسخينه حتى الغليان، ثم تضاف إليه أوراق الأراك المطحون ويمزج حتى يصير سائل غليظ القوام، ثـم

يصب على القروح وهو ساخن. أما فى حالة ألـم الأسـنان، فعادة ما يتم غلي أوراق الأراك مع القرنفل وورق النعنـاع. ويستقبل المريض هذا البخار بغية سحب الرطوبة أو إنـزال السوس العالق بالأسنان والمتسبب فى حدوث الألم.

- **الشيح:** من الأعشاب المشهورة لعلاج الزكام وارتفـاع درجة الحرارة والكحة، ويتم ذلك بغلى الشيح وشـربه بعـد تحليته بالسكر، أو حرق أوراقه على قطعة من الفحم المشتعل واستنشاق الدخان المتصاعد منه، وذلك لإيقاف رشح الأنـف وسحب الرطوبة، فيستطيع الإنسان بعـد ذلـك أن يتـنفس بسهولة.

كما يستخدم البشاريون الشيح لعلاج البثور التى تظهـر على الجسم وخاصة الوجه، بأن يغلي الشيح ثم تغسـل بـه الأماكن المصابة بالبثور لمدة سبعة أيـام، وإذا لـم تختفـى البثور، يلجأ البشاريون إلى عمل عجينة من الثوم المهروس يضاف إليه الملح والزيت ومـاء الشـيح المغلـى. تمـزج العناصر السابقة وتوضع على الأماكن المصابة لمدة من ٣-٦ أيام. ويؤكد المعتقد الشعبى على فاعلية هذه العجينة لحفظ الأجزاء المصابة من التعـرض للجـو المملـوء بـالتراب والشوائب، وتمنع تكوين الصديد، وبذلك يساعد على زوالهـا من الجسم، ويعجل بذلك.

- **الدمسيسة:** نبات طبى، عبارة عن أعواد رفيعة تتـدلى منها حبوب صغيرة ذات لون رمادى غامق، تستخدم عـادة

لعلاج المغص الكلوى، حيـث يقـوم البشـاريون بطحنهـا وغربلتها حتى تصبح كالبودرة، ثم تغلى بالماء. ويشترط أن تقدم ساخنة وبدون تحلية، وأن يتناولها المريض على الريـق بعد الاستيقاظ مباشرة، وقبل النوم فى المساء.

- **ورق شجر الغزال والجنباء:** اعتاد البشاريون اسـتخدام أوراق شجر الغزال لعلاج السعال، وذلـك بغليـه وتحليتـه بالسكر أو إضافة ورق الجوافة والحرجل إليه ويغلى حتـى يصير مزيجاً ويشرب لمدة من ٣-٤ أيام صباحاً على الريق وفى المساء.

- **أما أوراق شجرة الجنباء،** فعادة ما يقـوم البشـاريون باستخدامه لعلاج مريض الحصبة، بأن يحرق ورق الجنبـاء على فحم مشتعل ويتعرض المريض لهذا الدخان وتستمر هذه العملية لمدة من ٢-٣ أيام صباحا وبعـد صـلاة المغـرب، بغرض القضاء على الطفح الجلدى الذى يسبب الألم وارتفاع درجة الحرارة.

٢- وصفات وممارسات علاجية مستمدة من النباتات

دلتنا الدراسة الميدانية على استخدامات أسر بدو البشارية والمعالجين الشعبيين للعديد من النباتات بصورتها الطبيعيـة، أو إدخال بعض التعديلات فى شكلها، أو بإضـافة عناصـر أخرى إليها، بغية استنباط وصفات وقائية وعلاجية. وهـذه النباتات هى: الثوم – الحناء – القرض – النعناع – البصـل – الحنظل – المر – الترمس – الحلبة – الشعير – البقدونس

– حبة البركة – الكزبرة – الكمون – الزنجبيل – الباذنجان – الجميز.

الثوم: نبات الثوم من أكثر النباتات شهرة بين أسر بـدو البشارية من جهة، والمعالجين الشعبيين من جهـة أخـرى، لكونه نبات مطهر وواقٍ من كثير من الأمراض، إلى جانب أنه يحتل مكاناً كبيراً فى الوصفات العلاجية، سـواء علـى مستوى الوصفات المنزلية التى يقوم بها أفراد أسر البشارية، أو يقوم بها المطببون الشعبيون. ومن جهة أخـرى يتمتـع الثوم بمكانة متميزة فى نسـق المعتقـدات الشـعبية لبـدو البشارية، لما يتمتع به من خاصيته الدائمة النفاذة، وقـدرتها على طرد الأرواح، والحماية من العين الحاسـدة، وإبطـال الأعمال السحرية، إلى جانب طرد الحشرات الضـارة مـن المنازل، مثل الثعابين والعقارب. ويتأكد ذلك فى أقوال معظم الإخباريين، التى تؤكد قدرته الوقائية والعلاجية: "البيت اللى فيه توم لا يسكن فيه الجن ولا شيطان"، "التوم ده قادر على تطهير المصارين والبطن من أى عفن أو ألم، لأنه هو علاج لكل ألم".

وتجسد ذلك فى تعدد الوصفات العلاجية المستمدة منـه لعلاج العديد من الأمراض، فمثلا يعد الثوم مصدراً لعـلاج معظم الأمراض والآلام الخاصة بالبطن مثل: ديدان الـبطن، تعقد الرياح فى البطن، انتفاخ البطن، ديـدان الأذن، بثـور الوجه، الحمى القلاعية (القرحة فى اللسان والحلـق والفـم للأطفال). وقد توصلت خلاصة تجاربهم إلى استخدامه تـارة

بصورته الطبيعية أى خام، وذلك فى حالات انتفـاخ الـبطن وكثرة الغازات بها، حيث يقوم البالغون فى الأسرة البدويـة بتقديم فصوص الثوم – بعد تقشـيرها – للمـريض ليقـوم بابتلاعها على الريق لمدة تبدأ من يوم واحد إلى ثلاثة أيـام، ثم بعد ذلك تزول الأعراض المرضية ويتم الشفاء بخـروج الغازات وانخفاض حجم البطن، ثم يبدأ المريض بأداء عملية الإخراج بصورة طبيعية.

أما فى حالة الإصابة بالحمى القلاعية (البثور التى تنتشر بالفم واللسان) فيستخدم الثوم بعد تعديل صـورته الأوليـة، بإضافة كمية من الملح والزيت (زيت بذرة الكتان)، ثم تطحن فصوص الثوم المقشرة ويمزج الجميع حتى يصير عجينـة، تفرد فوق المكان المصاب بالبثور، ثم تكرر هذه العمليـة ٣ مرات حتى تختفى البثور.

وفى حالة الإصابة بديدان البطن، يقوم المطبب بعصـر فصوص الثوم ليتناوله المريض على الريق لمدة ثلاثة أيـام، بعدها يلاحظ المريض نزول الديدان مع البراز، ويزول الألم بنزول الديدان. أما فى حالة عدم اسـتجابة الديـدان لهـذه الوصفة العلاجية، فإن المطبب يلجأ إلى عمل وصفة أخرى، وهى عبارة عن: طحن فصوص الثـوم ومزجهـا بالعسـل الأسود حتى يصير المزيج كالعجينة اللينة القوام، يأكل منهـا المريض كل يوم على الريق لمدة ثلاثة أيام، بعدها يبدأ نزول الديدان من البطن، ويشفى المريض من الألم.

كذلك يستخدم الثوم أيضا لعلاج ثقل السمع (الطـرش)، ويعتقد البشاريـون أن السبب فى عدم القدرة علـى السـمع ترجع فى الأصل إلى وجود ديـدان بالأذن. وتؤكد أقوال كل من الإخباريين والمطببين الشعبيين: "الديدان دى تمنع الزول منا لا يسمع كلام الناس، ويفضل كده حتى يطلع الدود مـن الودن ويخف الزول". ومـن الوصـفات العلاجيـة الشـائع استخدامها لعلاج ثقل السمع: إعداد عجينة من فصوص الثوم وزريعة البصل (قلب البصلة)، يضاف إليها دهـن المـاعز وهو فى حالة سائلة وساخنة. تمزج هذه العناصر حتى تصير عجينة، توضع على فحم مشتعل، ثم تقرب أذن المريض من الدخان المتصاعد حتى يدخل داخل الأذن. وتسـتمر حتـى تنتهى العجينة وتحرق بأكملها، بعدها يشعر المريض بزوال الألم.

أما إذا استمر الألم بعد الوصفة الأولى، يلجأ المطبب إلى عمل وصفة أكثـر حبكة بغية إخراج الديـدان مـن الأذن، وبذلك يزول السبب فى الألم. ويصف الطبيب الشعبى قائلا: "نقشر فصوص الثوم ثم نضعها فى إناء، وتوضع على نـار هادئة بعد إضافة قليل من الماء، حتـى ينضـج، ثـم يقـوم المطبب بهرس الفصوص بالضغط عليها حتى تفرز سـائلاً أصفر اللون، عادة ما يطلق عليه زيت الثـوم. يجمـع هـذا الزيت ويوضع فى إناء يقطر منه فى أذن المريض، ويقـوم المطبب بعد مضى خمس عشرة دقيقة من عمليـة التقطيـر بوضع إناء به ماء بجوار أذن المريض كى يستقبل ما ينزل

من دود ميت من أذن المريض. وبذلك يشفى بـزوال الألـم ونزول الدود، ثم تعود إليه قدرته على السمع.

الحناء: نبات ينمو فى القرى التابعـة لمدينـة أسـوان: غرب أسوان، أبوالريش، وعادة مـا يتحصـل عليـه بـدو البشارية من سوق الخميس الذى يعقد بمدينة أسوان أسبوعياً. وقد درجت أسر بدو البشارية على استخدام نبات الحناء فى أغراض عديدة منها ما هو كوصفة وقائيـة أو علاجيـة أو جمالية.

ومن الوصفات العلاجية استخدامها فى علاج الحـروق بأنواعها (لسعة النـار أو الماء الساخن)، بأن تعجن الحنـاء بعد طحنها وغربلتها حتى تصبح ناعمة كالبودرة، ثم تعجن بمنقوع القرض، ويضاف إليها بياض البيض. وتمزج جميع هذه العناصر حتى تصير عجينة لينة، توضع على الأمـاكن المحروقة فـور حدوث الحرق لكى تلطف من الألم، ومـن جهة أخرى تعمل طبقة عازلة تمنع تعرض السطح المصاب بالحرق للهواء والأتربة. كما تمنع تكوين ماء تحت الجلـد، وبهذه الوصفة يعجل بجفاف الحرق وسرعة الشفاء.

أما فى حالة الإصابة بالصداع نتيجة لضربة الشمس فى فصل الصيف، فقد اعتادت أسر بدو البشارية إعداد وصـفة علاجية سريعة، تتكون من الحناء مضـاف إليهـا منقـوع القرض، وتعجن حتى تصير لينة ثم تفرد على الرأس بغيـة سحب حرارة الشمس وألم الصداع. كمـا تسـتخدم نفـس

العجينة السابقة كمادة مساعدة لتضميد الجروح، مثل الجرح الذى يفتح أثناء عملية التفصيد التى يقوم بها المطبب الشعبى لعلاج مرض الفيل (سوف نتحدث عن ذلك بالتفصـيل فـى موضوع العمليات وأدوات الطب الشعبى).

أما الوظيفة الثانية لنبات الحناء فهى استخدامها كوصفة وقائية قبل حدوث المرض، فتشير المادة الإثنوجرافية إلـى اعتياد النساء البدويات الاستفادة من نبات الحناء للوقاية من المشاهرة، سواء التى تحدث للعرسان حديثى الزواج، أو تلك التى تحدث للسيدة الواضعة. وذلك بأن تجهز هذه الوصـفة الوقائية قبل وقوع الحدث (الفرح – الولادة)، بإحضار نبات الحنة والقرض الجاف وبذور البصل وغلة (قمح أو فـول)، والكسبرة. تمزج هذه الأصناف وهى جافة، ثم توضع فـى إناء للتنجيم (أى توضع تحت السماء مباشرة "تحت الـنجم" ولتشاهد ظهور هلال الشهر العربى)، وتعرف هو الوصـفة "بالِبسلة". توضع البِسلة بعد تنجيمها فى مسـكن العروسـين قبل ليلة الزفاف، وخلف السيدة حديثة الولادة وقبل الوضع. ويفسر المعتقد الشعبى أن هذه الوصفة الوقائية كفيلة أن تمنع حدوث المشاهرة بأن تمنع دخول الشـياطين إلـى منـزل العروسين، وتقى من العين الشـريرة، وتبطـل أى "عمـل" الغرض منه الإضرار بالعروسين.

أما كوصفة جمالية، فقد درجت أسـر البشـارية علـى استخدام الحناء لما يتميز به نباتها من خاصية التلوين لصبغ الشعر الأشيب للرجال والنساء، ولعلاج قشرة الشعر، وعلاج

الشعر القصير والضعيف، بغية تغذيته ليطول، وذلـك بعـد إضافة الزيت والحنظل الأخضر (السائل الأبيض الذى فـى ثمرة الحنظل)، ثم تدلك به فروة الرأس ويغطى بها الشـعر كله. أما استخدامها كصبغة للشعر، بـأن تعجـن بمنقـوع الكركديه أو منقوع القرض، أو ماء البصل، وتترك لتخمر، ثم تفرد على الرأس لمدة يوم واحد ثم يغسل الخليط ويـزال بعد ذلك.

كما تستخدم لتلوين (تخضيب) أيدى وأرجل العروس قبل ليلة الحناء بغية التجميل والوقاية من المشاهرة، بل وتستخدم لصبغ جسم الميت قبل تغسيله للمحافظة على لـون البشـرة حمراء بدلا من الصفراء، وجعل الجسم أكثر ليونة. ويفسـر المعتقد الشعبى هذه الممارسة أو الوصفة بما أكدتـه أقـوال الإخباريين (لأن الزول يبعث بعد موته على الصورة إللـى كان عليها هو حى وإحنا نحب يكون بصورة حلوة وجميلة).

نبات الحنظل: يعرف بالمر، وهو مـن نباتـات البيئـة الصحراوية، وعادة ما تأخذ الثمرة شكل الليمونة الكبيرة ذات اللون الأخضر وهى طازجة، واللون الأصفر عندما تجـف. وهذا النبات معروف لدى الأسرة البشارية باسم (القطـران)، فقد درج استخدامه لعلاج العديد من الأمراض والأعـراض، وعلى رأسها الأمراض المعدية: مثل الجرب، الذى عادة مـا يصاب به الإنسان نتيجة لكثرة اختلاطه "وملامسته" للمواشى والجمال، وذلك بحكم النشاط الاقتصادى الرعوى.

وعادة ما يتم إعداد الوصفة العلاجية اللازمة للتصدى لهذه المرض المعدى باستخدام نبات الحنظل فى صورته الطازجة، وذلك بوضعه فى إناء ثم يرفع على نار هادئة حتى ينضج ويخرج ما به من زيت، ويطلق على هذا الزيت (القطران). يجمع الزيت فى إناء آخر بواسطة المطببين الشعبيين لعلاج الأجسام المصابة بالجرب، بدهان الجسم لمدة ٤٠ يوما متتالية. كما يستعان أيضا بزيت الحنظل لعلاج الجذام حيث يستمر دهان الجسم المصاب قرابة ٩٠ يوما (ثلاثة أشهر). فى نفس الوقت يمنع المطبب الشعبى الشخص المصاب من أكل البيض والموز والمانجو حتى يتم الشفاء من هذا المرض المعدى.

أما فى حالة الإصابة بالناسور، فعادة ما يتم إضافة بذور الترمس بعد طحنها وغربلتها وتمزج حتى يصير غليظ القوام (مثل المرهم)، ويدهن به مكان الألم.

أما فى حالة علاج النقرس –ألم الكعبين– درج البشارية على استخدام ثمرة الحنظل بصورتها الطبيعية أى الأولية (لونها الأخضر)، وذلك بفتح ثمرة الحنظل حتى يسيل منها السائل الأبيض اللزج فيوضع على الكعبين، ذلك لأن الحنظل له قدرة على امتصاص الألم. وتكرر هذه الوصفة من ثلاث إلى أربع مرات حتى يزول الألم.

أما فى حالة الإصابة بمرض الجدرى، فيستخرج السائل اللازج لثمرة الحنظل ثم يضاف إليه العسل الأسود – الحنطة

– النشاء – ملح مذاب فى الماء، وتمزج هذه العناصر حتـى تصير كالمرهم، ثم يقوم المعالج الشـعبى بـدهان الأجـزاء المصابة. وتكرر هذه العملية، ويتم ذلك من بدايـة ظهـور الطفح لمدة خمسة عشر يوما بعدها يزول الطفح الجلدى من الجسم.

الجميز: من النباتات الصحراوية، يميل لونه إلى اللـون البنى الغامق، صغير الحجم، يشبه التـين البرشـومي، درج على استخدامه فى حالته الجافة بعد الطحن، ثم غليه وتحليته بالسكر لعلاج الكحة، كما يستخدم وهو طـازج باسـتخراج عصارته لدهن الجسم لإزالة آثار الوشـم ولعـلاج مـرض البهاق.

الحلبة الحصى: تستخدم حبوب نبات الحلبة بعد تجفيفها وطحنها لعلاج التهابات العين، وذلك بعجن مسحوق الحلبـة بالماء لعمل عجينة توضع حـول العـين المصـابة بسـبب الأتربة.

٣- الروائح والمشروبات العلاجية المجهزة من النباتات

درج أجداد البشاريين على شـغفهم للتجربـة، وذلـك للتعرف على خصائص ما تجود به بيئتهم من جهة، وما في متناول أيديهم من نباتات غذائية يتناولها الإنسان أو الحيوان. ومن تجاربهم من جهة أخرى محاولة غلى بعـض النباتـات مثل: الشعير، المقـدونس، العقـول، نبـات الغـزال، ورق المشمش، الحلبة الحصي وتحليته بالسكر أو بالعسل، وتناوله

كشراب أو تناوله بدون تحلية. وقد أثبتت المحاولة والخطـأ جدوي هذه المشروبات لعلاج بعض الأعـراض المرضـية المؤلمة مثل: مشروب الشعير المغلـي والمحلـي بالسـكر، وكذلك مشروب المقدونس كوصفه علاجية لفك حصر البول.

أما لتفتيت حصوة المثانة فقد درج المطببون الشـعبيون على إعداد مشـروب قوامه لبن الجمال مضافاً إليه منقـوع العقول (من النبات الصحراوية التي تتغذى عليهـا الجمـال والغنم)، وبعد غليهما يتناوله مريض الكلى بدون تحلية على الريق وفى المساء لمدة ثلاثة أيام.

ولعلاج الربو: يغلى كل من حبة البركة وأوراق شـجر الغزال والمر، ويحلي بالسكر، ويتم تناوله لمدة أربعين يوماً متتالية.

وفي حالة الإصابة بالدوخة المستمرة، فقد درجت أسـر البشاريه على إعداد وصفه علاجية مكونة من مجموعة مـن النباتات هي: حبوب الكسبرة الجافة يضاف إليها حبة البركة والكمون، وتحمص هذه الحبوب وتوضع في قطعة قماش ثم تعلق في رقبة المريض بالدوخة لكي تكون قريبة من أنفـه، ويداوم على شم رائحتها. حيث يفسر المعتقد الشعبي البدوي جدوى هذه الممارسة كعلاج لأعراض الدوخة، نظـراً لمـا تتمتع به هذه النباتات من زيوت طيارة ذات رائحـة نفـاذة تنشط المراكز الحسية بالمخ.

أما لعلاج الأرق: يقدم شراب الحنظـل الجـاف سـواء

بالغلي أو بالنقع، ثم يحلى بالسكر، كما يقدم مشروب الحلبـة بعد تجفيفها وغليها وتحليتها بالعسل كنـوع مـن المقويـات للسيدات حديثي الولادة بغية تقويتها وتعويضها ما فقدته مـن دم أثناء الولادة، وفي نفس الوقت يعتبر شراب الحلبـة مـن المدرات للبن. ومن الوصفات العلاجيـة الشـائعة اسـتخدام الحلبة الجافة بعد طحنها وعمل عجينة بالماء وهى تسـتخدم لعلاج أمراض العيون: الالتهابات، كثرة الافرازات بسـبب الإصابة بالرمد. توضع عجينة الحلبة حول العين المصـابة، وتكرر مرة أو مرتين حسب الحالة حتـى تخـرج الخيـوط البيضاء من العين فهذا علامة على كمال شفائها، بالإضـافة إلى استخدام لبن الأم كقطرة تعمل على تلطيف التهاب العين.

٤- وصفات علاجية تعتمد في تجهيزهـا علـى الـدهون والزيوت الحيوانية والنباتية

في ضوء الظروف البيئية الطبيعية التي فرضت علـى بدو البشارية الإقامة أو السكني بالصحراء الشرقية، جـاءت محاولة بدو البشارية للتكيف مع خصائص البيئـة الطبيعيـة الصحراوية من جهة، وإشباع احتياجاتهم الأساسية لمواجهـة المرض والألم الذي يتعرضون إليه، ومحاولة العـلاج مـن جهة أخرى. فتمكنوا عن طريق المحاولـة والخطـأ ومبـدأ الحاجة أم الاختراع من الاستفادة مـن دهـون وأصـواف الحيوانات التي يربونها لإعداد الوصفات العلاجية.

لقد كشفت نتائج الدراسة الميدانية عـن مـدي أهميـة

الحيوانات التي تعيش في البيئة الصحراوية، من إبل وأغنـام وماشية، بوصفها مصدراً للحصول على الشحوم والـدهون والأصواف التي استعانوا بهـا لإعـداد وصـفات وقائيـة وعلاجية، ولقد تأكد ذلك في أقوال المعالجين الشعبيين لبـدو البشارية، بأنهم يقومون بتجميع الدهون والشحوم بعـد ذبـح الحيوانات مباشرة بعد تخليصها من الشوائب، ثم تجهيزهـا كمادة أو وصفة علاجية، وذلك برفع نصف كميـة الشـحوم على نار هادئة حتى تسيل الدهون دون أن يتغير لونهـا (أي لا تحترق). أما الجزء الثاني فيترك بصورته الأولية أو الخام حتى يمكن تشكيله كعجينة.

ومن الوصفات العلاجية المشـهورة اسـتخدام الـدهون لتطهير وعلاج الجروح وذلك بأن يقـوم المطبـب الشـعبي بغسل الجرح بالماء الدافئ والملح ومنقوع نبـات القـرض، لإزالة ما بالجرح من أوساخ، ولوقف نزيف الدم، ثم تحضر الدهون في صورتها الأولية، حيث يتم تدفئتها على نار هادئة حتى يتمكن من عجنها ثم تفرد حول الجرح ويقوم المطبـب بإحضار جزء آخر من الدهن الذي سبق تسـييحه، ويضـعه على النار حتى يغلي. ثم يقوم بصب الدهن علـى الجـرح، وتكرر هذه الممارسة حتى يدبل الجرح ويجف.

كذلك قادتهم التجربة إلى خلط الـدهون الحيوانيـة مـع غيرها من عناصر البيئة لعمـل وصـفات أخـرى لعـلاج أمراض مثل: الحميات وآلام الأذن. ففي علاج السخونة يقوم المعالج بتسخين الدهن (دهن الأغنام) حتى يسـيل ويصـبح

قوامه كالزيت، يضاف إليه كمية من الملح، ويطلب من أهل المريض دهان جسمه حتى تنخفض درجة حرارته. أما في حالة ألم الأذن وهو من أكثر الأمراض شيوعاً بـين أطفـال البدو اعتاد المطببون الشعبيون تجهيز وصفة العجينة وهـي عبارة عن شحم الأغنام يضاف إليه زريعـة البصـل بعـد هرسه، ثم يعجن في إناء، ويرفع المزيج على نار هادئة حتى يتصاعد منه البخار، ثم تقـرب أذن المريض من هذا البخار المتصاعد من العجينة. وبعد ثلاث دقائق من دخول البخـار أذن الطفل يقوم المعالج الشعبي باستقبال الدود النـازل مـن الأذن الداخلية في إناء به ماء، وذلك لاعتقادهم بأن الدود هو السبب وراء هذا الألم، وبخروجه يتوقف الألم ويشفي.

أما عن الزيوت النباتية فيمثل كل مـن زيـت الكمـون وزيت جوزة الطيب بعض أشهر الزيوت استخداماً كوصفات علاجية. وهذه الزيوت تشتري من العطار ويشيع استخدامها كوصفة وقائية للطفل حديث الولادة، بأن يدهن بهـا جسـمه بمجرد ولادته بزيت الكمون أو بزيت جوزة الطيب، كنـوع من المقاومة التى تحميه من برودة الجو في الشتاء وتلطـف الجسم من حرارة فصل الصيف، إلى جانب أن هذا الـدهان يحافظ على جسم الطفل دائماً في حالة لينة (طريـة). كمـا يستخدم زيت الطعام (زيت بذرة الكتان) في تـدليك الجـزء المرضوض من الجسم المجبر ثم يقوم المجبر بشد العضـو المصاب (بعد تدليكه) حتى يتم إرجاعه إلى وضعه الطبيعي.

٥- وصفات علاجية مستمدة من عناصـر الحيوانـات أو

طيور البيئة

تشير المادة الإثنوجرافية إلى أن بيئة بـدو البشـارية مازالت تعد مكاناً طبيعياً بكراً، من حيث تنوع الكائنات الحية التي تعيش فيها، والتي استخدموها كمصادر إعـداد بعـض الممارسات الوقائية والعلاجية. ومن هذه الحيوانات: الأرانب الجبلية، النعام، الحمير، طائر البلسان، والإبـل، والأغنـام، والماشية، كذلك القنفد، وقرن الخرتيت.

ولقد أشارت نتائج الدراسة الميدانية، إلـى أن هنـاك علاقة ارتباط بين استخدام بعض عناصر أجسام الحيوانـات وطيور البيئة، وبين انتشار العديد من الممارسات والوصفات الوقائية والعلاجية التي ترجع إلى ما لدى بدو البشارية مـن معلومات، واتساقهم المعرفي حول الخصـائص العلاجيـة والوقائية لهذه العناصر الحية، التي قادتهم إليها الحاجة إلـى التداوي لمواجهة الأمراض والآلام وإلى استغلال مـا هـو متاح تحت أيديهم:

زيت طائر البلسان: يجمع إخباريو بدو البشارية علـى أن طائر البلسان من الطيور المهاجرة التي تأتي إلى بيئـتهم في فصل الشتاء. وهم يحرصون على اصـطياده، خاصـة المعالجون الشعبيون منهم، حيث يقومون بذبحه والحصـول على دهنه الذى يتم تسـييحه وتعبئتـه فـي أوان. ويفضـل استخدامه فى شكله الخام بدون إضافة أي عناصـر أخـرى إليه. ويعرف عن هذا الزيت استخدامه لعلاج ألـم الظهـر

والعظام والآلام الروماتيزمية.

قرن الخرتيـت: الخرتيت من الحيوانات الجبلية، لـه أهمية خاصة لدي بدو البشارية من حيـث كونـه مصـدراً أساسياً لعلاج المريض شارب السم، أو الذي تناول طعامـاً فاسداً. يأخذ شكل قرن الخرتيت اللون البني على شكل هلال مجوف، وعادة ما يحتفظ به شيخ القبيلة، ويتم استعارته في حالات التسمم، ثم يرد إليه ثانية.

وتكون وصفة علاج التسمم، بنقع اللبن لفترة من ٣: ٤ ساعات داخل القرن، أو غلي اللبن ثم صبه داخـل القـرن، بعدها يشرب منه المسموم. وبعد ١٠ دقائق يبدأ المـريض في التقيؤ لكي يخرج السم، أو يحدث له إسهال لتفريغ البطن مما بها من سموم. وتتكرر هذه العملية حتى تتطهر الـبطن ويتماثل المريض للشفاء.

كما تحرص نساء البشارية على أن يتنـاول الأطفـال اللبن المنقوع في قرن الخرتيت للوقاية أو التطعيم ضـد أي سموم قد يتعرض لها الطفل بسبب أكل أي طعام غير صحى أو تناول شراب غير سليم.

بيض النـعام: يحرص المعـالجون الشـعبيون فـي مجتمع بدو البشارية على الخروج إلى الخلاء لجمـع بـيض النعام ثم تركه ليجف ويطحن ويغربل ثم يعبأ (بـودرة) فـي أوان ليكون جاهزاً للاستخدام في الوصفات العلاجية. ومـن الأمراض التي اشتهر بيض النعام بعلاجها أمراض العيون،

سواء كانت احمرار العين، أو الرمد، أو عـلاج الغشـاوة، ولتقوية البصر وجلاءه. يقوم المعالجون الشعبيون بتجهيـزه في صورة بودرة أو قطرة بنقع بودرة بيض النعام في مـاء العطرون (وهو حجر جبلي يجمع من فوق سـفوح الجبـال) حتى يصبح السائل منسجم القوام. وتكحل العين المصابة من هذا المحلول بواسطة ريشة دجاجة. وتكرر هـذه الممارسـة حتى تشفي العين المصابة، أو تستخدم كبودرة ترش حـول العين وداخلها (مثل بودرة السلفا).

دم الحمار والأرنب: كشفت الدراسـة الميدانيـة عـن استخدام بدو البشارية لدم الحمار أو دم الأرنب للأغـراض العلاجية، مثل علاج الأمراض الجلدية، وبالتحديد ما يعرف بمرض البهاق، وذلك بتجميع الدم بعد الذبح مباشـرة بـأن يكون الدم ساخناً (طازجاً) ثم يدهن بـه الجسـم أو الجـزء المصاب من جسم المريض. وتكرر هذه العملية حتى تـزول آثار البهاق من على الجلد.

دم الأضحية: اعتاد البدو الاحتفاظ بدم الأضاحي لمـدة عام، لاعتقادهم في جدوى الدم لعلاج حالات العقم. ولـذلك يحرص المعالج الشعبي بأن تخطو المرأة العـاقر فـوق دم الأضحية سبع مرات، ليحدث الحمل، وهناك حالات عديدة – على حد قول بعض الإخباريين – تم علاجها بهذه الصـورة وتحقق المراد.

دم القنفد: حيوان جبلي يشبه الفأر، لونه رمادي غامق،

جسمه مملوء بشعر يشبه الشوك، يأكـل النمـل. تسـتخدم عناصر جسمه (الشعر والدم) لعمل وصفات علاجية لعـلاج الطرش، فيؤخذ دم القنفذ بعد ذبحـه ويقطـر بـه فـي أذن المريض، يكرر ذلك من ٣-٤ مـرات، أو أن تعـرض أذن المريض إلى الدخان المتصاعد من حرق شعر القنفد، وتكرر هذه الممارسة مرة أو مرتين، بعدها يشفي المريض وتعود له القدرة على السمع.

روث ولبن الإبل: تؤكد أقوال الإخباريين على أهميـة الجمل في حياتهم، أولاً كوسيلة للنقل والانتقال، إلى جانب أن بعض عناصره مثل اللبن والروث يمـثلان مصـدراً مـن مصادر تجهيز وصفات علاجية.

روث الجمال: يضاف إليه تراب الجبل وينقعا معاً فـي ماء وملح حتى تصير عجينه لينة لعلاج مرض القراع. يقوم المطبب الشعبي بفرد هذه العجينة الرأس المصابة لمدة سبعة أيام حتى يتم الشفاء.

أما عن لبن الجمال (النوق): فيستخدم لعلاج أمـراض الكلي وعلى وجهه التحديد لإنزال الحصوة من المثانة، بعـد إضافة منقوع العقول إليه. أما لعلاج الأنيميا فيضـاف إلـى اللبن العسل الأسود يتناوله المريض لمدة أربعين يوماً متتالية حتى تزول أعراض الأنيميا واستعادة النشاط والقدرة علـى الحركة والعمل. ولعلاج التقل (التعنية) فيشرب المريض لبن الناقة حامضاً أو مراً.

٦- عناصر علاجية مستمدة من البيئة الطبيعية

تشير الشواهد الميدانيه إلى تعدد عناصر البيئة الطبيعية المستمدة من البيئـة الصحراوية عامة وبيئة بدو البشـارية خاصة والتي استطاع البدو الاعتماد عليها ووظفوها بوصفها مصدراً من مصادر العلاج الشعبي. ونذكر منها على سبيل المثال: الرماد، ماء الندي، طمي المطـر، تـراب الجبـل، الحجر الجبلي. وتؤكد المادة الإثنوجرافيـة علـى المكانـة المتميزة التي تحتلها العناصر الطبيعية في كل مـن نسـق الطب الشعبي ونسق المعتقدات الشعبية البدوية وهـي كمـا يلي:

ماء المطر وتراب الجبل: (الطمي)

بالرغم من أن مجتمع الدراسـة يـدخل ضـمن البيئـة الصحراوية، إلا أنه يتعرض في فصـل الشـتاء لموجـات ممطرة، مما يجعل هناك علاقة تلازمية بين حلـول فصـل الشتاء وبين انتظار بدو البشارية للمطر، وبخاصة المعالجين الشعبيين، وذلك لتجميع مياه الأمطار لكى يستخدمها البشارية لإشباع حاجاتهم الأساسية، مـن طهـي ونظافـة وسـقاية للحيوانات. بينما تدخل الاستخدامات العلاجية لهـذه الميـاه، اعتقادهم القوي في قدرة مياه الأمطار لشفاء كل الأمـراض. ويؤكد ذلك أقوال المعالجين "مية المطرة فيهـا شـفاء لكـل الأمراض زي عسل النحل". أما على المستوي الآخر حـين

يمتزج ماء المطر بالتراب مكوناً طمياً، تحرص معظم النساء البدويات - خصوصاً في شهور حملها الأخيـرة (السـابع – الثامن – التاسع) – على تجميع الطمي ثم ابتلاعه لاعتقادهن بأنه يسهل عملية الولادة. كذلك يستخدم كوصـفة علاجيـة لعلاج لسعة النحل، بفرد الطمي على مكان اللسع، وتكـرار ذلك حتى يتم الشفاء. إلى جانب استخدام الطمـي كوصـفة لعلاج الجروح العميقة مثل التربنة، بعد أن يضاف إليه اللبن حتى يصبح عجينه لينة، تفرد هذه العجينة على الجرح عـدة مرات حتى يلتئم.

ماء الندى

هي قطرات الماء التي تتكون على النباتات في الساعات الأولي من الصباح. وقد اعتـاد بـدو البشـارية اسـتخدامه كوصفه علاجية لعلاج الخضة (الخلعـة) ولعـلاج الطفـل المحسود. وعادة ما يتم تجميع المياه بواسطة المعالج وذلـك بوضع إناء في مكان مفتوح (تحت السماء) لتجميع مياه الندي على مدى عدة أيام بشرط أن يكون عدد الأيام فردياً، أي يوم أو ثلاثة أو خمسة أو سبعة أيام، إلى أن تتجمع كمية مناسـبة في إناء. بعد ذلك يقوم المطبب الشعبي بسكب هذه المياه على المحسود سواء كان طفلاً أو شابا، أو بالغاً، ويكرر ذلك حتى يتم الشفاء.

حمام الرمل

حمام الرمل من أكثر العناصر الطبيعية المميزة للبيئـة

البدوية الصحراوية، لذا نجد أن نظام السكنى الريفية عند بدو البشارية قد راعى أن يكون هناك مساحة لعمل حمامات الرمل للمصابين داخل المنزل الريفى. ويستخدم الرمل كحمام لعلاج الآلام الروماتيزمية وآلام المفاصل والظهر، وذلك بعمل حفرة فى وسط الدار بعمق ٧سم يوضع بها المريض(*) ويراعي أن يكون ذلك في وقت الظهيرة (فصل الشتاء) حيث تكون الرمال دافئة ويستمر الدفن من ١-٢ ساعة. بعدها يخرج المريض من الحفرة ويلف جسمه بلحاف ويقدم له سوائل ساخنة، ويكرر هذا الحمام مرة أو مرتين في الأسبوع حتى يزول الألم ويشفي المريض.

الحجر الجبلى: متوفر فى جبال الصحراء الشرقية، يستخدمه المطببون الشعبيون لعلاج العقم عند النساء، وذلك بصحن الحجر، ثم يوضع فى قطعة قماش وتقوم المرأة بلبسه بغية امتصاص الرطوبة من الرحم، وهى فى اعتقادهم السبب فى حدوث العقم.

٧- الوصفات العلاجية القائمة على استخدام العناصر الغذائية بالمنزل

(*) هناك نوعان من حمام الرمل: الأول: حمام الرمل الرأسى، وهو عبارة عن حفرة عمقها حوالى ١,٥ متر لدفن جسم المريض واقفا عدا الرأس التى يغطيها بشال من القماش أو عمامة لتخفيف ضربة الشمس. والثانى: حمام الرمل الأفقى وهو عبارة عن حفرة أفقية عمقها ٠,٥ متر يدفن المريض جسمه بها مستلقيا على ظهره عدا الرأس، ويظل المريض ساعة ونصف مدفونا فى الرمل حتى يتصبب عرقا ويتخلص من الرطوبة.

تكشف الدراسة الميدانية عن استخدام العديد من العناصر المنزلية كوصفات علاجية ووقائية. ومن هذه العناصر: السكر والملح، ماء البصل، اللبن، البيض.

السكر: يعدون عنصر السكر من العناصر الأساسية لعلاج الزكام، ذلك بأن تحرق كمية من السكر على النار، ويجبر المريض على استنشاق الدخان المتصاعد منه. يكرر ذلك عدة مرات حتى يتوقف الرشح ويستطيع المريض معاودة استنشاق الهواء الطبيعى مرة ثانية، ويستطيع بذلك أن يميز الروائح الأخرى. وفى حالة عدم توفر السكر، يستعاض عنه بحرق قطعة من القماش، ويطلب من المريض شم رائحتها وتعرف (بالشياط). ويؤكد المعتقد الشعبى وراء هذه الممارسة على قوة الدخان المتصاعد من المادة المحروقة (سكر أو قماش)، فى تخفيف الرشح إلى جانب إزالة أى عوائق أخرى تحول دون دخول الهواء الطبيعى إلى داخل أنف المريض، فيشعر بضيق فى التنفس، فيضطر إلى التنفس من الفم بدلا من الأنف.

ب- الملح: تتعدد صور استخدامات الملح كوصفة وقائية وعلاجية. فالجميع يستخدمونه كمادة مطهرة للجروح، بغسل الجرح بماء وملح، أو استخدامه كوصفة علاجية لعلاج الحروق، ذلك بأن يدلك الجزء المحروق بالملح لإخراج الماء منه حتى يسرع من تجفيف الجرح والتئامه. بالإضافة إلى استخدامه كمادة مطهرة للبطن، بأن يشرب المريض الماء المذاب فيه الملح، حتى يتقيأ المريض ويخرج ما فى بطنه

من أطعمة أو سموم. هذا بالإضافة إلى استخدامه كغرغـرة لعلاج التهاب الحلق والزور.

ج- الكيروسين (الجاز): لا يعرف مجتمع بدو البشارية المواد المطهرة مثل الميكروكروم وصبغة اليود، لكن الكيروسـين يمثل مادة إذ بديلة يستخدم كمطهر خارجى فى حالة الجروح البسيطة والمتقيحة.

د- البيض: من العناصر الغذائية المنزليـة، إلا أن الدراسـة الميدانية كشفت عن استخدامات أخرى للبيض. هـذا فضـلاً عن أنه يمثل وجبة غذائية (مسـلوقاً أو مطهيـاً) للبـالغين والأطفال. وهو يمثل عنصراً من عناصر العلاج الشعبى، فقد اعتاد بدو البشارية استخدام البـيض لعـلاج العديـد مـن الإصابات، كالحروق مثـلاً. ويكون ذلك بإضافة زيت بذرة الكتان إلى البيض ومزجه جيداً حتى يصير كـالمرهم، ثـم تدهن به المنطقة المحروقة لكـى يهـدأ الالتهـاب، ويمنـع تكويـن الماء تحت الجلد. كما يستخدم من جهة أخرى كمقو عام لعلاج الضعف العام وهزال الجسم الـذى قـد يصـيب البالغين والأطفال بعد فترة مرض طويلة، عندئـذ يضـاف البيض إلى اللبن ثم يحلى بالسكر ويضرب جيداً حتى يصير مزيجاً متوسط القوام، يقدم للمريض صباحاً ومسـاء لمـدة ثلاثة أيام.

أما فى حالة إصابات الكسور أو الرضوض أو المزق، فى عادة ما يستخـدم البيض لعمل اللبخة، التى تتكون مـن

البامية الجافة بعد طحنها وعجنها ببياض البيض، ثـم تفـرد على العضو المصاب حتى تمتص الورم والألم وتساعد على التئام الكسر.

هـ - **اللبن:** من العناصر الغذائيـة المتـوفرة لـدى بـدو البشارية، وهو متعدد المصادر، فهناك لبن النوق (الجمـال) ولبن الماشية والماعز. ويمثل اللبن وجبة غذائية رئيسـية(*) تتواجد مع جميع الوجبات الثلاث، إلى جانب أنه يمثل واحدا من المشروبات الهامة لدى البدو، وهو: الحامض أو المـر، والرايب (مثل الزبادى)، وذلك لخاصيته المتميزة التى تسهم فى تخفيض حرارة الجسم فى أيام الصيف. والجدير بالـذكر أن الدراسة الميدانية كشفت عن خاصية أخرى للبن باعتباره مكونا أو عنصراً مهماً يدخل فى معظم الممارسات العلاجية. فجميع أقوال الإخباريين والمطببين الشعبيين لبدو البشـارية أجمعت على أنه يستخدم لعلاج المغص بعد أن يضاف إليـه منقوع القرض، وكفاتح للشهية للمرضى البالغين والأطفـال. أما لبن النوق (أنثى الجمل) فيستخدمه المطببون الشـعبيون لإنزال ديدان البطن. يستمر تقديمه للمريض لمدة ١٤ يومـا على التوالى بعد أن يضاف إليه الحنظل، ويسـتخدم أحيانـاً أخرى كمادة مطهرة للجروح البسيطة والمتقيحة.

كما كشفت الدراسة الميدانية أن هناك علاقة بين اللـبن وبين مرحلة الطفولة، ليس فقط لكونه وجبة غذائية أساسـية

(*) هناك الفطير باللبن، والخبز باللبن، والتمر باللبن.

فى هذه المرحلة العمرية، بل لأنه يمثـل كـذلك عنصـراً علاجياً، أو يدخل فى تجهيز العديد من الممارسات العلاجية والوقائية. فيستخدم اللبن كقطرة للعـين عنـدما تلتهـب. أو يحمر لونها، حيث تقـوم السيدة المرضعة بتقطير لبن الثدى فى عين الطفل مباشرة كغسـيل للعيـن مـن الأوسـاخ، وكملطف للالتهاب. وتستمر هذه الممارسة صباحاً ومسـاء من ٣-٦ أيام، حتى تتفتح العين وتشفى من الالتهاب.

أما عن الممارسات العلاجية التى تساعد أو تعجل بعملية تسنين الطفل بدون ألم، فتذكر إحدى الإخباريـات: "تقشـر فصوص الثوم ويغلى فى اللبن ويقدم للطفل ليشربه، ثم تقوم الأم بتدليك اللثة الملتهبة والمتقيحة باللبن يومياً، حتى تظهر الأسنان". أما فى حالة تأخر الطفل عن الكلام، يشيع تـدليك منطقة الفك واللسان حتى الحلق بلبن الناقـة يوميـا لمـدة أسبوع. ويؤكد ذلك قول الإخبارية: "وبعدها يبدأ لسان العيل ينطق ويقول بابا وبعدها يصبح الكلام سهل". ويفسر المعتقد الشعبى الخاصية العلاجية للبن، كما أكدته أقوال الإخباريين: "اللبن ده سره ربانى"، "هو علاج كل شئ عاصى". ويفسـر أحد المطببين قائلا: "تدليك الفك واللسان بـاللبن ده يسـاعد على تقوية عروق الحلق والزور واللسـان فيجعـل الطفـل يتكلم".

النار: تمثل النار واحدة من المقومات الأساسية للحيـاة فـى البيئة البدوية الصحراوية، حيث تسـتخدم لإرشـاد القوافـل التجارية أثناء السير ليلا فى الصحراء. إلى جانب أنها وسيلة

من وسائل التدفئة والطهى، بالإضافة إلى أنها وسـيلة مـن وسائل العلاج البدوى. وقد كشفت الدراسة الميدانية عن تعدد الاستخدامات العلاجية للنار فى مجتمع بدو البشارية، وذلـك من خلال ما يعرف بالكى بالنار، الذى يستخدم لعـلاج ألـم الأسنان والصداع، حيث يقوم المطبـب الشـعبى بتسـخين "المرود" أو الماسك على الفحم حتى يحمـر لونـه، ويقـوم بوضعه على منطقة فى العنق. أما فى حالة علاج الأسـنان فيكوى خلف الفكين الأيمن والأيسر.

أما فى حالة لدغ الثعبان والعقرب، يقوم المطبب بعمليـة الفصد، حيث يربط قبل مكان اللدغ وبعده بحبل مـن الليـف حتى يتجمع السم أو الدم الفاسد، ثم يقوم بعمل فصد "فتحـة" بالموس ويسحب السم بالفم "بالمص"، ثم بعـد ذلـك يكـوى الجرح بالنار لكى يبطل آثار السم ولتعقيم الجرح حتى يلتئم.

وبالنسبة لأمراض الطفولة فيشيع استخدام الكى بالنار عند علاج القئ المستمر للطفل، وكذلك فى حالة تـأخر ظهـور الأسنان، إذ يقوم المطبب بالكى فى منطقـة صـدر الطفـل المريض، وبعدها يشفى. كذلك يستخدم الكى بعـد خـروج الرصاصة من جسم المصاب، ولعلاج عرق النسا، بأن يقوم المطبب بفتح فتحة فى كعب القدم لإخراج العرق، ثم يقـوم بكيه حتى يموت هذا العصب فتتوقف الآلام ويشفى المريض.

رابعاً: أنماط المعالجين تبعاً للمرض

كشفت المادة الإثنوجرافية لبدو البشارية عـن العلاقـة

التكاملية بين كل من النسق الطبى الشعبى والنسق الاعتقادى البدوى، الذى سـخر مقومـات البيئـة الطبيعيـة البدويـة الصحراوية – بجميع عناصرها النباتية والحيوانية والطبيعية – لاستنباط العديد من الوصفات العلاجية والوقائية. منها ما يقوم أعضاء الأسرة البدوية البشـارية بإعـداده وتجهيـزه بأنفسهم، يتزودون فى ذلك بالتراث المعرفى وخبرات كبـار السن فى الإعداد والتجهيز والاستخدام. وقـد تـدعم هـذه المعرفة من خلال أساليب التنشئة الاجتماعية، التى سـمحت للأجيال الصغيرة (الأبناء) بتقليد ومزاملة الأجيـال الكبيـرة أثناء إعداد هذه الوصفات، وكيفية اسـتخداماتها العلاجيـة والوقائية. وعرف هذا النمط من العلاج بـالعلاج المنزلـى، نظراً لأن القائمين بالعلاج هم أعضاء الأسرة.

ولكن الدراسة الميدانية كشفت عن وجود أمراض أخرى وأعراض نفسية وعصـبية، وأمـراض خاصـة بالنسـاء والأطفال، لا تستطيع خبرات أعضاء الأسرة العلاجيـة أن تتصدى لها، (مثل المـس، الجنـون، المقـرون، اللبسـة، المشاهرة، الربط، تأخر المشى والكلام عند الأطفال، ديـدان البطن والأذن، كسور العظام) فظهـر لنـا مجموعـة مـن المعالجين المتخصصين الذين يعتمدون فى ممارستهم علـى استخدام القرآن، أو الممارسات السحرية، أو القيام بعمليـات علاجية، مستعينين فى ذلك ببعض الأدوات الطبية، كما يلى:

النوع الأول: شيخ القبيلة وكبار السن

هم الذين يقومون بقـراءة القـرآن والآيـات القرآنيـة العلاجية، اقتداء برسول الـله صلى الله عليه سـلم، سـواء كان القراءة على الماء ثم يطلب من المريض شربه أمامـه، أو عمل رقية وتحويطة، أو عمل الأحجبة(*) لكـى يلبسـها لتحميه وتحفظه من الأضرار. أو يوجـه المـريض وأهلـه لزيارة الأولياء الصالحين وينـذر لهـم نـذراً، والتبـرك بمتعلقاتهم الشخصية كنوع من العلاج. وعموما فـإن هـذا النوع من العلاج ما زال شائعاً بين بدو البشارية، ويعـرف (بعلاج المشايـخ)، وعادة ما يأخذ صـورا متعـددة طبقـا للأعراض وطبيعة المرض علـى النحو التالى:

(أ) العلاج بالمسبحة اليسـر: هى عبارة عن مسبحة كبيـرة تتكون من ١٠٥ حبة أو خرزة، يقوم شيخ القبيلة أو أحد كبار السن المعروف عنهم خبراتهم العلاجية، بتلاوة بعض الآيات القرآنية (آية الكرسى، الصمدية، الفلق، النـاس)، ثـم يقـوم بالتسبيح على المسبحة (١٠٠٠ لا إله إلا الله، ١٠٠٠ سبحان الله، ١٠٠٠ الحمد لله، ١٠٠٠ الله أكبر، ١٠٠٠ لا حول ولا قوة إلا بالله)، ثم يعطى حبة من هذه المسبحة كعلاج. لعلاج حالات حصر البول يقوم الشيخ بربطها فى خيط، ثم يطلـب من المريض ربطها حول وسطه لمدة يوم، بعدها يتم الشفاء بفك الحصر ونزول البول.

(*) الحجاب: تكتب بعض الآيات القرآنية فى ورقة بالحبر الأحمـر أو الأخضر، وتوضع فى كيس من الجلد حتى لا تتلف، وتوضع فى مكان بعيد عن الأعين تحت الملابـس أو بالجيـب، أو بالمحفظـة بالنسـبة للبالغين.

كذلك تستخدم المسبحة لعلاج عسر الولادة، بان تعلـق إحدى خرزات المسبحة حول رقبة السيدة أثناء الـولادة. ولا تقتصر وظيفة المسبحة على العلاج فقط، بل تسـتخدم فـى كثير من الأحيان للوقاية من الحسد والعين الشريرة. وعـادة ما يلبس الأطفال "المقيرنة" حبة من هذا الخرز طوال السـنة الأولى بعد ولادته كنوع من الحماية من القرين الذى يتسبب فى موته.

(ب) طاسة الخضة: هى عبارة عن إناء من المعدن (نحـاس أو فضة أو حديد) يأخذ الشكل الـدائرى (مثـل الطبـق أو الصحن)، منقوش جداره بـبعض الآيـات القرآنيـة (آيـة الكرسى، سورة الفلق، سورة الناس). ولقد اشتهر اسـتخدام هذه الطاسة بواسطة المشايخ وكبار السن لدى بدو البشـارية لعلاج الخضة (الخلعـة)، التى تحدث للبالغين والأطفـال، إذ يقوم الشيخ بجمع سبعة أنواع مـن الحبوب (عدس، فـول، ترمس، أرز، حلبة، ذرة، شعير)، ثم يقدم للمريـض منقوع السبع حبوب ليشربه، بعدها يتم الشفاء من الخضة.

أما بالنسبة لعلاج حالة الفزع من النوم عنـد الأطفـال، فتتكرر نفس الممارسـة السابقة، ثم يعمل حجاب تكتب فيـه بعض الآيات والسور القرآنية (آية الكرسـى، الإخـلاص، الفلق، الناس) يلبسه الطفل تحت ملابسه الخارجيـة. أمـا بالنسبة للبالغين، فبعد أن يشرب منقوع السبع حبوب يطلـب منه الشيخ لبـس خاتم مصنوع من النحـاس أو الفضـة أو الحديد، وزنه ثلاث جرامات بغية العـلاج والوقايـة، ذلـك

لاعتقادهم الشديد بقدرة المعدن على حماية وحراسة الإنسان من ضرر أعمال السحر والشيطان. ويؤكد ذلك قـول أحـد الإخباريين: (المعدن ده هو اللى بنعمل منه سلاحنا السـكين، والخنجر والسيف، يعنى هو اللى يحمى الزول منا، عشـان كده احنا بنحب نلبسه ونعتقد فيه أنه يحرسنا ويحمينـا مـن الشيطان اللى هو السبب فى الفزع "كابوس النوم").

(ج) التبرك بزيارة الأولياء ومتعلقاتهم الشخصـية: كشـفت الدراسة الميدانية عن قوة الاعتقـاد بالأوليـاء وكرامـاتهم العلاجية، ولقد أكدت ذلك أقوال غالبية الإخباريين من بـدو البشارية، بأن زيارة أولياء الله والتبرك بمتعلقاتهم الشخصية كالعمامة أو المسبحة أو جزء من قماش كسـوة الضـريح، يكون سبباً لشفاء كثير من الأمراض. ومن الأوليـاء الـذين يعتقد بكراماتهم العلاجية: الشيخ أبو الحسن الشاذلى بصحراء عيذاب، والحاج حسن الأسوانى بمدينـة أسـوان، والشـيخ أبواليزيد البسطامى بقرية الكوبانية.

ومن أقوال الإخباريين حول التبرك: "ده احنا بنعتقد أنـه لو المريض زار مشايخنا، ولبس عمامته أو مسك مسـبحته وتبرك بها ده وحده يشفيه. ولو زاره وندر عند زيارته نـدر ده وحده يشفيه. عشان كده إحنا دايما نحرص لما نزور أبـو الحسن الشاذلى فى مولده أو الحاج حسن الأسوانى أن نأخـذ حتة من كسوته ونربطها فى هدومنا التحتانية أو نحطها فـى الحفظة حتى لا يراها أحد، وده يحمى ويحفظ مـن العـين، ويبطل أى عمل معمول للواحد".

ولقد كشفت الدراسة الميدانية أن الاعتقاد فى الكرامـات العلاجية لا يقتصر على الأولياء، بل امتدت قـوة الاعتقـاد لتشمل أماكن معينة، يعتقدون أن زيارتها تقوم بنفس وظيفـة زيارة الأولياء فى شفاء مرضاهم، وتحقيق أمانيهم فى الحياة وحل مشاكلهم. ومن هذه الأماكن جبانة أسـوان، وقاضـى الشريعة، والسبعة وسبعين ولى بمدينة أسوان.

(د) جبانة أسوان ومقام السبعة وسبعين ولى: تقـع جبانـة أسوان فى مدينة أسوان فى الجزء الجنـوبى الشـرقى مـن كردون المدينة. وبعد الزحف العمرانى والزيادة السكانية لهذا المجتمع، أصبح موقع جبانة أسـوان[٢٢](*) وسـط المدينـة. وترجع شهرة هذه الجبانة دون غيرها من الجبانات، ما ورد عنها فى بعض الكتب التاريخية، أنها كانـت سـاحة للقتـال والاستشهاد أيام الفتح الإسلامي، وبالتحديد فى عهد عمرو بن العاص. وتحكى كتب التاريخ أنه حدثت واقعة حربية استشهد فيها من أولياء الله الصالحين ومن الصحابة القـادمين مـع عمرو بن العاص ما يزيد عن ثلاثمائة شهيد، ومن هنا جاءت شهرة هذا المكان. كما يوجد داخل الجبانة مقام يعرف بـ ـ السبعة وسبعين ولى، وهو عبارة عـن مقـام مـدفون بـه مجموعة من أولياء الله الصالحين الذين استشـهدوا، ويقـدر عددهم حسب رواية الإخباريين سبعة وسبعون، ممن شاركوا

(*) جبانة أسوان وما بها من أولياء من الأماكن التى تحتاج إلى دراسة متعمقة، وهى ضمن المنظومة التى عدتها وتعهدت بدراستها كاتبة هذه السطور لدراسة التراث الشعبى لمنطقة جنوب الوادى.

فى فتح البوابة الجنوبية لمصر فى عهد عمرو بن العـاص، ومن هذه الواقعة أطلق على هذا المقام اسم السبعة وسـبعين ولى.

ويصور المعتقد الشعبى بأن الزيارة والدعاء فى جبانـة أسوان بنية الشفاء أو قضاء الحاجة مجاب. وعادة مـا تـتم زيارة هذا المكان يوم الجمعة من الساعة السـابعة صـباحا وحتى موعد آذان العصر. ويراعى لقضاء الحاجة أن تكون الزيارة ثلاث مرات متتالية، وعادة ما تأخـذ النـذور لهـذا المكان أشكالاً متباينة، مثل: الحيوانـات المـاعز، الأغنـام، الطيور، حيث تذبح فى مقام السبعة وسبعين ولـى وتـوزع على المحيطين من الفقراء. كما قد تأخذ النذور شكل النقـود توضع فى صندوق النذور فى المقام أو تعطى للنقيب القـائم على خدمة المقام. ولقد اعتاد بدو البشارية الذهاب إلى هـذه الأماكن لاعتقادهم أنها تشفى أمراض العقم، المسة، المعتوه، تأخر زواج الإناث بسبب العمولات (أى الأعمال السـحرية الضارة).

وحول جبانة أسوان ومقام السبعة وسبعين ولـى يتـردد العديد من الحكايات وخاصة عن الكرامات العلاجية، نـذكر منها على سبيل المثال لا الحصر: يروى أحد الإخباريين من بدو البشارية: "أن امرأة بشارية لم تنجب بعد زواجها لمـدة خمس سنوات، نصحها شيخ القبيلة بزيارة جبانة أسوان ومقام السبعة وسبعين ولى، وبعدها حملت وأنجبت أكثر من عيـل ببركة أولياء الله الصالحين فى الجبانة والسبعة وسبعين ولى.

وفى أول زيارة نذرت دبيحة لو تحقق المطلوب وفعلا كـل سنة تروح تزور هى والعيال وتدبح دبيحة".

النوع الثانى: المطببون الشعبيون والسحرة المطببين

المطببون: هم الذين يقومون بإعـداد وتجهيـز الوصـفات العلاجية، مستخدمين عناصر البيئة، من نباتـات وأعشـاب ودهون حيوانية وزيوت الطيور، والعناصر البيئة المنزليـة، بغية العلاج والوقاية.

أما السحرة: هم الذين يقومون باستخدام السحر مثـل: فـتح الكتاب – كشف الأثر، ضرب الرمـل، أو عمـل الأعمـال للأضرار بالآخرين مثل ربط العريس ليلة الدخلـة، تسـخير الجن لأذى الناس.. إلخ. ولقد كشفت الدراسة اسـتمرار دور المطببين الشعبيين فى عمل وتجهيز الوصفات العلاجيـة أو العلاج بالفصد والكى بالنار، أما عن دور السحر فهـو أقـل انتشاراً باستثناء بعض الأمراض مثـل (المـس، الجنـون، الربط.. إلخ) وعموما سبق وأن أشرنا فى السطور السـابقة إلى دور المطببين الشعبيين فى العلاج، وسوف نقصر حديثنا هنا عن العلاج بالسحر الذى أخذ صوراً متعددة نذكر منها:

(أ) ضرب الرمل: من أسـاليب العـلاج بالسـحر الشـائعة والمشهور بها بدو البشارية، وهى أن يقوم المريض بوضـع كفى يديه على كوم من الرمـل، وبمجـرد أن تطبـع كـف المريض على الرمل يقوم الساحر بوضع سبع زلطات فـى كفه، ثم يغلق يداه عليها، بعدها يعلن الساحر عن المتسبب فى

الحسد أو العين الشريرة، ثم يقوم بصنع عروسة من الـورق يقوم بوخزها بإبرة مع ذكر أسماء الأشـخاص المحتمـل أن يكونوا قد تسببوا فى الحسد (يقول: من عين فلان أو فلانة)، حتى يتم تخريم جسم العروسة كلها، ثم يشعل فيها النار حتى تحترق، ويأخذ الساحر بقايا الحريق (الرماد) ليرسم به صليباً على وجه المريض، وهم يعتقدون أن هذه الطقوس كفيلة بأن تزيل السبب ويتم الشفاء.

(ب) فتح المندل: يقصد به الكشف عـن العمـل (السـحر) المعمول لجلب الأضـرار للآخرين. من ذلك مـثلاً تـأخير زواج بنت فلان، أو إلحاق الضرر بفلانة أو بأبنائهـا لأنهـا كثيرة إنجاب الذكور، أو ربط العريس ليلة الدخلـة وإفشـال زواجه، أو توقف الإنجاب، أو الإصابة بأمراض مستعصـية على العلاج مثل موت الأطفال فى يـوم مـيلادهم، وعـدم الإنجاب، والإصابة بأمراض يفقد بها كل أمواله حتى يفلس.

ولقد لاحظت الباحثة أن أهالى مدينة أسـوان ومدينـة دراو، أكثر المترددين علـى السـحرة البشـارية لإبطـال الأعمال. ومن الممارسات السحرية الشائعة فيما بـين بـدو البشارية، لعلاج أمراض الطفولة مثل الحسد، النكـد (كثـرة البكاء)، عدم القدرة على المشى. يقول أحد إخباريى المجتمع: "نروح للساحر وهو يجيب صحن أو صينية نحاس، ويحـط جواها شوية مية ويغطيها بصحن آخر، ثم يقرأ عليها بكلمات غير مفهومة، بعدها يشيل الصحن تلاقى العمل ظهـر فـى الصينية النحاس أو الصحن الآخر قطعـة حجـر أو قطعـة

قماش أو ورقة مكتوب عليها، يأخذ الساحر العمل بعـد مـا يوريه لنا ويعمل على إبطاله بفكه ويرميه فى مية جارية".

ويؤكد معظم إخبـارى المجتمـع أن الأمـراض مثـل الجنون، والمسة، والمقيرنة، أمراض ترجع فى الأصل إلـى أعمال سحرية بسبب العداوة والبغضاء بين الأهل والأقارب، ولا يمكن الشفاء منها إلا بالذهاب إلى الساحر لكـى يفـتح المندل ويعرف العمل ثم يقوم بإبطاله.

فمن الممارسات العلاجية الشائعة لعلاج الست المقيرنة، يلجأ المعتقد الشعبى البدوى إلى قتل الطيور أو الحيوانـات كبديل عن موت الطفل فى الوقت كإرضاء للقرينة.

ومن الشائع لدى بدو البشارية أن يطلب الساحر من الأم المقيرنة أن تلبس فردة حجل (خلخال)، يقوم الحداد بصـنعه لها، ويلبس طفلها الفردة الثانية، أو يقـوم السـاحر بعمـل حجاب مكتوب بدم الطير المذبوح ويضع به عـود كبريـت وقطعة من جلد الغزال وعقرب ميت، ويوضع الجميع بكيس من القماش يغلق بالخيط والإبرة، ثم يوضـع فـى ملابـس الطفل أو يوضع تحت رأس الطفل وهو نائم، أو قـد يقـوم الساحر بعمل عقاد(*).

أما أساليب العلاج الخاصة بصراخ الطفـل المسـتمر، فعادة ما يفسرها المعتقد الشعبى البدوى، بأنه مس من الجن،

(*) يحضر الساحر خيطاً على قدر طوله، ويقوم بعمل عقد صـغيرة سبع مرات، ثم يعلقه فى رقبة الطفل أو حول معصمه.

أو بسبب الحسد، وعندما يذهب ذوو الطفل إلى الساحر يقوم بإجراء ممارسة خاصة بأن يحضر جرة (بلاص) ماء بارد، يحمل الطفل ويخطى به على الجرة سبع مرت، ثـم يخـرم أذنيه ويعلق به حلق (قرط) من ذهب.

أما فى حالة تأخر الطفل فى المشى، أو عدم قدرته على المشى، فيقوم الساحر بربط خوصة من جريد النخيـل فـى يديه ورجليه، ويقوم بتشريطها بالموس، ويطلب من الأم أن تحمل الطفل إلى الجامع، وتضع فى حجره بعض الحلـوى ونقود معدنية، وتطلب من أول من يخرج من المصلين بحل يديه ورجليه، ويأخذ ما فى حجره، بعدها يشفى الطفل ويقدر على المشى. ويفسر المعتقد الشعبى البدوى هذه الممارسـة العلاجية، بأن قرينه كان يقيده ويمنعه مـن الحركة والمشى، وأنه عندما تم تفصيد رجل الطفل (القدم) وخروج الدم، خاف القرين، ثم قدم له الحلوى والنقود لكى يلهو بها وينصـرف عن الطفل.

أما عن الطقوس العلاجية لعقم السـيدات، يـذكر أحـد الإخباريين: "يقوم الساحر بوخز رجل السيدة العـاقر بـإبرة سبع وخذات، ثم يطلب منها أن تسير وسط القبور فى جبانة أسوان، وتكرر هذه العملية سبع مرات، ويطلـب منهـا أن تذبح طيراً أو أرنباً وتتظفر (تستحم بدمـه)، وتظـل بهـذا الطلاء لمدة يوم، ثم يطلب منها الدخول علـى ميـت قبـل غسله، ثم تستحم بماء غسل الميـت. أو تخطـى علـى دم الأضحية (ماعز أو شاه)، تذهب بعد ذلك إلى سـيدة نفسـاء

لتحاب على رأسها من لبن ثديها. ويفسر المعتقـد الشـعبى البدوى هذه الممارسة العلاجية على أنها ممارسة تساعد على تليين ظهر وعروق المرأة العاقر، وهذا يـؤدى إلـى فـك المشاهرة ويحدث الحمل.

كما يقوم الساحر بالاستعانة بالحجر الجبلى – بعد طحنه وغربلته وقراءة بعض التعاويذ السحرية عليه – بنقعه فـى الماء البارد لمدة من ٣-٥ أيام، يقدم بعدها للسـيدة العـاقر لتستحم به. ويفسر المعتقد الشعبى البدوى هذه الممارسـة أن الحجر الجبلى هو المكان الذى تعيش فيه الشياطين والأرواح الشريرة التى تسبب عادة العقم عند السيدات.

النوع الثالث: المتخصصون بإجراء العمليات الجراحية

لقد كشفت الدراسة الميدانية عن وجود بعض الأشخاص الذين تخصصوا فـى علاج بعـض الأمـراض بمجتمـع الدراسة، ومن اللافت للانتباه هو أنهم ينهجون نفس خطوات العلاج بالطب الرسمى، حيث يبدأون بتشخيص الأعـراض المرضية، ثم تحديد المعالج المتخصص، بالإضافة إلـى أن هناك بعض الممارسات التى تأخذ صورة عمليات علاجيـة يستعان فيها بأدوات شعبيـة ذات تصنيع محلى، لإتمام هذه العمليـات، بغيـة تحقيـق الشـفاء لمرضـاهم. وهـؤلاء المتخصصون القائمون بالعلاج هم:

(أ) المتخصصون فى تشخيص المرض وتحديـد المعـالج:

يعتمد مجتمع الدراسة على الدور الهام الذى يقوم به بعـض

كبار السن من ذوى الخبرة فى مجال التطبيب الشـعبى فـى تحديد نوع المرض، بمجرد النظر إلى الشخص المـريض، ومعرفة الأعراض المرضية التى تبدو عليه، والتـى يحـس بها، ويعلن عنها بنفسه. ويعرف هؤلاء بـ (أهل الخبـرة)، حيث أنهم يقومون بتحديد العلاج المناسب من خلال توجيـه انتباه أهل المريض والمريض نفسه أن يذهب إلـى المعـالج المتخصص فى مرضه.

فعلى سبيل المثال، يروى أحد الإخباريين أن هناك شاباً أصيب بالهياج والصراخ، ثم أغمى عليه، ولما عرض علـى أهل الخبرة من كبار السن، أجمعوا فى ضوء الأعـراض أن هذا الشخص مصاب بالصرع، وذلك بسبب دخـول الأرواح الشريرة فى جسمه، لأنه سار على قبر ميت وهو نجـس أو جلس فى أماكن نجسة (مثل محـل الأدب أى دورة الميـاه). وبعد الاستشارة أجمع أهل الخبرة ضرورة أن يـذهب هـذا الشاب إلى رجال الدين فى القبيلة الـذين يتولـون العـلاج بالقرآن، لطرد هذه الأرواح من جسمه ونقلها إلى جسم آخر. ويؤكد الإخبارى أن عملية النقل لا تتم بسهولة إلا بعد موافقة الشخص الذى ستنقل إليـه، ومع ذلك لا تمثل هذه الممارسة علاجاً نهائياً، ولكنها علاج مؤقـت، أى أن هـذا الشـخص معرض لعودة هذا المرض إليه مرة ثانية. وفى هذه الحالـة يقوم رجل الدين بعمل حجاب لكى يحميه من دخول الأرواح إلى جسمه مرة ثانية.

(ب) المتخصصون فى إجراء العمليات العلاجية الجراحيـة:

كشفت الدراسة عن أن المتخصصين بالعلاج بمجتمع الدراسة من أشهرهم المزين (الحلاق) والمجبراتى. ومـن العمليـات الشائعة فى العلاج الشعبى البدوى، ويقوم بها المزين، الكـى بالنار والتفصيد والحجامة وخلع الأسنان، أما علاج الكسـور فيقوم بها المجبراتى. وفيما يلى وصـف لأشـهر العمليـات العلاجية فى نسق الطب الشعبى البدوى لبدو الشارية.

الكى بالنار: لقد سبق وأن أشرنا فى موضع سابق دور أهـل الخبرة المتخصصين فى تشخيص المرض، وبالتالى هم الذين يحددون نمط العلاج. وعموماً هناك شبه إجماع بأن أعضاء مجتمع البدو لا يلجأون إلى عملية الكى بالنار إلا إذا أعيـتهم الحيلة بالعلاج بالوصفات الشعبية، أو بالممارسات الدينيـة. وفى ضوء ذلك لا يكون هناك مفر مـن العـلاج بـإجراء عمليات علاجية. ومن أشهر العمليات العلاجية التى يعرفهـا نسق الطب الشعبى البدوى (الكى بالنار)، والتى يقـوم بهـا المزين، وهذه العملية ليست قاصرة على علاج مرض بعينه، بل هى مشـهورة لعـلاج جميـع الأمـراض والأعـراض المرضية، مثل وجع الأسنان، وهنا يكون الكى فـى منطقـة العنق عند البالغين. أما فى حالة أمراض الأطفال مثل تـأخر ظهور الأسنان للأطفال المصابين بتقيئ لبن الرضاعة، فـإن جميع هذه الحالات يتم علاجها بعملية كى عظمة الريشة التى تقع بين البطن والصدر. وأما فى حالـة الصداع المسـتمر فيكون الكى فى الصدغين بجوار العين اليمنى أو اليسـرى، بـأن يقوم المطبب الشعبى بالتحسس بأصابع يده من الرأس

هابطاً نحـو الصدغين حتى يستطيع أن يحدد العرق المسبب لألم الصداع، وبعد تحديده يقوم بوضع الماسك المحمى عليه لكيه، وبذلك يتوقف الألم ويشفى المريض من ألـم الصـداع المستمر. ويروى لنا المطبب الشعبى الذى يقوم بعملية الكى بالنار لعلاج مرض عرق النسا، بأن يبدأ المزين بأن يمسـك بالقدم ويتحسـس بأصابعه سير العصب من الركبـة حتـى يصل إلى أسفل الساق حتى منطقة الأصابع والقدم ثم الكعب، وعند منطقة الكعب يقوم المعالج بعمل فصد بجوار الكعـب (بعمل فتحة صغيرة)، باستخدام موس الحلاقة بعد تطهيـره بالنـار، ثم يمسك بالعرق ويظل يسحبه للخارج حتى يكويـه باستخدام المرود الساخن (قضيب من الحديد) حتـى يميـت العصب المتسبب فى الألم، ثم يكوى الجرح حتى يلتئم ويـتم الشفاء.

التفصيد: من العمليات العلاجية التى تشيع فيما بين أعضـاء المجتمع البدوى لعلاج عديد من الأعراض المرضية، نـذكر منها: استخراج السموم عند لدغ الثعبان والعقرب، والصداع. والتفصيد يكون فى وسط الرأس أو بجانب العينين.

ويؤكد المعتقد الشعبى أن السبب وراء هذه الأعـراض المرضية هو وجود دم فاسد بالجسم وهو الذى يسـبب هـذه الأعراض، وبخروج هذا الدم يتم الشفاء وإنقاذ حياة المريض من الموت. لذا يلجأ المزين عندما يعالج لـدغ العقـرب أو الثعبان أن يحدد مكان اللادغة ثم يربط أعلاها بربـاط قـوى حتى يتحكم فى عدم سريان الدم إلى القلب، ثم يقوم بتطهيـر

موس حلاقة بمادة مطهرة (كيروسين) أو بالنار، ويفتح بـه مكان اللدغ ويمتص الدم من هذه الفتحة بفمه ويبصقه علـى الأرض، وتستمر هذه العملية حتى يتأكد من سحب السم من الجسم. وذلك بتغيير لون الدم من اللون الغامق إلـى اللـون الأحمر الفاتح، ثم يقوم بكى الجرح حتى لا يتلوث ويسـارع فى الالتئام، ويقدم للمريض سمن دافئ (أو زيـت) ليشـربه ويلف جسمه ويترك لينام.

الحجامة: تشتهر هذه العملية فى علاج نزلات البرد وضغط الدم المرتفع والنزيف. تبدأ هذه العملية بأن يقـوم المطبـب بإحضار كوب من الزجاج، ثم يشعل النار فى قطعة من قطن أو قماش يضعها فى الكوب ويقلبه على ظهر المريض فـى مكان يحدده هو فى ضوء خبرته، فيحتـرق الهـواء داخـل الكوب فيلتصق الكوب بالجسم حيث يرتفـع الجلـد ويتـرك الكوب على الظهر حتى يتحـرك وحده (يفك)، وتكرر هـذه العملية من ٣-٤ مرات بأماكن متعددة من الظهر. بعد ذلـك يحضر موس حلاقة ويقوم بتطهيره ويفصد الجلد فى مكـان الكوب حتى يخرج الدم الذى يعتقد أنه دم فاسـد، وبخـروج الدم يزول الألم الذى يشكو منه المريض.

تجبير كسور العظام: يعرف مجتمع البحث معالجاً متخصصاً لعلاج **الرضوض والكسور** التى تحدث عادة بسبب السـقوط من على ظهور الدواب (الجمال، الحمير)، أو حمل أشـياء ثقيلة تتسبب فى تمزق أنسجة الظهر. وتعتمد عملية معالجـة الرضوض والكسور والمزق على قيام المجبراتـى بتـدليك

العضو المصاب بالماء الدافئ والملح، ثم شد العضو حتـى يعود إلى وضعه الطبيعى، وفى حالة ما إذا كان هنـاك **ورم أو جرح مع المزق أو الرضوض،** فعادة ما يتم علاج الجرح بغسله بالماء والملح لتطهيره ولإيقاف النزيـف، ثـم يقـوم بتدليك العضو بالزيت الدافئ حتى يعود إلى وضعه الطبيعى. كما يقوم بعمل وصفة علاجية **لامتصاص الورم والألم** مـن عجينة البامية الجافة وذلك بعجن البامية الجافة بالماء بعـد طحنها وغربلتها، ويقوم بفردها على العضو المصاب، وبعد جفاف العجينة يقوم بربط العضو المصاب بشـاش وقطـن ويترك لمدة من٣-٧ أيام حتى تفك لبخة الباميـة بمفردهـا، وذلك مؤشر بزوال الورم والألم.

أما فى حالة الكسور: فيتم العلاج عن طريـق عمليـة التجبير بإحضار شرائح من جريد النخيل اللـين، ثـم يقـوم المجبر بتدليك العضو المكسور بالماء الدافئ والملح، ثم شـد العضو المكسور بقوة حتى يتم إرجاعه إلى مكانه الطبيعـى، ثم يقوم بوضع الجبيرة وهي عبارة عن قطعتين من شـرائح جريد النخيل إحداهـا من أسفل الكسر والأخرى من فوقـه، ويضع لبخة البيض النيئ والزيت التى تساعد الجبيرة علـى تثبيت العضو المكسور فى مكانه، ويـربط فـوق الجبيـرة بالشاش، ويترك لمدة من ٣٠-٤٥ يوماً. بعـد ذلـك يقـوم المجبر بفك الرباط والجبيرة ويضـغط ويتحسـس العضـو المكسور، فإذا تألم المريض فذلك يعنى أن الكسر لـم يلتـئم بعد، حيث يعاود تكرار الجبيرة مرة ثانية، أما إذا لـم يتـألم

فيعنى ذلك التئام الكسر وتمام الشفاء.

خامساً: نسق الطب الشعبي البـدوي بـين الثبـات والتغيير

في ضوء ما كشفت عنه الدراسة وتأسيساً على عرضنا السابق للمادة الإثنوجرافية للطـب الشـعبي البـدوى لبـدو البشارية، تشير النتائج إلى استمرارية غالبيـة الممارسـات العلاجية الشعبية سواء منها مـا يـتم إعـداده واسـتخدامه كوصفات علاجية أو وقائية داخل المنزل، أو ما يتم إعـداده واستخدامه كوصفات علاجية خارج المنـزل مـن خـلال المطببين الشعبيين، أو السحرة، أو كبار السـن، أو شـيخ القبيلة.

وهناك عدد من الأسـباب والعوامـل وراء اسـتمرار الممارسات العلاجية الشعبية لدى بدو البشـارية وتمسـكهم بنسقهم الطبي الشعبي وهى:

١- الخبرات الشخصية: تعتبر في مقدمـة العوامـل التـي ساهمت في استمرارية تمسـك بـدو البشـارية باسـتخدام الممارسات العلاجية الشعبية، وذلـك للـدور الـذي تلعبـه الخبرات الشخصية لجيل الأجداد في دعم هـذه الممارسـات على المستويين كليهما، ما يتم إعـداده وممارسـته داخـل المنزل، وما يتم إعـداده واسـتخدامه بواسـطة المطببـين الشعبيين والسحرة وكبـار السـن وشـيخ القبيلـة. وهـذه

الممارسات تؤكد فاعليتها وقدرتها على تحقيق الغرض الذي أعدت من أجله، ألا وهو مقاومة الأعراض والألم وتحقيـق الشفاء من المرض.

٢- خصوبة البيئة البدوية الصحراوية بالمقومات البيئيـة الطبيعية: تتمتع البيئة الصحراوية بخصوصية توفر العناصر الطبيعية التي تأخذ شكل النباتات والأعشاب تارة، أو عناصر بيئية طبيعية، (شمس، هواء، رمال) تارة أخـرى، أو بيئـة لكثير من الحيوانات والطيور (النعام، طائر البلسان، الجمال، المواشي، الأغنام) تارة ثالثة.

٣- تأدية هذا النسق لوظيفة مادية اقتصادية: لقـد سـاهم توفر عناصر ومقومات البيئة الطبيعية لبدو البشارية طـوال العام، في ظهور فئة المطببين الشعبيين والسحرة المحترفين، الذين اتخذوا من تجميع هذه المقومات والعناصر الطبيعيـة، ثم تجهيزها في صورة وصفات وقائيـة وعلاجيـة، سـواء بصورتها الخام، أو إضافة عناصر جديدة إليهـا أو بتغييـر شكلها بالطحن أو الغلي أو النقع في المـاء أو فـي اللـبن، اتخذوا من ذلك مهنة يعملون بها لتحقيـق عائـد مـادي أو اقتصادي. حيث كشفت الدراسة الميدانية أن فئـة المطبـين الشعبيين والسحرة المحترفين ليست قاصرة علـى تقـديمها للمرضى من بدو البشارية، بل يستعين بها أيضاً أهالي مدن أسوان ودراو وكوم أمبو، نظراً لشهرة هؤلاء المطببين عبر حدود محافظة أسوان.

٤- العزلة الثقافية والمكانية لهذا المجتمـع: لقـد أكـدت الدراسة على عامل العزلة المكانية، حيث يسكن غالبية بـدو البشارية في الصحراء الشرقية المحازية لمحافظـة أسـوان، باستثناء بعض البيوت التي تقترب من حدود مدينـة أسـوان ومدينة دراو. وقد ساهم ذلك في استمرارية الثقافـة البدويـة بصورتها الخالصة، حتى مع البيوت التي تقترب من حـدود مدينة أسوان ومدينة دراو (من حيـث اسـتمرارية النشـاط الاقتصادى الرعوي وتجارة الأعشـاب وسـكني الخيـام أو المنازل شبه الريفية وعادات الطعام). كما ساهم ذلك في عدم الاستفادة بخدمات النسق الطبي الرسـمي بسـبب صـعوبة المواصلات وطول الوقـت المسـتغرق للوصـول للخدمـة الرسمية، علاوة على قصور تلك الخدمـة لتقـديم العـلاج لأمراض البيئة لبدو البشارية، كأمراض الروماتيزم، والمعدة، والكلى، ولدغات الزواحف (العقرب والثعابين)، والأمـراض الوراثية الناتجة عن الزواج القرابي. ومن ثم يتزايد التمسـك والاعتماد على – البدائل – العلاج الشعبي الميسور، سواء ما يمارس داخل المنزل، أو ما يمارسه المطببـون الشـعبيون والسحرة المحترفون والمشايخ.

كما كشفت الدراسة – وأكده أقوال الإخبـاريين – بـأن هناك بعض الأمراض كالروماتيزم وآلام الظهـر، وبعـض الأعراض النفسية والعقلية (لمسة، المقيرنة)، والعقم، وعجز الطب الرسمي عن إحراز تقدم ملحوظ فيها خصوصاً بالنسبة للحالات المرضية لبعض البيوت التي تسكن بـالقرب مـن

مدينة أسوان، ومدن دراو وكوم أمبو، مما دعـم الوظـائف السيكولوجية والثقافية بالتمسك بالطب الشعبي البدوي.

ونخلص مما سبق إلى تأكيد الاستمرارية والثبات النسبي لوظيفة النسق الطبي الشعبي البدوي لمواجهة أمراض البيئـة وغيرها لبدو البشارية، إلا أن هناك بعض المؤشرات التـى تشير إلى ظهور ميل نسبي للتغيير، بمعنى تفضيل الاستعانة بالطب الرسمي فـي بعـض الحـالات، وانحسـار بعـض الممارسات الشعبية العلاجية لدى بعض البيـوت مـن بـدو البشارية. ويرجع ذلك إلى توفر مجموعة من العوامـل أدت إلى حدوث تغيير في النسق العام للمجتمع البدوي، ثم انسحب هذا التغيير على بعض الأنساق الفرعية مثل نسـق الطـب الشعبي البـدوي، وهذه العوامل هى:

التغيرات الاقتصادية والاجتماعية في منطقة أسوان

١- تأتي في مقدمة هذه العوامل التي تعرضت لهـا منطقـة أسوان في فترة الستينيات من القـرن الماضـي، التغيـرات الاقتصادية والاجتماعية نتيجة ظهور عدد مـن **المشـاريع الصناعية** مثل مشروع السد العالي ومشروع مصـنع كيمـا للسماد ومناجم الحديد، **والنشاط السياحي** المتزايد .. كل ذلك زاد من فرصة تأثر جماعات بدو البشارية من حيـث أثـر الامتداد العمراني لمدينة أسوان بالتوسع شرقاً علـى أمـاكن تجمع بدو البشارية، لاستيعاب الأعداد الوافدة من محافظـات الجمهورية للعمل في هذه المشاريع، مما أدى إلى انتقال تلك

القبائل إلى خارج حدود المدينة داخل الصحراء.

٢- كما لوحظ أن النشاط الرعوي والتجاري لم يعـودا مـن الحرف الأساسية، بل ظهرت أنشطه أخرى مثـل **النشـاط الزراعي**، فأصبحت الزراعة تحتل مكانها فيما بين الأنشـطة الاقتصادية الصحراوية نتيجة لاتجاه بعـض بيوتـات هـذه القبائل إلى الخروج نحو وادي النيل، واستقرارهم بالقرب من القرى والاشتغال بالزراعة كما هو الحال في قريتي المحرقة والسيالة.

٣- **زيادة الاتجاه نحو تعليم الأبناء:** ولقد ترتب على تغيـر النشاط الاقتصادي، إقبال بعض من بيـوت بـدو البشـارية للانتقال والإقامة بالقرب من حدود مدن كـوم أمبـو ودراو، وانعكس ذلك الاحتكاك على الاتجاه نحو تعليم الأبناء الذكور حتى مستوى التعليم الفني، بغية الحصول على شهادة تؤهـل للعمل في وظيفة حكومية يغلب عليها طابع الاستقرار. ومـع أواخر السبعينيات من القرن الماضي قوي الاتجاه بين بيوت البشارية نحو تعليم الإناث أيضاً حتى مرحلة التعليم الإعدادي والثانوي الفني.

٤- توفير خدمة الكهرباء بالريف وانتشار وسائل الإعـلام: لقد حظي الريف في منطقة أسوان في الفتـرة مـن أواخـر الستينيات حتى السبعينيات بتوفير خدمة الكهرباء إلى معظـم المنـازل بـاختلاف مسـتوياتها وشـرائحها الاجتماعيـة والاقتصادية، مما شجع الغالبية من بيوت البدو المقيمين على

حدود القرى من الاستفادة من الكهرباء، والتي ترتب عليهـا انتشار وسائل الإعلام المختلفة (راديو – تليفزيـون)، وقـد مارست هذه الوسائل دوراً هاماً في الانتفاع بنسـق الطـب الرسمي، من خلال ما يبثه مـن بـرامج المـرأة، الطفـل، الصحة، الإعلانات، حملات التطعيم.

٥- توفير خدمة المؤسسات العلاجية بالريف: في السنوات الأخيرة من عقد التسعينيات وفـرت الدولـة العديـد مـن المؤسسـات العلاجيـة الحكوميـة كالمستشـفيات العامـة، والمستوصفات العلاجية المتعـددة، إلـى جانـب العيـادات الخاصة، علاوة على افتتاح عدد ليس بالقليل من الصيدليات في القرى. كل ذلك ساهم في الاتجـاه نحو إعادة النظر في الممارسات الشعبية العلاجية التي تؤدي بواسـطة المطببـين الشعبيين (القابلة)، والاستعاضة عنها بالطبيـب والحكيمـة، خصوصاً في حالات الولادة، واسـتخدام الأمصـال ضـد لدغـات الثعبان والعقرب بدلاً من الفصد والكي خصوصـاً لفئة الأطفال.

نتائج الدراسة

تأسيساً على العرض السابق، فقد خلصنا إلى مجموعـة من النتائج نعرض لها على النحو التالى:

١- هناك علاقة وثيقة بين نسق الطـب الشـعبي البـدوي للبشاريين (قبيلة العلياب)، وبين سمات وخصـائص البيئـة الطبيعية البدوية من جهة، والنشاط الاقتصادي الصـحراوي

من جهة أخرى. وتتجسد هذه العلاقة في ثلاثة محاور هى:

أ- نوع المرض: حيث جاءت أغلب الممارسـات العلاجيـة حول الأمراض والأعراض ذات صـلة بخصـائص البيئـة الطبيعية البدوية الصحراوية، وطبيعة النشـاط الاقتصـادي الذي يمارسونه، فلا تزال أكثر أمراض البيئة شـيوعاً بـين البدو هى الآلام الروماتيزمية (ألم المفاصل، الظهر)، عـرق النسا، الأمـراض الصـدرية، أمـراض الجهـاز التنفسـي كالحساسية والكحة، وأمراض وألم الكلي والمعدة، وحـالات لدغ الحشرات الصحراوية السامة.

ب- نوعية العـلاج: نعني العناصر التى تدخل في إعـداد الوصفات العلاجية والوقائية، فقد كشفت المادة الإثنوجرافيـة التى جمعت من بدو البشارية عـن أن غالبيـة الممارسـات الوقائية والعلاجية للبدو تتعمد توظيف واستغلال ما هو متاح في البيئة البدوية الصحراوية، وما حباها الله به من مقومات وعناصر، مثل النباتات والأعشاب الطبية من جهة، ومقومات بيئية بعضها طبيعي والآخر حيواني وغذائي لمواجهة الألـم والأعراض المرضية من جهة أخرى. وبنـاء علـى ذلـك تعددت صور الوصفات العلاجية طبقاً للعناصر الداخلة فـي إعدادها وتجهيزها. فهناك وصفات تعتمد فقط على الأعشاب البرية، وأخرى عناصر نباتية، أو الجمع بينهما، وثالثة تعتمد على عناصر حيوانية، ورابعة تعتمد على عناصـر البيئـة الطبيعية، وخامسة على العناصر الغذائية.

ج- التكامل بين أساليب التنشئة والخبرات الشخصية لجيل الأجداد: لقد أكدت الشواهد الميدانية بما لا يدع مجالاً للشك أن هناك نوعاً من التكامل بين أساليب التنشئة في المجتمع البدوي من جهة، وبين الخبرات الشخصية لجيل الأجداد، وذلك من أجل الحفاظ على النسق الثقافي العام والهوية البدوية، واستمرارية الاعتماد على نسق الطب الشعب البدوي، ويتجسد ذلك في:

- ما قامت به الخبرات الشخصية لجيل الأجداد من التوصل إلى بدائل بيئية لإشباع حاجة من حاجاتهم الأساسية، وهي حاجة التداوي ومواجهة الألم والمرض بغية الشفاء. فجاءت التجربة الإنسانية القائمة على مبدأ المحاولة والخطأ، للتعرف على خصائص ما لديهم من أعشاب ونباتات وعناصر بيئية أخرى. هذا على المستوى الأضيق، أما على المستوى الأكثر رحابة، فقد ساهمت أساليب التنشئة من خلال مبدأي التقليد والمحاكاة من جيل الأبناء لجيل الأجداد من جهة، واصطحاب البالغين (الأجداد) لأبنائهم في مجالسهم ونشاطهم الاقتصادي لتدريبهم على تحميل المشاق والألم، ونقص الطعام والشراب، إلى جانب تدريبهم على كيفية التكيف مع ما يطرأ على الفرد من ظروف سيئة، وما قد يترتب عليها من نتائج، وكيفية التصدي لها ومنها ما قد يعترض الإنسان من آلام وأعراض مرضية. كل ذلك دعم في نفوسهم التمسك بالنسق الطبي الشعبي البدوي وممارسته واتباع وصفاته العلاجية، باعتباره هو الشىء المتاح والمتيسر بين أيديهم.

- ساهم النسق الطبي الشعبي البدوي في تحقيق عدة وظائف لجماعات بدو البشارية، منها الوظيفة الاقتصادية، إلى جانب الوظيفة السيكولوجية والثقافيـة. فتؤكـد الدراسـة علـى استمرارية الاعتماد على نسق الطب الشـعبي حتـى وقـت إجراء الدراسة، ويتجسد ذلك بصور جلية فيما بـين فـروع قبيلة العلياب البشارية، الذين يميلـون إلـى نمـط البـداوة الخالصة.

٢- تكشف الدراسة عن وجود معالجين شعبيين متخصصين في نطاق ضيق من التخصصات:

عدد ٣ لتجبير الكسور.

عدد ٢ للعلاج بالسحر، التعاويذ وفك الأعمال وفتح الرمل.

عدد ٣ للعلاج الديني(المشايخ).

عدد ١ سيدة قابلة (دايـة) للتوليـد وختـان الإنـاث وفـك المشاهرة.

٣- اتجاه بعض البدو الذين يسكنون على حدود القرى إلـى المزاوجة بين أساليب الطب الرسمي فـي حالـة إصـابات الأطفال (لدغة العقـرب والثعبـان)، والتطعـيم الثلاثـي، واستمرارية الاعتماد على الوصفات والممارسـات الوقائيـة والعلاجية للطب الشعبي البدوي.

٤- تكشف الدراسة أن أسباب التغير فى الاستعانة بممارسات نسق الطب الشعبي البدوي إلى:

أ- تغيرات اقتصادية واجتماعية في البناء الاجتماعي لمنطقة أسوان في فترة الستينيات حتى وقت إجراء الدراسـة، ممـا انعكس على زيادة احتكاك بعض البيوت البدويـة بـالمجتمع الأكبر أسوان.

ب- إلى جانب ظهور أنشـطة اقتصـادية جديـدة بجانـب الأنشطة التقليدية، تعمل بها الأجيال الحديثة مثـل الزراعـة والوظائف الحكومية.

ج- الاتجاه نحو تعليم الأبناء من الجنسين فيما بين البيـوت المقيمة على حدود القرى والمدن.

ء- اتساع نطاق خدمة الكهربـاء فـي المنـاطق الريفيـة، وانسحاب ذلك على دخول الكهرباء إلى منازل البدو.

هـ- انتشار وسائل الإعلام في منازل الريفيين البدويين.

و- اتساع مظلة الخدمة الصحية الرسـمية، وتعـدد أشـكال المؤسسات العلاجية الرسمية في المناطق الريفية في محافظة أسوان، مما يسر لبدو البشارية الاستعانة والاستفادة بـالعلاج الطبي الرسمي.

توصيات الدراسة

لقد اتفقت نتائج دراستنا عن الطب الشعبي البدوي مـع نتائج واحدة من الدراسات في مجال علم الصيدليات وصناعة الدواء، أشارت إلى أنه ببزوغ عام ٢٠٠٥م سوف تتصـاعد أسعار الدواء بصورة شرسة، بحيث يصعب علـى الإنسـان

المريض توفير احتياجاته من الدواء[٢٣]. ولذا تهيب هذه الدراسة بالمختصين إلى ضرورة التكامل بين العلوم الاجتماعية والعلوم الطبية للتصدي لهذه الهجمة الشرسة التي يتعرض لها الإنسان بصفة عامة، ومجتمعات العالم الثالث بصفة خاصة، باعتبارها من الآثار السلبية لعصر العولمة وتطبيق اتفاقية الجات.

وبناء على ما تقدم توصي الباحثة إلى تكاتف جميع الباحثين في مجال علم الإيكولوجيا البشرية والأنثروبولوجيا والفولكلور بوضع منظومة متكاملة لدراسة المناطق الثقافية المختلفة في جمهورية مصر العربية، لحصر خصائص كل منطقة، و ما تمتلكه من مقومات طبيعية وأعشاب ونباتات يمكن توظيفها، بحيث تكفل السبل لمواجهة آثار العولمة في مجال تصنيع الدواء محلياً.

المراجع

١- **Julian H- Steward,** Theory of culture change, Chicago III University press, ٢٠٠٠, P.٣٠-٣٢

٢- **فوزي عبد الرحمن إسماعيل،** دراسة الممارسات الطبية الشـعبية في الريف المصري، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية البنات جامعة عين شمس، قسم الاجتماع، ١٩٨٤.

٣- **نجوى عبدالحميد،** نظام القرابة عند بعض الجماعـات السـكانية المتميزة في منطقة أسوان، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية البنات جامعة عين شمس، ١٩٨١.

٤- **شارلوت سيمور-سميث،** موسـوعة علـم الانسـان، المفـاهيم والمصطلحات الأنثروبولوجية، ترجمة مجموعـة مـن أسـاتذة علـم الاجتماع، إشراف محمد الجوهري، المشـروع القـومي للترجمـة، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، ١٩٩، صـ ٦٨٢

٥- **Donyoder Folk Medicine** in RM Dorson (ed) folklore and folk life, the University of Chicago Press Chicago, ١٩٧٢, p ١٩٠

٦- **Depral Topham,** (Traditional Chinese medicine in orthopedic nursing) Journal of Australia copy right, ١٩٩٩ Jannetti publications inc, P. ٤٥

٧- **شارلوت سيمور-سميث،** مرجع سابق، صـ ٦٨٥

٨- **Bottner and Depral, topham** (folk medicine) in R.M Dorson Folklore and Folk life, the University of Chicago, press ٢٠٠٠, p٤٥, ١٦٩

٩- **وينفرد بلا كمان،** الناس في صعيد مصر العادات والتقاليد، ترجمة أحمد محمود، مركز الدراسات والبحوث الانسانية والاجتماعية، الطبعة الأولي، القاهرة ١٩٩٥، الفصل الثاني.

١٠- **Paul, A. Komstaroff,** The medical journal of Australia, Agust, ١٩٩٨, VI Gg, P.١٧.

١١- **حســـن الخولي،** الريف والمدينة في مجتمعات العالم الثالث، مدخل ثقافي اجتماعي، دار المعارف، القاهرة، ١٩٨٤، صـــ ٣٧١-٤٧٢.

١٢- **Paul, A- Komstaroff,** op.cit pp.٢٠-٢٥.

١٣- **Depral, topham**, Folk medicine in R.M Dorson Folklore and Folk life, the university of Chicago, press, ٢٠٠٠, PP. ١٧٠-١٧٥

١٤- **محمد الجوهري،** الدراسة العلمية للمعتقدات الشـعبية، الجـزء الأول، من دليل العمل الميداني لجامعي التراث الشعبي، دار المعرفـة الجامعية ، الاسكندرية ١٩٩٢.

١٥- **مصطفي محمد سعد،** البجة والعرب فـي العصـور الوسـطي، فصل في مجلة كلية الآداب جامعة القاهرة، ١٩٦٣، صـ٤

١٦- **دائرة المعارف الإسلامية،** مقال البشارية، صـ٢، صـ١٨

١٧- **عبدالمجيد عابدين،** بـين الحبشـة والعـرب، بـدون تـاريخ، صـ ٢٢١، ٢٢٣.

١٨- محمد عوض، السودان الشمالي سكانه وقبائله، القاهرة، ١٩٥١، ص ٦٩.

١٩- **نجوى عبدالحميد،** المخاطر البيئية وأثرها على صحة الطفـل، منشور في مجلة معهد دراسات الطفولة بعنوان أطفـال فـي خطـر،

.١٩٩٠

٢٠- **نجوى عبدالحميد،** مرجع سابق صـ ٣٦٥.

٢١- **نجوى عبدالحميد،** مرجع سابق صـ ٣٦٦.

٢٢- **سعاد ماهر،** محافظات مصر في العصر الإسلامي – فصل في مجلة كلية الآداب جامعة القاهرة مجلد ١، العدد الأول، مـايو ١٩٥٩، جامعة القاهرة ١٩٦٣.

٢٣- **ندوة اتفاقية حقوق الملكية الفكرية الجات وانعكاسـاتها علـى الدواء في مصر،** الخميس ٢٠٠٢/٢/٢٨ بكلية الصيدلة، جامعة عـين شمس.

* * *

الفصل الرابع
الصناعات البيئية كمدخل
للاستقرار الاقتصادى والاجتماعى
دراسة استطلاعية لقرية مصرية (كحك بحرى)

مقدمة

باتت كثير من المجتمعات فى الوقت الحاضر تفتقر إلى سبل الحياة المادية الطيبة بكل مـا تـوفره مـن إمكانيـات وقدرات، وما تتيحه للناس من فرص للعمل وراحة ورفاهية ترتفع بحياتهم إلى مستوى أعلى يتفق مع كرامـة الإنسـان. وهـذا التميز بين المجتمعات والرغبة فى الارتفاع بمستوى الشعوب الفقيرة دفـع عدداً كبيراً مـن علمـاء الاجتمـاع والأنثروبولوجيا والاقتصاد والتخطيط إلى ضرورة الاهتمـام بهذه المجتمعات، لتوفير قدر أكبر من تلك الحياة الكريمة[١]. وقد جاءت نتائج معظم خطط التنميـة لكثيـر مـن الـدول والشعوب التى سبقتنا أشواطاً على نفـس الـدرب كالهنـد واليابان، لتؤكد على أهمية تبنى مدخل إحيـاء الصـناعات البيئية كمدخل من مداخل التنمية المحلية[٢].

ولذا تتجه السياسات القومية فى هذه الآونة للدعوة إلـى

ضرورة تشجيع الصناعات الصغيرة وتنمية الصناعات البيئية على كافة المستويات والقطاعات الريفيـة والحضـرية فـى مصر. ذلك لأنها تعكس شكلاً من أشكال التفاعل الإيجـابى بين مجموعة من العوامل تكمن داخل البيئة وهى: السـكان، والخامات الطبيعيــة، والاحتياجـات المجتمعيـة، وأدوات الإنتاج المحلى[٣]. ومن ثم فإن إحياءها والعمل على تنميتهـا من شأنه أن يستوعب الأعداد الكبيـرة مـن قـوى العمـل المتعطلة الناتجة عن زيادة معدل الكثافة السكانية من ناحية، وعجز إمكانيات النشاط الاقتصادى التقليـدى عـن الوفـاء باحتياجات أعضائه من ناحية أخرى. أو ناتجة عن البطالـة وفائض العمالة بسبب تدهور بعض الأنشـطة الاقتصـادية التقليدية (الصيد) المعتمدة اعتماداً مباشـراً علـى المـوارد الطبيعية (الأرض – البحيرات – الأنهار) بسبب تلوثها نتيجة للعادات السلوكية للإنسان التى نجم عنها بما يعرف بالهـدر البيئى.

ومن هنا يتعين علينا كمشتغلين بدراسة التنمية البحـث عن أنشطة اقتصادية أكثر ملاءمة لإمكانيات هذه المجتمعات من أجل إيجاد فرص عمل جديدة.

أولاً: أهداف الدراسة

تسعى الدراسة إلى تحقيق هدفين:

١- التعرف على الصناعات البيئية التقليدية فى قريـة مصرية محددة فى سياقها الاجتماعى والثقافى والعمل علـى إحيائها.

٢- إلقاء الضوء على العوامل والمقومـات الطبيعيـة المتوفرة داخل البيئة التى تسـهم فـى تطـوير الصـناعات التقليدية، أو تتيح فرصاً لإدخال صناعات جديدة تتمشى مـع إمكانيات ومقومات البيئة، وتكفى فى نفس الوقت الاحتياجات المجتمعية بأدوات إنتاج محلية، وذلك بهـدف السـعى إلـى تحويل هذه القرى إلى قرى إنتاجية بدلاً مـن كونهـا قـرى استهلاكية.

ثانياً: تساؤلات الدراسة

فى ضوء أهـداف الدراسـة تتبلـور مجموعـة مـن التساؤلات هى:

- إن محاولة إحياء الصناعات البيئية التقليدية علـى أسـاس أنها مصدر للإنتاج من شأنه أن يحقق درجة مـن الاكتفـاء الذاتى لكثير من جوانب الاحتياجات اللازمة على المستويين الأسرى والمجتمعى.

- إن إلقاء الضوء على الصناعات البيئية كفيل بأن يعكس لنا أنماط التفاعل الإيجابى بين مجموعة من العوامل التى تتوفر

داخل بيئـة معينـة هـى: السـكان والخامـات الطبيعيـة والاحتياجات المجتمعية وأدوات الإنتاج المحلى، ومن ثم يتيح لنا فرصة إدخال صناعات جديدة من شأنها أن تحقق توازنـاً للمجتمع الذى يمر بمرحلة أهم تتميز بما أصاب واحداً مـن الأنشطة الاقتصادية بالتدهور (نشاط الصيد) بسبب ما أصاب بحيرة قارون من تلوث، وما يترتب على ذلك من زيادة نسبة المتعطلين وارتفاع معدل الفقر، الذى ترتب عليه ظاهرة عدم الاستقرار الاقتصادى والاجتماعى على المستويين الأسـرى والمجتمعى.

ثالثاً: الإطار التصورى للدراسة

تنطلق الدراسة فى تحليل المادة الميدانيـة مـن إطـار تصورى محدد هو الاتجاه البنائى الوظيفى الذى ينظر إلـى المجتمع المحلى على أنه وحدة اجتماعيـة كليـة متكاملـة متفاعلة الأجزاء. كما أن عملية التنمية ما هى إلا تفاعل بين ما هو ممكن من عناصر ثقافية واجتماعية ومـا هـو قـائم أصلاً. ومن المعروف أن الاتجاه البنـائى الـوظيفى أكثـر الاتجاهات النظرية ملاءمة لدراسة المجتمعـات الصـغيرة المحلية. ويرجع ذلك إلى ما تتميز به هذه المجتمعـات مـن الوضوح الاجتماعى والثقافى، وذلك لأن هـذه الخصـائص

المجتمعية تساعد على التعرف على البناء الاجتماعى وتتبـع العلاقات القائمة بين النظم، ومن أجل تفهم وإيضـاح كافـة العوامل التى تؤثر فى عملية التنمية[٤]. فقد وجد أنـه مـن الضرورى عند التخطيط للتنمية الاقتصادية الـربط بيـن مختلف جوانب التنمية الاقتصـادية والاجتماعيـة حيـث أن التنمية الاقتصاديـة لا تتم فى فراغ وإنما تتم فى إطار البناء الاجتماعى والثقافى. ولذا جـاءت آراء علمـاء الاجتمـاع الكلاسيكيين من أمثال روستو Rostow لتلقى الضوء علـى العوامل غير الاقتصادية التى لها تأثير مباشر فـى عمليـة النمو الاقتصادى، فحددها بأربعة عوامل هى: الرغبـة فـى تحقيق غايات اقتصادية على أساس علمـى، الرغبـة فـى الاستهلاك[٥]، ثم قبول الاختراعات، والبحـث عـن التقـدم المادى.

فى حين أشار جالبرث Galibraith إلى وجـود أربعـة عوامل أخرى لها أهميتها فى التأثير لتحقيق التقدم المـادى، وهى: المهارة الفنية، العدالة الاجتماعيـة، معرفـة القـراءة والكتابة، وأخيراً نظام حكم موثوق به[٦].

وبالرغم من اختلاف آراء العلماء فى تحديد أثر وفاعلية عوامل الإنتاج المختلفة، واختلاف آرائهم كذلك فـى تحديـد مستويات النمو الاقتصادى، فممـا لاشـك فيـه أن النمـو

الاقتصادى لأى مجتمع من المجتمعات يستند إلـى عوامـل كثيرة: اقتصادية تارة، وغير اقتصادية تارة أخرى. وعلـى المستوى الآخر سنلاحظ أنه بـالرغم مـن أن الاقتصـاديين يركزون اهتمامهم على العوامل الاقتصـادية والتكنولوجيـا باعتبارها عوامل أساسية ورئيسية لأى تنمية اقتصـادية، إلا أنهم اتجهوا أخيراً إلى الإشارة إلى أهمية العوامل الاجتماعية والتأكيد عليهـا. ومن ثم فإن التنمية الاقتصادية لا يمكن أن تتم إلا فى إطار البناء الاجتماعى للمجتمـع الـذى يخضـع لعملية التنمية. ويؤكد الاتجاه التكاملى فى الدراسة على أهمية عوامل البيئة الطبيعية والاجتماعية والثقافية والقانون السـائد والاتجاهات من أجل تحقيق التنمية الاقتصادية، كما أنـه لا يمكن بأى حال من الأحوال إغفـال أى عامـل مـن هـذه العوامل. فالتنمية الاقتصادية لا تتم فى فراغ، وإنما تتم داخل إطار اجتماعى وثقافى، ومن ثم لا يمكـن التركيـز علـى العوامل الاقتصادية وحدها بعيداً عن المحتـوى الاجتمـاعى والثقافى للتنمية. لذا، فإن هناك عوامل أخرى لها أثرها على نجاح عملية التنمية نذكر منها على سبيل المثال لا الحصـر: العوامل النفسية، وهذا ما أكده لينتون Linton فى حديثه عن الأهمية النفسية لدوافع الحاجة إلى العمل، لأن الإنسان فـى حاجة دائمة إلى طلب الأمان، إذ تدفعه إلى إقامـة المسـاكن والمبانى وتخزين الطعام والبحث عن عمل آخر إذا توقفـت

عجلة العمل الأول، وغير ذلك من وسائل تضمن له الأمـن والاستقرار فـى حاضره ومستقبله. كما أن هذه الحاجة تدفع إلى وضع المزيد من التوافق وإقامة نظم جديدة لمزيـد مـن الاستقرار ولتحقيق التنمية والنمو الاقتصادى والاجتماعى[٧].

وفى ضوء نتائج البحوث الإمبيريقية التى اعتمدت على الاتجاه البنائى الوظيفى فى معالجة موضوع التنمية، تأكد أنه أكثر الاتجاهات ملاءمة للمجتمعات الصـغيرة لمـا تتطلبـه عملية التنمية – على كافة المستويات – مـن الـربط بـين مختلف النواحى الاقتصادية والاجتماعية، حيث تولى التنمية الاقتصادية الأهمية لعمليات الإنتاج والتوزيع وتبادل السـلع والخدمات الاقتصادية، فهى فى الوقت نفسه تتصـل بـالنظم الاجتماعية لأن هذه النواحى جميعاً تؤلف أنساقاً فرعية فـى البناء الاجتماعى[٨].

رابعاً: الإجراءات المنهجية

نتناول فى الفقرات التالية الإجراءات المنهجية للدراسـة من خلال تناول عدة نقاط هى:

المفاهيم:

١ - التنمية:

من المفاهيم التى دار حولها نقاش مستفيض بين علمـاء الاجتماع والأنثروبولوجيا والاقتصاد والتخطيط، مـن أجـل الوصول إلى تعريـف للتنميـة يقبلـه الجميـع بـاختلاف تخصصاتهم. وقد ظهر على أثر ذلك العديد من التعريفـات، إلا أن التعريف الذى يكاد يجمع عليه معظم المشـتغلين الآن بالتنمية والتخطيط هو التعريف الذى قدمته هيئة الأمم المتحدة عام ١٩٥٦ وهو: "العملية التى يمكن بها توحيد الجهود لكل من المواطنين والحكومة لتحسـين الظـروف الاجتماعيـة والاقتصادية فى المجتمعات المحلية لمساعدتها على الاندماج فى حياة الأمة والمساهمة فى تقدمها بأقصى ما يمكن"[٩].

وفى الحقيقة تأتى أهمية هذا التعريف من قدرته علـى تحديد الأركان الأساسية التى تقوم عليها عملية التنمية وهـى كما يلى:

١- ضرورة اشتراك الأهالى والحكومة معاً فى مشـروعات التنمية، وفى كل المراحل التى تمر بها عملية التنمية سـواء ذلك التخطيط أو التنفيذ، هو ما يعرف بالمشـاركة الشـعبية Popular Participation.

٢- أن مشروعات التنمية يجب أن تؤدى إلى تحقيق التكامل القومى، بمعنى أن يهدف المشروع إلى ربط المجتمع المحلى الذى نفذ فيه ذلك المشروع بالمجتمع القومى، بل وإدماجه فيه

بحيث يؤلف معه وحدة عضوية متماسكة.

٣- أن عملية التنمية هى بالضرورة عملية شاملة ومتكاملـة تمتزج فيها الجوانب الاقتصادية بالجوانب الاجتماعية، بمعنى أنه بالرغم من أن الأساس الأول الذى ترتكز عليـه معظـم مشروعات التنمية هو الوضع الاقتصـادى، إلا أن الهـدف الأخير من المشروع هو الإنسان والعمل على إعلاء شـأنه، باعتباره الطاقة البشرية اللازمة لاستمرارية عملية التنمية.

٢- الصناعات البيئية:

تشير نتائج معظم الدراسات على المسـتويين العـالمى والمحلى إلى تعدد الرؤى فى تحديد مفهوم الصناعات البيئية. ومرد ذلك إلى تباين وتعدد المعايير التى اعتمدت عليها تلك الدراسات والتصنيفات. فهناك فريـق اعتمـد فـى وصـفه للصناعات البيئية على معيار قوة العمل البشرى، بأن يكـون عدد العمال أقل مـن ١٠ أفراد(١٠). وآخر ركز على معيار المسـتوى التكنولـوجى (أى الاعتمـاد علـى التكنولوجيـا التقليدية)(١١). وثالث جمع بين المعيارين السابقين وهما (قوة العمل البشرى والتكنولوجيا). كما أخذ تصنيف آخر بمعيـار النسق التنظيمى للعملية الصـناعية فأشـار إلـى أن هنـاك مستويين:

الأول: **النسق العائلى Family System**، ويتضمن الصناعات

المنزلية والمشروعات العائلية التقليدية وهو ما يعرف بالنسق الحرفى الأسرى.

الثانى: النسق الحرفى Artisian System، ويقصد به النسق الحرفى الورشـى الـذى يـتم خـارج الأسـر Artisian Workshop[١٢].

وفى ضوء ما سبق خلصت الباحثة إلى تعريف إجرائى لمفهوم الصناعات البيئية: "هو كل ما تم إنتاجه فى بيئـة أو مجتمع محلى يعتمد على الخامات ومهارات بشرية وتستعين بأساليب تكنولوجية محلية بغـرض الاسـتهلاك أو الإنتـاج للسوق"[١٣].

خامساً: أسس اختيار مجتمع البحث

لما كان الهدف من البحث هو التعرف على المقومـات الطبيعية المتوفرة داخل البيئة، والتى تساهم فى قيام صناعات بيئية أو إدخال صناعات أخرى إلـى رصـيد الصـناعات التقليدية الأصلية بالقرى المضارة من موقعها علـى بحيـرة قارون، بحيث تتمشى هـذه الصـناعات مـع الاحتياجـات المجتمعية لهذه القرى. فقد جاء اختيارنا لمجتمع الدراسة بناء على ما أسفرت عنه نتائج الدراسـة الاسـتطلاعية للقـرى الواقعة على ضفاف بحيرة قارون، والتى تتوزع بين مركـز

سنورس (عزبة عبـدالرحمن إبـراهيم) ومركـز أبشـواى (شكشوك – أيـوب – الشيخ – سعد رحيل – قوته – أبوشنب – كحك). وتتلخص هذه النتائج فيما يلى:

أ- تمثل عزبة عبدالرحمن إبراهيم وشكشوك وكحك بحـرى أكبر المجتمعات المحلية لشاطئ البحيرة سكاناً، وبالتالى أكثر القرى تضرراً من أثار تلوث البحيرة.

ب- يمثل نشاط الصيد الحرفة الرئيسية للغالبيـة العظمـى لسكان هذه القرى، فقد بلغت نسبة عدد المشتغلين بـه فـى عزبة عبدالرحمن إبراهيم ما يقرب من ٩٠%، فـى حـين وصلت هذه النسبة فى كل من قريتى كحك وشكشـوك مـا يقرب من ٩٠% أيضاً. أما بقية السكان فهم موزعون بـين العمل بالنشاط الزراعى والأنشطة التقليدية الأخرى.

وفى ضوء ما سبق تمثل كل من عزبـة عبـدالرحمن إبراهيم (التى تعرف بحبون) النمط الأول الذى يقـع شـرق بحيرة قارون، شكشوك وكحك بحرى النمط الثانى الذى يقع جنوب البحيرة. حيث تشكل جميعها أكثر المجتمعات المحلية تضرراً من أثار تلوث بحيرة قارون. ويتضـح ذلـك مـن تركيبها الإيكولوجى، ومن النشاط الاقتصادى ومستوى الحياة الاجتماعية لسكانها. (وهذا ما سوف تتناوله دراسـة المسـح الشامل بالتفصيل).

فقد روعى عند اختيـار مجتمـع الدراسـة أن يكـون الاختيار ممثلاً لتباين الموقع (شـرق – جنـوب) ولأنمـاط التضرر وحالة عدم الاستقرار الاقتصادى على المسـتويين: الأسرة والمجتمع. وعلى ذلك فقد وقع الاختيار على عزبـة عبدالرحمن إبراهيم (تعرف بحبون)(*)، وقرية كحك بحـرى كنموذج يوضح لنا أعلى درجات التضـرر الـذى أصـاب (مجتمعاً محلياً) من جراء موقعه من جهـة، ومـن جـراء اشتغال ما يقرب من ٩٠% من السكان بنشاط الصـيد ومـا ترتب عليه من تدهور هذا النشاط وزيادة معدل البطالة.

سادساً: منهج الدراسة

قامت الباحثة بدراسة استطلاعية لحصـر الصـناعات البيئية التقليدية فى القرى الواقعة على ضفاف بحيرة قارون، مراعية فى ذلك مستويين:

الأول: الصناعات التى تنتج داخل الأسرة والصناعات التـى تنتج على مستوى المجتمع المحلى.

(*) نظراً لما أسفرت عنه نتائج الدراسة الاستطلاعية الأولية عن تشابه الخصـائص الاجتماعية والنشاط الاقتصادى من جهة. وتدهور نشاط الصيد فى قريـة كحـك بحرى وعزبة حبون، لذا اقتصرت الدراسة فى عرضها للبيانات على قرية كحـك بحرى – إلا أن معظم الملاحظات والنتائج الميدانية تنسحب على كل مـن قريـة كحك بحرى وعزبة حبون.

الثانى: التعرف على الخامات الداخلة فـى كـل صـناعة، والإمكانيات المتوفرة فى البيئة المحلية لمجتمعات الدراسـة والتى يمكن أن يستفاد منها فى إنشاء أو إدخـال صـناعات بيئية جديدة.

كما قامت الباحثة بالتعرف على اتجاهات سـكان هـذه القرى من الذكور والإناث البالغين عن الصناعات البيئية التى يرغبون فى العمل بها فى ضوء خبرتهم واستعداداتهم مـن جهة، والصناعات الجديدة التى تحتاج تدريباً لفترة قصـيرة وتساهم وفى نفس الوقت فى دراسة سابقة لها تخفيف معـدل البطالة فى المجتمع. وقد اعتمدت الباحثة على نتائج دراستها بعنوان أطلس الصناعات البيئية إلى جانب ما يلى:

١- دليل العمل الميدانى الذى قسم إلى البنود التالية: بيانـات المجتمع المحلى –النشاط الاقتصادى فى مجتمـع البحـث – الصناعات البيئية التقليدية الأصلية فى المجتمع – الخامـات الداخلة فى تصنيعها – الأدوات المستخدمة فـى التصـنيع – آراء واتجاهات أعضاء مجتمعات البحث فيما لو رغبوا فـى صناعات بيئية جديدة – الخامات والإمكانيات البيئية المتاحـة التى يمكن استغلالها لقيام مشاريع أو صناعات بيئية.

٢- كما استعانت الباحثة بأدوات المنهج الأنثروبولوجى مـن مقابلة وملاحظة عند تطبيق الاستمارة.

٣- واستعانت الباحثة بالإضافة إلى ذلك بالإخبـاريين مـن المجتمع المحلى لاستكمال بعض البيانات والتحقق من صدق البعض الآخر، وكذلك فى إلقاء المزيد مـن الضـوء علـى ظروف أسر الصيادين التى أضيرت من جراء تلوث بحيـرة قارون، والتى يصعب على الباحثة كشفها أثناء المقابلة مـع أفرادها.

٤- المجال الزمنى:

استغرقت الدراسة الميدانية قرابة ثلاثة أشهر ونصـف، حيث بدأت فى أول أكتوبر ١٩٩٣ حتـى منتصـف ينـاير ١٩٩٤. وبالرغم من قصر فترة الدراسـة الميدانيـة وقلـة الإجراءات المنهجية، إلا أن الباحثة اسـتطاعت أن تغطـى جوانب موضوع الدراسة بصورة مرضية وحاولت تحقيـق الهدف منها. ويرجع ذلك إلى طبيعة علاقة الباحثة بمجتمـع محافظة الفيوم(*) وبصفة خاصة القطاع الريفى منهـا، ممـا

(*) ترتبط الباحثة بعلاقة طويلة بمحافظة الفيوم ترجع إلى ديسمبر ١٩٨١ حتى يوليو ١٩٨٣ من حيث الإقامة شبه الدائمة نظراً لاشتراكها في إجراء الدراسات الميدانية المتعمقة لبحث المرأة المنشور عنه تقرير بعنوان (المرأة فى الريـف والحضـر، دراسة لحياتها فى العمل والأسرة) تحت إشراف الأستاذ الدكتورة علياء شـكرى. كما قامت الباحثة بإجراء الدراسات الميدانية الخاصة ببحثها لنيل درجة الـدكتوراه فى الفترة من ١٩٨٣ حتى ١٩٨٦ فى = =محافظة الفيوم. كما قامت بالتدريس فى كلية الخدمة الاجتماعية بالفيوم خلال الفترة من ١٩٨٦ حتى ١٩٩٠ فى أثناء ذلـك قامت بعمل أبحاثها الخاصة بالترقية لدرجة أستاذ مساعد وهى على التوالى: أنماط

نمى لديها الإحساس بالألفة بساكنى المجتمع الريفى، وأكسبها ذلك مرونة تفهم اللهجة المحلية والمصطلحات الخاصة بثقافة الريفيين فى محافظة الفيوم. وقد ساعد ذلـك علـى سـهولة تسجيل أقوال الإخباريين ونقل وجهـات نظـرهم ووصـف عاداتهم وسلوكهم بصورة مرضية.

سابعاً: الخصائص الاجتماعية لمجتمع الدراسة

المجتمع المحلى لقرية كحك بحرى

بناء مجتمع البحث

١- التسمية:

قرية كحك بحرى واحدة من العموديات الأربع التى تتبع المجلس المحلى لقرية كحك التابعة إدارياً لمركـز أبشـواى بمحافظة الفيوم.

يرجع أصل تسمية قرية كحك بهذا الاسم على حد قول أحد الإخباريين مـن أبناء القرية إلى: "لعائلة حضرت إلـى هذا المكان المهجور واتخذته مقراً لإقامتها هى عائلة تـدعى

رعاية الطفولة فى قرية مصرية كما تعكسها جداول استخدام الوقت فى الأسـرة: واستغرقت الدراسة الفترة من ١٩٨٦ حتى ١٩٨٨. والدراسة الثانية هـى أطلـس للصناعات البيئية. بحث ميدانى استطلاعى عن محافظة الفيوم، استغرقت الدراسة من أكتوبر ١٩٨٨ حتى ١٩٨٩.

بعائلة عبدالعال كحك المهاجر من قرية سـاوى بالصـعيد، التابعة لمحافظة أسوان". ومن ذلك الوقت اعتاد الناس إطلاق اسم جد هذه العائلة وهو كحك على القرية.

كما أضاف نفس الإخبارى مشيراً إلى حضور ابن عـم عبدالعال كحك مع أسرته بعد فترة من حضور الأول، فاتخذ الثانى من كحك القلية مكاناً لإقامته. وهذه الروايـة مجـرد أقوال متواترة لم نجد دليلاً عمليـاً يؤيـدها فـى المصـادر المعروفة مثل الأطلس الجغرافى لمحمد رمزى.

٢- الملامح الإيكولوجية:

تبعد قرية كحك بحرى عن مدينة الفيـوم بحـوالى ٣١ كيلو متراً بالطريق السياحى، و٢٥ كيلـو متـراً بـالطريق العادى (بين القرى) والذى يعرف باسم طريـق الشواشـنة. وقرية كحك بحرى فى شكلها العام متوسطة الحجم، يحـدها من الشمال بحيرة قارون، ومن الجنوب قرية الرواشدة، ومن جهة الغرب قرية الشواشنة وغيضان وقصر أبومطيعة، ومن الشرق قرية العزبية.

وتتبع قرية كحك البحرية مجلس محلى كحك بالإضـافة إلى ثلاث قرى أخرى هى على التوالى: الخالدية – العلوية – الصعايدة، كما يتبعها حوالى ٤٦ عزبة. وقرية كحك بحـرى هى التى يوجد بها مقر المجلس المحلى حالياً.

وتقدر المساحة الكلية للزمام بقرية كحك بحرى بحوالى ٢٥٤٩ فداناً موزعة على النحو التالى: المنزرع منه ١٦٦٩ فدان والبور ٨٨٠ فدان، والكتلة السكنية ٥٠ فدان.

يقدر تعداد الوحدة المحلية بكحك طبقاً للتعداد التقديرى لمركز أبشواى عام ١٩٩٣ بحوالى ٥١٤٠٠ نسمة[١٤]، فى حين يقدر تعداد عمودية كحك بحرى – طبقاً للتعداد التقديرى للوحدة المحلية – بحوالى ٨-٩ الآف نسمة بتوابعها العشرة، وهى على التوالى: "عزبة كحك قبلى – العدوى – إبراهيم عبدالمجيد – الصلاحية – مزار رحاب الله – محمد السيد حسين – محمود خليل – القاضى – مسعد الروبى – عبدالله هاشم"[١٥].

وعموماً يتخذ التجمع العمرانى لقرية كحك بحرى حالياً شكلاً شبه دائرى[١٦]. ومن الملامح الإيكولوجية لعمودية كحك بحرى أنها قرية تقليدية فى مظهرها من حيث أن معظم شوارعها غير ممهدة. ومعظم الدروب تكثر بها المرتفعات والهضاب الترابية وأكوام السباخ والحفر والمستنقعات لمياه الصرف الصحى والمياه الناتجة من نشع المياه الجوفية المتسربة من بحيرة قارون.

والملاحظ أن قرية كحك بحرى من القرى المتاخمة تماماً لبحيرة قارون، حيث يبلغ امتدادها ١٥ كم على امتداد

ساحل البحيرة، وتقدر المسافة لآخر امتـداد للكتلة السـكانية من شاطئ البحيرة بـ ٦٠ متراً، إلى جانب انخفاض مستوى سطح القرية عن مستوى سطح البحيرة مما ينجم عنه العديد من المخاطر البيئية التى يعانى منها سكان القرية من جراء. نذكر منها على سبيل المثال لا الحصر:

- ارتفاع منسوب مياه البحيرة فى فصل الشتاء: مما يعرض معظم منازل القرية للغرق، بل قد يصل فى بعض الأحيـان إلى انهيار المنازل.
- غرق مساحات كبيرة من الأراضى الزراعيـة المتاخمـة للبحيرة مما أدى إلى ارتفاع نسبة الملوحة وبوارها.
- ارتفاع نسبة الرطوبة بشكل ملحوظ فى القرية.
- ارتفاع منسوب المياه الجوفية إلى مستوى قريب من سطح الأرض بمسافة تقدر بـ ١٠-١٥سم، مما أضفى على المظهر العام للقرية – وبصفة خاصة أرضيتها وجدران منازلهـا – كما لو أن القرية تعرضت لعاصفة ممطرة لساعات طويلـة تسببت فى غرق أرضيتها، بل وتوحلها نتيجة لكثـرة الميـاه المنهمرة، وامتزاجها بالتراب وتحولها إلى برك طينية لزجة الملمس بحيث يصعب السير عليها بسهولة. وقد يعرض ذلك الكثير من المارة فى الشوارع والدروب إلى فقدان تـوازنهم بل وسقوطهم على الأرض الموحلة. أما بالنسـبة لجـدران

المنازل، فتعلوها آثار نشع المياه بمقدار ١-٢متر، مما قد يصيب أساس معظم المساكن فى هذه القرية (التى ليس لها أساس رصين فى الأصل) بالتصدع، ويجعلها عرضة للانهيار.

ومن اللافت للنظر أن مساكن القرية شهدت فى السنوات الأخيرة، ومع بداية عام ١٩٨٥ تغيرات فى المادة المستخدمة فى بناء المساكن، وقد يرجع سبب هذا التغير إلى سفر عدد من أهالى القرية للعمل فى المجتمعات الجديدة داخل ج. م. ع، أو السفر إلى الدول العربية وبخاصة إلى العراق للعمل وذلك لسهولة الحصول على تأشيرة الدخول. وقد يكون سبب هذا التغير متاخمة القرية لبحيرة قارون وما ينجم عن ذلك من مخاطر الغرق وارتفاع معدل النشع والرطوبة فى المنازل مما دفع السكان للجوء إلى استخدام المواد الحديثة فى البناء بعد أن تعرض الكثير من المبانى للانهيار. كل ذلك جعل معظم أهالى قرية كحك بحرى يتجهون إلى إعادة بناء مساكنهم باستخدام الطوب الأحمر بدلاً من الطوب اللبن أو الطوب الأسمنتى، واتجاه البعض الآخر إلى تعلية المسكن إلى طابق أو طابقين تشبهاً بالمساكن الحضرية (الطبقة العليا والوسطى). وفى كل الشرائح الطبقية – باستثناء الحالات ذات المستوى الطبقى المتدنى – يقومون بعمل ترميمات على فترات قد تأخذ صور ردم الأرضيات للارتفاع بالمسكن

لتفادى النشع. وقد تستبدل أسقف المنازل نظـراً لتعرضـها للغرق طوال موسم الشتاء والنشع طوال العام نظراً لارتفاع نسبة الرطوبة مما يجعل أسقف المنازل واهية سهلة الانهيار. وبالرغم من التغيير الواضح فى القرية بصفة عامـة وفـى شكل بناء المساكن بصفة خاصة، فلا يزال يسود القرية ثلاثة أنماط من المساكن هى على النحو التالى:

النمط الأول

يتكون من حجرة واحدة أو حجرتين، مبنيـة بـالطوب اللبن، خالية من الفتحات عدا فتحة البـاب. تسـتخدم هـذه الحجرة للنوم ولتخزين الطعام واستقبال الضيوف والطهـى والاستحمام. وكثيراً ما يستغل الفـرن كمكـان للنـوم فـى الوحدات المعيشية كثيرة العدد نظراً لضيق المكان فى هـذا النمط من المساكن، حيث تضطر الأسرة إلى قضاء معظـم أعمـال المنـزل الخارجيـة مثـل (غسـل الملابـس) - الذى يتم عادة أمام المنزل – واستقبال الضـيوف خـارج المنزل نهاراً وليلاً فى الصيف.

ويعيش فى هذا النمط مـن المسـاكن الطبقـة الأدنـى اجتماعياً واقتصادياً فى القرية ومعظمهم من الفئـة الكادحـة التى تعمل بالأجر لدى الغير (الصيد)، والأسر ذات الظروف الخاصة التى تقوم المرأة فيهـا بـدور العائـل (الأرملـة –

والمطلقة).

النمط الثانى

المساكن المبنية من الطوب اللبن، يتكون معظمها مـن طابق واحد، وغالباً ما يكون السـقف مـن جريـد النخيـل وفرعه، وقد اتجه الكثيرون من أصحاب هذا النمط السـكنى بعد عودة الزوج من الهجرة أو وجود فائض من دخلهم مـن نشاط الصيد (قبل تلوث البحيرة) إلـى تحسـينها باسـتبدال الجدران بالطوب الأحمر أو الأسمنتى وأحياناً يتم الجمع بين الطوب الأحمر والأسمنتى مع الحجر، بـأن يبنـى الجـزء الأسفل من الجدران بالحجر، ثم يستكمل بقية الجدار بالطوب الأحمر أو الأسمنتى. وطبقاً لقول أحد الإخبـاريين "عشـان يقوى أساس الجدار اللى دايماً ناشعة فيه الميه طول العـام"، بدلاً من الطوب اللبن، ولكن دون المساس بسقف المنـزل أو الاهتمام بزيادة عـدد فتحـات المنـزل لتحسـين التهويـة والإضاءة، ودون حدوث أى تغيـر فـى التقسـيم الـداخلى للمنزل. وغالباً ما يتكون المسكن من الداخـل من حجرة أو حجرتين أو ثلاث حجرات، بحيث تخصص كل حجرة لأسرة من أسر الأبناء المتزوجين، إلى جانـب حجـرة الوالـدين والأبناء غير المتزوجين. وفى أقصى طرف المسكن فعـادة توجد حجرة بلا سقف أو حوش، مخصصة لمبيت الحيوانات

والطيور.

ويتميز هذا النمط من المساكن بوجود أكثر من أسـرة يشتركون جميعاً فى الإقامة والمعيشة، نظراً لانتشـار نمـط الإقامة الأبوية (السكنى المشـتركة) للأبنـاء الـذكور بعـد زواجهم، وهى السمة المميزة للسكنى فى قرية كحك بحـرى حتى وقت إجراء الدراسة الميدانية.

ومن الملاحظ أن هذا النمط من المساكن يظـل بـدون طلاء خارجى للجدران أى على لونه الطبيعى وهـو لـون الطوب الذى بنيت به (أحمر أو رمـادى)، وتظـل الأرض بدون تبليط. ومعظم المساكن يوجد بها كهرباء باستثناء بعض منازل الأسر المعدمة، ولكن معظمها تخلو من المياه النقيـة ومن دورات المياه، حيث يقضى معظم البالغين حاجتهم فـى حظيرة الحيوانات. أما الأطفال فعادة ما يقضـون حـاجتهم خارج المنزل.

النمط الثالث

هى المساكن المبنيـة بـالطوب الأحمـر أو الطـوب الأسمنتى، وهى مساكن تخص الطبقة العليا وبعـض أسـر الطبقة الوسطى. ويتكون هذا النمط من المساكـن مـن دور أو دورين أو أكثر بحيث تكثر فيه حجرات المعيشـة التـى تتناسب مع حجم الوحدة المعيشية والأفراد المقيمين بهـا. إذ

نجد بها ٢-٣ حجـرة للنوم، ودورات مياه، وحمام، وحجرة لاستقبال الضيوف (الصالون أو كنب بلدى). ويأخـذ أثـاث معظم هذه المساكن الطابع الحضرى. أما حظيرة الحيوانـات فيوجد فاصل بينها وبين المنزل، وذلك بأن يكون لهـا بـاب مستقل على الشارع مباشرة، أو يكون لها باب يفصل بينهـا وبين مكان إقامة أعضاء الأسرة.

ويتميز هذا النمط من المساكن بأنه جيد التهوية حيـث تكثر النوافذ والشرفات، كما يتميز باهتمام أصحابه بـالمظهر الخارجى من حيث طلاء الجـدران الداخليـة والخارجيـة، وكذلك النوافذ. وقد يختلف نوع الطلاء بالزيت أو الجير طبقاً للمستوى الطبقى للأسرة.

٣- النشاط الاقتصادى

أ- نشاط الصيد: يمثل نشاط الصيد بقرية كحك بحـرى (عزبة حبون) النشاط الرئيسى لمعظم أهل القرية بحيث يعمل به الغالبية العظمى من السكان وتقدر نسبة المشتغلين بالصيد بحوالى ٩٠%. ويرجع ذلك كما سبق أن أشرنا فى موضـع آخر إلى الطبيعة الإيكولوجية التى تتميز بها قرية كحك مـن حيث أنها قرية متاخمة لبحيرة قارون بمسافة تقدر بحـوالى ٦٠ متراً وتمتد بطول ١٥كم من ساحل البحيرة، مما يجعـل

كلاً من البحيرة ونشاط الصيد الوعاء الاقتصادى الوحيد الذى استوعب الأعداد الكثيرة من العمالة الناتجة عن ارتفاع معدل الزيادة الطبيعية فى هذه القرية.

ب- النشاط الزراعى والأنشطة الأخرى: يمثل النشـاط الزراعى والأنشطة الأخرى بقرية كحك بحـرى (وعزبتـى حبون وشكشوك)، النشاط الذى يلى الصيد، ويتضح لنا ذلـك من خلال ما يلى:

- نسبة المشتغلين بالنشاط الزراعى والأنشطة الأخرى تقدر بحوالى ١٠%.
- يقدر حجم زمام عمودية كحك بحرى بحوالى ٢٥٤٩ فدان موزعة كالآتى:
  - حجم الكتلة السكنية بـ ٥٠ فداناً.
  - المساحة البور ٨٨٠ فداناً.
- المساحة المزروعة فعلاً ١٦٦٩ فدان موزعة كالآتى:
  - الحيازة الكبرى ٥٠ فداناً لعدد ١٤ أسرة على مستوى القرية.
  - الحيازة المتوسطة ٢-٥ فداناً لعدد يقـدر بـ ـ ١٠٠ أسرة على مستوى القرية[١٧].
  - الحيازة الصغرى تبدأ من ٣ قيراط حتى أقل مـن ٢ فدان لعدد يقدر بـ ١٢٠ أسرة على مستوى القرية.

نظام الزراعة بالمشاركة

تقوم فئة من الفلاحـين بزراعـة بعـض الحيـازات بالمشاركة مع أصحابها فـى مقابل أن يحصل على نصـف المحصول من صاحب الحيازة الأصلى، وذلك بعـد خصـم مصاريف السماد والبذور والتقاوى والحرث وميـاه الـرى. وغالباً ما يكون نصـيب الفـلاح بالمشـاركة جـزء مـن المحصول. ويعمل بهذا النظام حـوالى ٢٠٠ أسـرة علـى مستوى القرية. وعموماً فمازالت قرية كحك بحرى (حبون) قرية تقليدية من حيث التزامها بنظام الدورة الزراعية، وهى على النحو التالى:

الدورة الشتوية:

تبدأ من شهر نوفمبر / ديسمبر حتى شهر مـايو ويـتم زراعة المحاصيل الآتية: القمح – البرسيم.

تبدأ من شهر مايو / يونيه وتنتهى فى شهر نـوفمبر / ديسمبر وتزرع المحاصيل الآتية: القطن – الذرة الرفيعـة – عباد الشمس (الزيتى)[(١٨)]. بالإضافة إلى محصول الزيتـون الذى تجنى ثماره فى شهر سبتمبر من كل عام.

الدورة الصيفية:

كما لوحظ كثرة زراعة النخيل، حيث يوجد حـوالى ٢

مليون نخلة على مستوى مجلس محلى كحك. كما لوحظ أثناء الدراسة الميدانية وبناء على ما يرويه كثير من إخباريى القرية قلة مياه الرى فى فصل الشتاء وانعدامها فى فصل الصيف مما يتسبب عنه أن يضطر كثير من الفلاحين لزراعة نصف فدان فقط من حيازته البالغة مثلاً فدان ونصف وتبوير الباقى.

كما لوحظ أن هناك اتجاهاً سائداً بين الفلاحين إلى تحويل نسبة كبيرة من الحيازات لزراعة محصول الطماطم والزيتون على حساب الحيازات المزروعة بالمحاصيل الأخرى (كالقمح والذرة) وذلك نتيجة لقلة مياه الرى اللازمة للزراعة فى فصل الشتاء وانعدامها فى فصل الصيف مما يترتب عليه تلف كثير من المحاصيل الأخرى.

ولقد لاحظت الباحثة – بحكم الخبرة التى كونتها خلال الدراسات الميدانية فى أكثر من قرية فى القطاع الريفى بمحافظة الفيوم – أن هذا النوع من المشاكل المرتبط بقلة مياه الرى يمثل مشكلة عامة تعانى منها معظم قرى محافظة الفيوم الواقعة فى نهاية المصارف المائية، ومن هذه القرى على سبيل المثال: قرية أباظة – والنزلة مركز أبشواى، حبون، الرغاى مركز سنورس.

ج- **النشاط التجارى**: يتمثل النشاط التجارى فى بيع

الخضروات (الطماطم والزيتون)، إلى جانب المحاصيل التقليدية (قمح، ذرة) والطيور والدواجن والحيوانات الصغيرة (ماعز – ماشية)، وبيع الأسماك (قبل تلوث البحيرة). وعادة ما يتسم هذا النشاط بمشاركة النساء بنصيب لا يستهان به (فى الأسر التى تعمل بالنشاط الزراعى فقط)، وبيع الحلوى للنساء أصحاب الظروف الخاصة.

د- النشاط الصناعى: تمثل الصناعات الغذائية المنزلية التى تعتمد على الإناث باختلاف المراحل العمرية السمة المميزة للأسرة التى تعمل بالنشاط الزراعى، وهذا ما أكدته نتائج بحث المرأة فى الريف والحضر[١٩]، ودراسة أطلس الصناعات البيئية فى محافظة الفيوم. وذلك نظراً لتوفر الخامات تحت يدى النساء فى المنزل مما يدفعهن لتصنيع منتجات الألبان مثل: (الجبن والزبد) وتصنيع مواد الطاقة (عمل الجلة – تجفيف قوالح الذرة) عمل وجبات غذائية للتخزين (تخليل الزيتون – عمل الكشك – اللفت – المش). وهناك بعض الأسر التى تقوم فيها المرأة بحياكة الملابس لنفسها ولأسرتها ولأسر القرية. كما كانت صناعة الشباك (الغزل اليدوى من الصناعات اليدوية المنزلية التى تشتهر بها قرية كحك بحرى بصفة عامة، والأسر التى تعمل بنشاط الصيد بصفة خاصة وبالتحديد فى جيل الأجداد من الذكور والإناث.

ولكن نظراً لتبنى أصحاب الأنشـطة الاقتصـادية فـى مصر خلال فترة السبعينيات لقيمة الكسب السريع، حتى لـو كان ذلك على حساب انهيار النسق القيمى فى المجتمع، اتجه معظم المشتغلين بنشاط الصيد إلى التخلى عن صناعة الشباك (اليدوى) والاتجاه نحو شراء الشباك الآلية المصنوعة مـن الخيوط النايلون أو الشعر، لما لهذا النوع من الشـباك مـن كفاءة تبدو فى ضيق فتحاتها التى تسمح بصيد كل ما يـدخل بها من كائنات حية بالبحيرة حتى الزريعة، وبذلك انقرضت صناعة الشباك اليدوية، وأصبحت قاصرة على نـوع مـن التصنيع التكميلى بمعنى أن يقوم الصـياد بشـراء الشـبكة النايلون جاهزة الصنع، ثم يقوم بتركيب بعض الأجزاء مثل: الرصاص / الفل (والشموت) وهو عبارة عـن حبـل مـن النايلون يوضع على حافة الشبكة. إلـى جانـب أنـه يقـوم بتركيب (الفل) وهو عبارة عن أقراص من البلاستيك تأخـذ الشكل الدائرى توضع على أطراف الشبكة لتساعدها علـى الطفو. أما الرصاص فيكون الغرض منه تثبيت الشبكة عندما يلقيها الصياد بالبحيرة لكى تثبت بالقاع.

٤ - النسق القرابى

تشكل العائلة الممتدة (البدنة) الوحدة الأساسـية للنسـق القرابى فى قرية كحك بحـرى (حبـون)، وترجـع معظـم

العائلات الممتدة المعروفة إلى الجد المؤسس على مستوى القرية.

٥- الخدمات التعليمية

تتمتع قرية كحك بحرى بالخدمات التعليمية المتمثلة فى وجود عدد من المدارس: ٢ مدرسة ابتدائية مجموع فصولهما ٢٤ فصل، مدرسة إعدادية ٧ فصول[٢٠]. ولا يوجد معاهد أزهرية بالوحدة المحلية بكحك.

٦- الخدمات الطبية

يوجد بقرية كحك بحرى وحدة صحية، تقوم بتقديم الخدمات الطبية لمواطنى القرية، من حيث تسجيل المواليد، إلى جانب إجراء التطعيم والحملات الصحية للأهالى ولتلاميذ المدارس، وإسعاف حالات الإصابة الخفيفة والمتوسطة، أما الحالات الحرجة والتى تتطلب جراحات خطيرة أو كبيرة فتحول إلى المستشفى المركزى بأبشواى أو الفيوم.

٧- الخدمات الاجتماعية

يوجد بالقرية العديد من الخدمات الاجتماعية منها: الوحدة المحلية: وهى المجلس المختص بتقديم الخدمات

المتنوعة كالإشراف على تنفيذ المشروعات الخاصة بتنمية المجتمع المحلى سواء على مستوى القرية أو توابعها. وتشرف جمعية تنمية المجتمع المحلى على تحقيق الخدمات لأهل القرية من خلال مشروع مستقل لتعليم فتيات القرية الحياكة والتطريز.

٨- خدمات الزراعة

يوجد بالقرية جمعية تعاونية زراعية، وأخرى تعاونية للائتمان الزراعى، وبنك التسليف الزراعى، حيث تتضافر هذه الجمعيات فى تقديم الخدمات اللازمة للنشاط الزراعى. من حيث توليها تسجيل أسماء أصحاب الحيازات الزراعية، وتنظيم الدورة الزراعية، والإشراف على تنفيذها ومعاقبة المخالفين، وتوزيع الأسمدة والتقاوى اللازمة للزراعة، وصرف السلف اللازمة عند زراعة كل محصول.

٩- خدمة الصيد

يوجد بالقرية جمعية تعاونية للصيادين، تضم جميع الصيادين الذين لديهم مراكب صيد مرخصة للصيد فى البحيرة، ويبلغ عدد أعضاء الجمعية ومن لديهم مراكب بقرية كحك بحرى ٢٥٠ مركب[٢١]. إلا أن هناك فئة أخرى من الصيادين ليس لديهم مراكب مرخصة للصيد، وهؤلاء

يعملون بالأجر مع الآخرين ويعرفون (بالعراقين). وتقوم هذه الجمعية بتسجيل أسماء أصحاب المراكب، وتقـديم السـلف اللازمة لشراء الشباك والمراكب الجديدة أو لعمل الترميمات.

١٠- الخدمات والمرافق

أدخلت الكهرباء بقرية كحك بحرى، حيث تُضاء معظم المنازل بالقرية، بالإضافة إلى إضاءة معظم دروبهـا. كمـا يوجد بالقرية حالياً محطة لتنقية مياه الشرب، يرجع تـاريخ افتتاحها والعمل بها إلى عام ١٩٩٠. ومن الملاحظ أن نسبة المنازل الخاصة لذوى المستويات الاقتصادية العليا ومعظـم المشتغلين بالنشاط الزراعى ويتمتعون بخدمة الميـاه النقيـة داخل المنازل تقدر بحوالى ٦٠%. أما النسبة الباقيـة وهـى حوالى ٤٠%[٢٢] فيعتمدون على جاب المياه مـن الصـنابير العامة الموجودة فى شوارع القرية وعددها اثنان.

كما لوحظ أثناء الدراسة الميدانية، وبناء على ما يـردده الكثير من أهالى القرية، وما يرويه معظم الإخباريين بهـا، كثرة إصابتهم هم وأبناؤهم بأمراض الفشل الكلوى وحصـوة الكلى والبلهارسيا والتهاب الكبد الوبائى، وذلك منـذ افتتـاح محطة تنقية المياه أى منذ ثلاث سنوات تقريباً. ويرجع ذلـك إلى تلوث المياه وعدم صلاحيتها للاستخدام الآدمى. نظـراً لتغير لونها ورائحتها وارتفاع درجة الملوحة بها مما يجعلها

غير مستساغة للشرب، وذلك بسبب اعتماد هذه المحطـــة على المصدر المائى القادم من بحر النزلة. وهذا المصدر يعد مصباً لمعظم المصارف الزراعية، والمخابز، ومياه بحيـرة قارون فى تلك الناحية، إلى جانـب أنـه مكـان لاسـتحمام الحيوانات (الجاموس)، وإلقاء المخلفات الآدمية والحيوانـات الميتة (الكلاب، القطط، الحمير)، ومركزاً لتجمع كثير مـن الحشرات (كالذباب والبعوض). وهو فى نفس الوقت مكـان لسد حاجة معظم العزب القريبة منه (غسل الأوانى – غسـل الملابس، الاستحمام).

١١- الخدمات الاستهلاكية والتموينية

يوجد بقرية كحك بحرى عدد ٢ مخبز آلـى وعـدد ٢ مطحن آلى لطحن الغلال لأسر الفلاحـين. وتتمتـع القريـة بالخدمة التموينية المتمثلة فى وجـود جمعيتـين تعـاونيتين لتوزيع السلع التموينية على الأهالى بموجب البطاقة التموينية (السكر/ الزيت/ الشاى/ الأرز). وقد لوحظ من نتائج الدراسة الميدانية أنه بالرغم مـن أن صـناعة الخبـز تعتبـر مـن الصناعات المنزلية للمرأة الريفية. إلا أن هناك نسـبة تكـاد تصل إلى ثلثى أسر القرية (أسر الصيادين)، الذين أصـبحت هذه الصناعة عسيرة عليهم، واقتصر أمرها علـى بعـض الأسر أصحاب الحيـازات الزراعيـة والعـاملين بالنشـاط الزراعى. أما غالبية الأهالى فقد اتجهوا إلى الاعتماد علـى

شراء الخبز من المخابز. ويرجع ذلك إلى:

- قلة الحيازة المزروعة (قمح / ذرة) على مستوى القرية.
- نقص كمية مياه الرى مما تسبب فى جفـاف كثيـر مـن المحاصيل مثل القمح والذرة بسبب احتياجها إلـى كميـات كبيرة من المياه، مما جعل الكثير مـن الأهالـى يقومـون بتبوير الجزء الأكبر من الحيازة وقصر زراعتهم على فدان أو نصف فدان لضمان نجاح الزراعة.
- ارتفاع سعر جوال الدقيق / حيث بلـغ (١٦-١٨جنيـه)، بالنسبة لدخل الغالبية العظمى من أسر الصيادين خصوصـاً فى الوقت الحالى نظراً لتدهور نشاط الصيد.

١٢- خدمة المواصلات

تتصل القرية بالقرى المجاورة لها والمراكز التابعة لها من خلال سيارات نقل الركاب "بالنفر".

١٣- الخدمة الدينية

يوجد بالوحدة المحلية ١٢ مسجد منها ٨ تابعة لـوزارة الأوقاف و٢ مشتركـة بـين الأهـالى ووزارة الأوقـاف وزاويـة. يخـص قريـة كحـك بحـرى عـدد ٢ جامع تابعة لوزارة الأوقاف.

١٤- علاقة القرية بالمجتمع الخارجى

تعتبر قرية كحك بحرى من أكبر القرى التابعة للمجلس

المحلى، ومن اللافت للانتباه أن قرية كحك بحـرى - مثـل غيرها من قرى الريف المصرى - بزيـادة معـدل النمـو السكانى، الذى لا يتوازى مـع حجـم الحيـازة الزراعيـة - المزروعة فعلاً - نظراً لما تعانيه هذه القرية بحكم موقعها باعتبارها من قـرى النهايات، وما يترتب على ذلـك مـن مشاكل مرتبطة بنقص مياه الرى اللازمة للزراعة. وقد أدى ذلك إلى جعل حوالى ٥٠% من الحيازات الزراعية فى حالة بوار يتم بواسطة أصحابها من أجل توفير الميـاه اللازمـة لزراعة النصف الآخر. كما أن موقع القرية المتاخم لبحيـرة قارون أدى إلى تبوير مساحات كبيرة من الأراضى الزراعية بسبب تأثير ملوحة مياه البحيرة تبلغ فـى قرية كحك بحرى ٨٨٠ فداناً من الأراضى الزراعية عالية الجودة.

وبناء على ما تقدم أصبح هناك نوع من الاختلال فـى ارتفاع معدل النمو السكانى مع نقص الحيازة المزروعة فى القرية، مما دفع معظم شباب القرية وأطفالهـا إلـى العمـل بنشاط الصيد والأنشطة المكملة له (ترميم المراكب، الشباك، التسويق) عندما كان النشاط رائجاً. ولكـن بحيـرة قـارون تعرضت منذ خمس سنوات إلى زيادة معدل تلوث مياههـا، مما أثر على إنتاجها من السمك، فنتج عن ذلـك تـدهور أو شلل لنشاط الصيد، وتحولت القرية منذ ذلـك الحـين إلـى مستودع مكدس بالقوة العاطلة، فأصبح هناك فى قرية كحـك

بحرى وكل من قرى حبون / شكشـوك ضـرورة لتـدخل الجهود المجتمعية لإحداث نوع من التنمية المحلية، سواء من جانب الحكومة أو جمعيات تنمية المجتمع أو مـن أصـحاب رؤوس الأموال الخاصة، من أجـل البحـث عـن أنشـطة اقتصادية جديدة تتلائم مع مقومات هذه البيئـة البشـرية أو الطبيعية، من أجل استحداث أو العمل على إحياء الأنشـطة التقليدية الأصيلة. فالجهود يجب أن تتضافر لكى تسـتوعب هذه الطاقات المعطلة من الشباب وأرباب الأسر، خصوصـاً بعد توقف السفر إلى الدول العربية.

أما عن علاقة قرية كحك بحرى بمركز أبشواى فهـى قاصرة على أنها عاصمة المركز، وقد يمتـد إلـى مجـال الصحة حيث تعالج الحالات الصـحية الحرجـة بمستشـفى المركز.

وأما عن علاقة قرية كحك بحرى بمدينة الفيـوم فهـى قاصرة أيضاً على أنها عاصمة المحافظة، وأحيانـاً تعـالج الحالات الصحية الحرجة بالمستشفى المركزى، وكذلك فـى مجال التعليم حيث يدرس بعض أبناء القرية ذات المسـتوى الاقتصادى المرتفع فى الجامعة بمدينة الفيوم.

نتائج الدراسة الميدانية

أشرنا فى بداية هـذه الدراسة إلى أهمية تبنـى اتجـاه إحياء الصناعات البيئيـة الأصيلة، والعمـل علـى تنميتهـا كمدخل لتحقيق الاستقرار الاقتصادى والاجتماعى، وتنميـة المجتمعات المحلية المضارة مـن تلـوث بحيـرة قـارون. فالصناعات البيئيـة كنشـاط اقتصـادى، وأحـد الأوعيـة الاقتصادية الواسعة تعكس لنـا شكلاً من أشـكال التفاعـل الإيجابى بين مجموعة من العوامل التى تكمن داخل البيئـات المحلية (خاصة القرى المضارة من تلوث بحيرة قـارون)، هى: السكان – الخامات الطبيعية – الاحتياجات المجتمعية – أدوات الإنتاج المحلية. ومن هذا المدخل يمكننـا أن نـوفر فرص عمل ودخل اقتصادى لمعظم الأسر المضارة. وعلـى المستوى الأكثر شمولاً فإننا نستطيع أن نحقق رؤية واقعيـة حول إمكانية إحداث نوع من التكامل الإنتاجى بين الكثير من هذه الوحدات المحلية بمحافظة الفيوم، كما يمكن من خـلال دراسة إمكانية إسهام هذه الجهود الإنتاجية فى الدخل القومى.

ثامناً: نشاط الصيد وأثره على أسر المشتغلين به

كشفت نتائج الدراسة الاستطلاعية التى تمـت بغـرض حصر وتحديد القرى الأكثر تضرراً بتلوث البحيـرة، عمـا يلى:

إن كل من قرى: شكشوك وكحك بحرى التابعة لمركز

أبشواى، وحبون التابعة لمركز سنورس، هى أكثـر القـرى تضرراً. ويرجع ذلك إلى الطبيعة الإيكولوجية لهذه القـرى، حيث تعتبر شديدة القرب من بحيرة قارون مما جعل هنـاك علاقة متلازمة بين الموقع وحيث أن نشاط الصيد والأنشطة المرتبطة بـه. فهو النشاط الاقتصادى الوحيد الذى استوعب – عبر تاريخ القرية – الأعداد الكبيرة من العمالـة العاطلـة الناتجة من ارتفاع معدل الزيادة الطبيعية فى هـذه القريـة. بالإضافة إلى ضيق الملكيات الزراعية، وندرة مياه الـرى، وارتفاع نسبة غير الحائزين للأراضى الزراعية. وهذا يتفق مع أقوال أحد الإخباريين بالقرية: (إحنا طلعنا ولقينا أبهاتنـا بيعملوا فى الشغلانة دى).

إلا أن الصيد لم يكتب له أن يبقى على ازدهـاره فـى السنوات الأخيرة. فقد تزايدت نسبة الشكوى من أرباب الأسر الذين يعملون بنشاط الصيد فى القرى الواقعة على ضـفاف بحيرة قارون. ويرجع ذلك إلى تلوث مياه البحيرة، مما تسبب فى قلة إنتاجها من الأسماك. وقد قامت جهات علمية وبحثية كثيرة – فى الآونة الأخيرة – بتكثيف جهودها لبحث وتفسير ما طرأ على البحيرة من تلوث، فجاءت معظم النتائج تشـير إلى تعرض مياه البحيرة إلى أنواع كثيرة من التلوث نـذكر منها: التلوث الكيميائى (مبيدات الآفات)، والتلوث الناتج عن الصرف الصحى (الناشئ عن المعـادن الثقيلـة)، والتلـوث

نتيجة لنقل الزريعة.

وقد انعكست ظاهرة تلوث مياه بحيرة قارون على النشاط الاقتصادى والاجتماعى لمعظم الأسر فى هذه القرى. وكشفت الدراسة الميدانية عن تجمع وتفاعل مجموعة من العوامل الداخلية بقرية كحك بحرى (وبقية القرى) من حيث ضيق الملكيات الزراعية، وندرة المياه اللازمة للرى وتوقف نشاط الصيد. مما دفع أبناء القرية للبحث عن مسطحات مائية أخرى خارج محافظة الفيوم، للعمل بحرفة الصيد، فهاجر البعض إلى محافظات أسوان والبحر الأحمر والقناة. إلا أن جميع هذه المحاولات باءت بالفشل نظراً لرفض هذه المحافظات استيعاب هذه العمالة التى اعتبرت زائدة عن العمالة التى لديها ممن يعملون بهذا النشاط. وقد وصل الأمر إلى أن معظم هذه المحافظات قامت بتحرير محاضر لترحيلهم إلى موطنهم الأصلى. ومن الملاحظ أثناء الدراسة الميدانية أن هناك اتجاهاً عاماً يسود بين أسر الصيادين وأربابهم هو الإحساس بالإخفاق فى إيجاد فرصة عمل وعدم الإحساس بالاستقرار والأمان للمستقبل، الأمر الذى أدى إلى ظهور بعض الأمراض الاجتماعية كالتطرف الدينى.

وقد حاولت الباحثة التعرف على اتجاهات أرباب أسر الصيادين بخصوص الأنشطة والمهن التى يفضلون العمل بها

بعد تدهور نشاط الصيد. فجاءت معظم إجاباتهم اسـتجاباتهم تشير إلى معانى الرفض التام لتعلم أى مهنة، أو العمل فـى غير مهنة الصيد. إذ يقول أحد الإخباريين "لا أعرف أعمـل أى حاجة غير إنى أصيد"، ويضيف إخبارى آخـر: "إحنـا طلعنا لقينا الكل هنا بيشتغل بشغلانة الصيد، ولا حدش علمنا غيرها. لسة بعد العمر ده حنتعلم شغلانة جديدة".

وفى ضوء ما تقدم يصبح الاهتمام بقضية إحياء البيئـة الأصلية مطلباً ملحاً باعتباره أحد السبل البديلة التى يمكن أن تحقق نوعاً من التوازن المجتمعى، وحيث يتم من خلالهـا استيعاب العمالة العاطلة. وهذا ما أكدته كثير من نتائج خطط التنمية لكثير من الدول والشعوب التى سـبقتنا علـى نفـس الطريق. ولذا سعت هذه الدراسة بادى ذى بدء إلى حصـر الصناعات البيئية الأصلية (داخل الأسرة) وفق التعريف الذى سقناه فى بداية هذه الدراسة. ويمكننا أن نحـدد خصـائص الصناعات البيئية فى هذه المنطقة كما يلى:

- هو كل ما ينتج ويعتمد على الخامات البيئية ويتم إنتاجهـا داخل الأسر.
- هو كل ما ينتج ويعتمد على الخامات البيئية ويتم إنتاجهـا خارج الأسر.
- هو كل ما ينتج ويعتمد على تكنولوجيا محلية.

ٍ هو كل ما ينتج للاستهلاك الأسرى أو الإنتاج للسوق.

تاسعاً: النشاط الاقتصادى وواقعه فى مجتمع الدراسة

يتمتع إقليم الفيوم بسمات مناخية وطبيعيـة وجغرافيـة، انعكست على تنوع النشاط الاقتصادى لسكانه. وجاءت نتائج دراستنا السابقة حول أطلس الصناعات تشير إلـى انتشـار أنماط من الصناعات البيئية فى محافظة الفيوم. وذلك نتيجـة لما يتوفر فى هذا الإقليم من خامات طبيعية وقـوى بشـرية وأسواق لتصريف الإنتاج. كما نوهت الدراسة أيضـاً إلـى وجود تباين فى درجة انتشار بعض الصناعات البيئية علـى مستوى كل من القطاع الريفى والقطاع الحضرى بالمحافظة. ويرجع ذلك إلى العديد من الاعتبارات هى:

- درجة توفر الخامات اللازمة لقيام نشاط صناعى طـول العام.
- مدى توفر القوة البشرية اللازمة لهذا النشط الصناعى.
- درجة حاجة الأسرة لهذا النمط من الصناعة.
- مدى توفر الأسواق اللازمة لتصريف الإنتاج.

ونذكر أن من أهداف هذه الدراسة السعى للاستفادة بقدر الإمكان من المـوارد البيئيـة والخامـات الطبيعيـة لهـذه

المجتمعات المحلية المضارة من تلوث مياه البحيرة والعمـل على تنميتها بقيام مشاريع وصناعات بيئية تتوافق مع قدرات واستعدادات وخبرات القوى البشرية لهذه المجتمعات. ولقـد ظهر لنا أثنـاء الدراسة الميدانية تمتع المجتمعـات المحليـة الواقعة على ضفاف بحيرة قارون (كحك بحرى – شكشوك – حبون) بالمقومات اللازمة لقيام الصناعات البيئية وهى:

- توفر القوة البشرية.
- توفر الأراضـى اللازمـة لإقامـة أى مشـروع أو أى صناعة.
- توفر كثير من الخامات الطبيعيـة (نخيـل – منتجـات حيوانية).

وفى ضوء ما سبق نقترح بعض الأنشطة والصـناعات البيئية التى تتوافق مع خصـائص نشـاط الصـيد وطبيعـة الصيادين وحياتهم، وهى على سبيل المثال وليس الحصر:

على النحو التالى: المزارع السمكية التعاونية

كشفت الدراسة الميدانية عن وجود خمسة مزارع سمكية أهلية فى قرية كحك بحرى ملك لعائلات (على عبدالسلام – عبدالتواب إبراهيم – سعيد عبـدالحليم – محمـود جـوده – نظمى على).

ونظراً لما تحتاجه هذه المزارع من رأس مال، نقترح أن ينفذ هذا المشروع من خلال فكرة التعاونيات(*). وتهدف هذه الفكرة إلى زيادة قدرة صغار الصيادين على العمل والكسب والمشاركة الفعالة فى عملية التنمية الاقتصادية والاجتماعية لمجتمعه المحلى، وذلك من خلال انتشار جمعيات تعاونية برأس مال مكون من أسهم يشارك فيها المشتغلون بنشاط الصيد[٢٣]. ويقوم الصيادون بإدارة مشروع المزارع السمكية، بالمشاركة فى جميع مراحله بدءاً من مرحلة التجهيز والإعداد، واختيار الأرض – المكان اللازم لتنفيذ المشروع (المساحات البور بجوار البحيرة)، تجهيز الأرض وإعدادها فى شكل أحواض بالعمق المناسب (تحتاج المزرعة السمكية إلى من ١-٣ فدان أو ١-٥ فدان بعمق من ١-٣ متر).

- تدبير الآلة الخاصة لرفع المياه من مصارف المياه العذبة.
- تجهيز وتدريب القوة البشرية اللازمة لتغيير مياه

(*) لقد قامت كثير من الدول مثل: نيجيريا – غانا – الهند – كندا، بتبنى فكرة التعاونيات كمدخل لتنمية المجتمع المحلى، حيث تتولى هذه الجمعيات توفير رأس المال اللازم لقيام المشاريع التى تلبى احتياجات المجتمع المحلى. ومن جهة أخرى يتولى أعضاؤها المساهمون فى رأس المال القيادة والإدارة، إلى جانب توليهم مسئولية بيع الإنتاج إما بالتجزئة (فى متاجرة تعاونية) أو بالجملة.

المزارع على فترات تتراوح بين ٦-١٢ شهر.

- تجهيز وتدريب القوة البشرية اللازمة لإعداد الأعلاف اللازمة لتغذية الزريعة السمكية، وعادة ما يكون العلف مكون من (شعير معطن – قمح – حشيش أخضر).

المفرخ السمكى

لوحظ أثناء الدراسة الميدانية، وعلى وجه التحديد عند مقابلة العديد من القادة المحليين للقرى التى تجرى فيها الدراسة الميدانية، أن هناك فكرة تدور فى أذهان الكثيرين منهم، ولكنها مازالت فى مرحلة المناقشة والبحث والإعداد للتنفيذ، وهى إنشاء مشروع مفرخ سمكى يقام على بحيرة قارون. ويمثل هذا المشروع مشروعاً مكملاً لمشاريع المزارع السمكية التعاونية والذى يضمن لها النجاح والاستمرار، لأنه من خلاله يمكن تفادى السلبيات التى أسفرت عنها معظم الدراسات العملية الخاصة بأسباب تلوث بحيرة قارون.

وفى ضوء ذلك يجمع المسئولون والقادة المحليون لهذه القرى على ضرورة إنشاء هذا المشروع لما له من فوائد عديدة تتلخص فى:

أ- توفير كمية من الزريعة اللازمة لكل من المزارع السمكية

والبحيرة، وبالتالى تقلل من كمية الفاقد الناتج عن نقلها مـن المفرخات فى بيئات أخرى.

ب- توفير تكـاليف نقـل الزريعـة مـن أمـاكن إنتاجهـا بالمحافظات الساحلية.

ج- يسمح هذا المشروع بوجود فرص عمل لكثير من الأيدى العاملة من أرباب أسر الصيادين، نظراً لمـا يتطلبـه هـذا المشروع من مراحل هى: (مرحلة الحضانة للزريعة، مرحلة التربية، مرحلة التفريخ، مرحلة نمو السمك).

ومن الملاحظ أن جميع هذه المراحل تحتاج إلى تجهيز العلف اللازم للتغذية، مما يتطلب وجود مصنع للعلف. ومن خلال مقابلة بعض الصيادين الذين يعملون بالمزارع السمكية الأهلية، تعرفت على مكونات العلف وتبين إمكانية توفيرها.

٣- الصناعات التكميلية لمشروع المفرخ السمكى والمزارع السمكية:

سوف يترتب على قيام المشروعين السابقين واستمرارية إنتاجهما زيادة الطاقة الإنتاجية من الأسماك، بحيـث يمكـن إقامة بعض الصناعات الأخرى والتى تيسـر السبيل لتسويق الإنتاج، منها على سبيل المثال:

- صناعة تجفيف وتجميد الأسماك.

- صناعة علب الصفيح اللازمة لتعبئة الأسماك.
- صناعة الأعلاف من مخلفات الأسماك.
- ورش لصيانة وترميم المراكب والشباك[٢٤].

حيث كشفت نتائج دراسة أطلس الصناعات فى الفيوم عن تمركز صناعة المراكب فى مدينة سنورس. ومن هنا يمكن التوسع فى هذه الصناعة وكذلك ورش الصيانة فى ضوء توفر السوق، حيث يبلغ عدد المراكب على مستوى بحيرة قارون ٥٥٠ مركباً مرخصة للعمل بالبحيرة. ومن جهة أخرى توفر الخبرة العملية لهذه الصناعة على مقربة من القرى المضارة، ففى ضوء هذه الاعتبارات تصبح صناعة المراكب وورش الترميم من الصناعات البيئية الأكثر ملائمة لخصوصية القرى المضارة حالياً من جراء تلوث مياه البحيرة.

٤- أنشطة سياحية

لوحظ أثناء الدراسة الاستطلاعية أن كثيراً من أطفال قرية شكشوك يقومون بجمع القواقع والأحجار التى ترمى بها مياه البحيرة على رمال شواطئها، ثم يقوم الأطفال من سن ٥-١٥ سنة يجمعها وغسلها ثم تلوينها ولضمها فى تشكيلات مختلفة، وعلى شكل عقود أو ميداليات.

٥- تشجيع إنشاء **ورش تعاونية** لتصنيع المراكب السياحية.

٦- تشجيع قيام **مطاعم سياحية** تقدم بعض الوجبات الشعبية المميزة لمحافظة الفيوم (السمك بأنواعه – الحمام بالفريك).

٧- تشجيع **افتتاح بعض المحلات السياحية** لعرض بعض منتجات البيئة من أزياء تقليدية وشعبية خاصة بالذكور والإناث. وسيترتب على هذا المشروع زيادة فتح المشاغل اللازمة لتعليم الفتيات باختلاف أعمارهن للتدريب على أعمال الخياطة والتطريز. ومن خلال هذا المشروع كذلك يتم توجيه طاقة النساء نحو المشاركة فى تنمية دخل الأسر وتعلم حرفة يدوية يمكن من خلالها زيادة دخل أسرتها.

٨- تشجيع **المشاريع الاستثمارية لتربية الطيور** بأنواعها: (الكتاكيت – البط – الحمام) وكذلك الأرانب. وذلك من خلال توجيه طاقة المرأة بقيامها ببعض الأعمال التى تتم داخل المنزل كمدخل لتنمية الدخل، وإيجاد مصدر دائم للدخل الأسرى.

٩- تشجيع صناعة الخزف

لوحظ أثناء الدراسة الاستطلاعية وجود مصنع للخزف اليدوى فى قرية تونس التى تعرف بقرية الفنانين، حيث تقوم واحدة من الفنانات التشكيليات

– غير مصرية الجنسية – بتدريب الأيدى العاملة من أعمار مختلفة(٦-١٥سنة)، فلماذا لا تسعى الجهود المحلية المتمثلـة فى جمعيات تنمية المجتمع نحو تشجيع مثل هذه الصـناعة، التى تتوفر جميع مقومات قيامها ومنها:

- توفر الأيدى العاملة المدربة (الأبناء الذين تدربوا فى قرية الفنانين تحت إشراف إيفلين).
- توفر الطمى فى طريق مصر / الوادى على مقربة ١ كـم من قرية الأبعدية قارون.
- يمكن تدبير رأس المال من خلال فكـرة التعاونيـات أى إنشاء جمعية تتولى الإدارة والتسويق، وتدبير رأس المال من خلال أسهم تضم المشتركين بها من أبناء القرى المضـارة، بحيث يمكن أن يعرض هذا الإنتاج فى المحـلات السـياحية التى تُنشأ، على أنها صناعات شعبية تمثل بيئة الفيوم.

١٠- ورش لصناعة السجاد اليدوى من جلد الماعز(٢٥)

نظراً لاهتمام معظم الأسر الريفية بتربية الماعز وتوافر الجلود، فيمكن الاستفادة من جلد المـاعز فـى قيـام ورش لتصنيع السجاد من جلد الماعز. وهذه الصناعة لا تحتاج إلى تدريب طويل، ويستغرق تصنيع السجادة الواحـدة حـوالى نصف يوم.

١١- صناعات تقوم على المنتجات الزراعية

كما كان من بين الملاحظات اتجاه بعض القرى الواقعة على حزام بحيرة قارون – مثل قرية أيوب – إلـى زراعـة الزيتون فى الأراضى التى بورت بفعـ ـل ميـاه البحيـرة، وبسؤال إخبارى هذه القرية عن سبب زراعة هذا المحصول، أشاروا إلى نجاح زراعة محصول الزيتون فـى الأراضـى الملحية، وذلك منذ خمس سنوات. ويرجع ذلك النجاح لطبيعة محصول الزيتون من حيث قدرته على تحمل الملوحة العالية فى الأرض وقلة مياه الرى من جهة أخرى. فلماذا لا يشجع أهالى القرى المضارة على الاستفادة من مساحات الأراضى البور باستغلالها فى زراعة محصول الزيتون؟ ثـم محاولـة استغلال هذا المحصول فى قيام بعض الصـناعات البيئيـة مثل: صناعة تخليل الزيتون، وصـناعة اسـتخراج زيـت الزيتون.

١٢- صناعة مرتبطة بالنخيل

كما كانت زراعة النخيل تنتشـر فـى معظـم القـرى المضارة. يبلغ عدد النخيل فى مجلس محلى قرية كحك مـا يقرب من ٢ مليون نخلة، فلماذا لا تستخدم منتجات أشـجار النخيل فى صناعات تقوم على استخدام هذه خامات النخيـل (بلـح – جريد – ليف – دواسات – مكانس – صناعة خشب الكونتر)[٢٦] حيث أنه سـبق وأن أشـارت نتـائج أطلـس الصناعات البيئية إلى وجود كثير من الصناعات القائمة على

منتجات النخيل مثـل: الأقفـاص – الحبـال – السلاسـل – القبعات.

ولا يقتصر تواجد الصناعات القائمة على النخيل علـى مناطق زراعة النخيل وحدها، بل إن هنـاك منـاطق مثـل (فيديمين) ومركز طامية تعتمد فى صناعاتها علـى شـراء الجريد من القرى المحيطة بها. ويرجع ذلك إلى أن هناك قوة بشرية زائدة عن حاجة النشاط الزراعى فـى بعـض هـذه المناطق، فقامت صناعة النخيل بصورها المختلفة، باستيعاب هذه العمالة الزائدة. ومن جهة أخرى يؤكد ذلك وجود مناطق أخرى فى إقليم الفيوم ترتفع فيها قوة الطلب علـى منتجـات هذه الصناعة، وبالتحديد المناطق التى توجد بها المـزارات السياحية. فلماذا لا تدعم مثل هذه الصناعات من خلال فكرة التعاونيات من أجل أن تساهم هذه الصناعة فـى اسـتيعاب العمالة الزائدة والمتعطلة من نشاط الصيد أيضاً فى القـرى المضارة.

١٣- صناعة مستلزمات البناء

كشفت الدراسة الميدانية عن حاجة كثير مـن مسـاكن القرى الواقعة على ضفاف بحيرة قارون، إلى إعادة استبدال الخامات المستخدمة فى بناء مساكنهم من الطوب اللبن إلـى استخدام الطوب الأحمر أو الطوب الأسمنتى، وذلك بسـبب

المخاطر والأضرار التى سببها قرب هذه القرى من بحيـرة قارون. ومن جهة أخرى سد احتياجات السوق المحلية مـن هذا العنصر.

كما لوحظ أثناء الدراسة الميدانية وجود مصنع للطـوب الأسمنتى المعـروف فى المجتمع باسم الطـوب "البلـوك". وبسؤال أحد العاملين بالمصنـع، عرفنا أنه ملك لأحد أبنـاء القرية. أما بخصوص طبيعة صناعة الطوب الأسمنتى مـن حيث الخامـات المطلوبـة – الأيـدى العاملـة – الأدوات المستخدمة، قال أحد الإخباريين بالقرية وهو يعمل بالمصنع: أن الخامات هى: الحصوة: يتم إحضارها من جبل صـقارة. البدرة: يتم إحضارها من جبل صقارة. الرمل: يتم إحضـاره من أبشمة. الأسمنت: يتم إحضاره من أبشواى.

وأما الأدوات المستخدمة هى: ماكينة الطـوب – مولـد كهرباء – غربال. عدد العمل: خمسة أفراد. يتولى اثنان من العمال عملية ضرب الحصوة بالبدرة مع إضـافتهم. عامـل يقوم بعملية هز الرمل. عامل يقوم بتشغيل الماكينة. عامـل يقوم باستخدام القالب (الفورمة التى تشكل العجينة).

وفى ضوء ما سبق وما أشارت إليـه نتـائج دراسـتنا الاستطلاعية أطلس الصناعات البيئية على انتشار صـناعة مستلزمات البناء فى كثير من المناطق الريفية فى إقليم الفيوم

عامة. ويرجع ذلك إلى:

- توفر الخامات الطبيعية اللازمة، وهذا ما أكدته الدراسـة الميدانية الحالية.

- عدم احتياج هذه الصناعة إلى خبرة أو مهارة بقـدر مـا تركز على المجهود الجسمى أو العضلى للفرد. وهذا العنصر متوفر فى معظم القوى البشـرية الموجـودة فـى القـرى المضارة.

- أما بالنسبة لرأس المال فيمكن أن يتوفر من خلال فكـرة التعاونيات أو من خلال جمعيات تنمية المجتمع.

عاشراً: الأسرة الريفية كوحدة للإنتاج العائلى

أجمعت نتائج كثير من الدراسات على أصـالة نظـام الإنتاج العائلى أو المنزلى Domestic System فى التـاريخ الإنسانى بصفة عامة، والتاريخ المصرى بصفة خاصة، من حيث أن المنزل وما يتبعه من مناطق خالية بـالقرب منـه يعتبر مكاناً للإنتاج الأسرى. ويمثل جميـع أفـراد الأسـرة باختلاف مراحل العمر أعضاء فى قوة العمـل الأساسـى. وعلى المستوى الأكثر تحديداً، تؤكد نتائـج إحدى الدراسات وجود علاقة تفاعل إيجابى بين كل من السـكان والخامـات الطبيعية والاحتياجات المجتمعية وأدوات الإنتـاج المحليـة

وانتشار نمط الصناعات البيئية.

وقد جاءت الصناعات الغذائية لتحتل مكان الصدارة من حيث مكان وتركز تصنيعها داخل الأسرة الريفيـة وبصـفة خاصة ما يقوم منها على الألبان مثل: تصنيع الجبن، والمش، والزبادى، والكشك. ويرجع ذلك إلى توفر الألبان لدى الأسر التى تعمل بالنشاط الزراعى اللازم لتصنيع الجبن على مدار العام. إلى جانب أنه هذه الصناعات تتم داخـل الأسـرة، إلا أنها تسد احتياجاتها الأساسية من جهة ويتم تسويق الفـائض لزيادة دخل الأسرة.

كما يوجد نمط آخر من الصناعات الغذائية أقل انتشاراً نسبياً من الصناعات السابقة، وهى ما يطلق عليه الصناعات الغذائية الموسمية مثل (صناعة تخليل الزيتون واللفت والمش والفلفل)[٢٧]. وسوف تقصر الدراسة الحالية تركيزهـا علـى الصناعات الغذائية التى تصنع داخل الأسر، وذلك من خلال وصف لبعض الصـناعات الغذائيـة الأكثـر شـيوعاً فـى مجتمعات البحث مراعين فى ذلك التركيـز علـى مراحـل التصنيع، والأدوات المستخدمة ومستوى الإنتاج. أمـا بقيـة الصناعات الأخرى فهى فى حاجة إلى دراسة متعمقة.

أولاً: صناعة الجبن

الأدوات المستخدمة: الشالية – القربة – تعليقة – أطباق

الجريد.

الخطوات: تقوم الفلاحة بحلب اللبن ثم غليه أو تسخينه، ثم تركه يبرد ثم تقوم بوضعه فى القربة.

الأدوات المستخدمة:

أ- الشالية: عبارة عن إناء من الفخار مستدير الشكل يبلغ نصف قطره ١٠-٢٠سم بارتفاع ١٠-١٥سم حافته سميكة بالنسبة لبقية جسمه، تستخدم الشالية لجمع اللبن عند حلب الحيوانات، وكثيراً ما يستعاض عن الشالية باستخدام إناء من الألومنيوم عند حلب اللبن.

ب- القربة: هى الأداة التى تستخدم عادة لخض اللبن ولفصل الزبد من اللبن، والاسم المحلى فى قرية كحك بحرى (القربة)، وهى مصنوعة من جلد الماعز (السعى)، ويأخذ شكلها نفس شكل الماعز بعد قطع العنق والأرجل وسلخه (فصل الجلد عن اللحم).

ج- التعليقة: هى عبارة عن ثلاثة أعواد من جريد النخيل يتم تثبيتها فى الأرض، وتربط أطراف الأعواد الثلاثة العلوية بحبل بحيث تأخذ شكل الرقم ٨ ثم تعلق القربة فى جزء الحبل المتبقى من ربط الأعواد لتصير القربة معلقة بين الأعواد الثلاثة.

- **طريقة الخض**: تجلس الفلاحة بمفردها أو تعاونها إحـدى الفتيات، بحيث تجلسان متقابلتين وبينهمـا القربـة. وتقـوم إحداهن بدفع القربة إلى الإمام وتصدها الثانية بشـدة حتـى يتحرك اللبن داخل القربة (يترجرج). وتستمر هذه العمليـة لمدة من ربع ساعة إلى نسف ساعة. وعموماً تختلـف هـذه المدة طبقاً لحجم القربة وكمية اللبن التى بها وخبرة القائمات بعملية الخض. تستمر عملية الخض حتى يتغير الصوت اللبن المنبعث من قربة اللبن "يشخال". وهذا دليل على تمام عملية فصل اللبن عن الزبد، وتستمر عملية الخض حتـى تشـعر السيدة بتغير صوت الشخللة نظراً لكبر حجم الزبد، ثم تتوقف عملية الخض. ثم تفتح الفوهة لتتأكد من تمام عمليـة فصـل الزبد عن اللبن، وتستبعد الزبد من اللبن المتبقى الذى يسمى باللبن (الرايب).

يؤخذ اللبن الرايب ويسخن وتضاف إليـه (المنفحـة)، وهى مادة تشترى من الجزار (لأنها جزء من معدة البهيمـة المذبوحة) ويبلغ ثمنها من ٨-١٠ جنيهات، وعادة ما يضاف مقدار نصف ملعقة صغيرة إلى نصف جركن لبن وتترك من ١٠-١٢ ساعة حتى يتجمد اللبن، ثم ترفع القطـع المجمـدة على أطباق من الجريد لكى تصفى المياه، ثـم ترفـع قطـع الجبن من فوق أطباق الجريد، وتوضع فى إنـاء ويـرش عليها ملح حصى.

وتعتبر القربة من الأدوات المعمرة فى منـزل السـيدة الريفية إذا أحسنت طريقة حفظها والعناية بها، وهى أن تقوم بوضع بعض الملح بداخلها وخارجهـ ـا، ثـم تعلـق لكـى تتخلص من الماء، لأنه لو تركت القربة بدون تجفيف ووضع الملح بها، فإن جلدها ينعم ثم يتشقق ولا تصـلح للاسـتخدام مرة ثانية.

د- أطباق الجريد: هى عبارة عن أوعيـة صـغيرة تشـبه الأطباق يوضع بها اللبـن المتماسك نسبياً بقصـد إضـافة المنفحة إليه، وذلك لكى يتخلص اللبن من الماء أو الشـرش. وتصنع الأطباق من جريد النخيل بأن تجمع الأعواد بجـوار بعضها بخيط رفيع بشكل يسمح بترشيح الماء وتخليص اللبن المتماسك منه. وعادة ما يبقى اللبن المتماسك على الطبق مدة تتراوح بين نصف ساعة إلى ساعة حسب درجة تماسكه. بعد ذلك تقوم الفلاحة بتقطيعه قطعاً متساوية.

ثانياً: صناعة المش

الخطوات:

تتقطع قطع الجبن فى ماء، وعادة ما تحدد كمية المـاء طبقاً لمقدار الجبن، ثم يضاف إليها كمية من الفلفل الأحمـر الجاف (الشطة) وكمية من الملح، ثم يضاف كمية من اللبن. وتوضع فى إزاء (البكلة) أو فى برطمان، ويترك لمدة يوم أو

يومين. ثم يضاف إليه قشر البرتقال ومقـدار مـن الكمـون الجاف ثم تغلق (البكلة) أو الإناء لمدة مـن ٢٠-٢٥ يـوم. بعدها يفتح الإناء لملاحظة تغير لون اللبن وقطع الجبن مـن اللون الأبيض إلى اللون الأصفر.

الأدوات المستخدمة:

البكلة: إناء مصنوع من الفخار أسطوانى الشكل قاعدته أكثر اتساعاً، له رقبة متسعة تتراوح بين ١٥-٢٠سم، قطـر انتفاخه من الوسط ٣٠سم وارتفاعها عن أعلاه يقترب مـن ٦٠سم (حسب المقاس) وهناك مقاس أصـغر - لـه أذنـان يلتقيان فى الرقبة لكى تحمل منهما.

ثالثاً: الكشك

من الأطعمة القابلة للتخزين بالنسبة للريفيين بصفة عامة وللأسرة التى تعمل بالنشاط الزراعى بصفة خاصة، نظـراً لتوفر خامات القمح واللبن. ويصنع فى العادة خلال موسـم الشتاء نظراً لتوفر اللبن الرايب المتبقى بعد فصل الزبد مـن اللبن.

الخطوات:

يصنع الكشك من القمح بغسله ثم تجفيفـه ثـم يغربـل لتنقيته من أى شوائب. ثم يسلق فى إناء به ماء، يغلى علـى

النار حتى تصبح حبات القمح مثل حبات البليلة ثم يترك حتى يجف. بعد ذلك تقوم النساء بجرشـه (بالرحايـة)، وتفصـل الحبيبات الخشنة عن الناعمة، لأن الحبيبات الخشنة هى التى تستعمل فى عمل الكشك لأنها تجعله أكثر تماسكاً.

يوضع القمح المجروش (الخشن) فى "ماجور" كبير ثـم يسخن الماء ويوضـع فيه كمية من الملـح، يصـب المـاء المملح على القمح المجروش في المـاجور، ويوضـع فـى الشمس ليجف لمدة ٦ ساعات أى من الصباح حتى الظهـر (الشمس حامية) لكى يتسرب الماء والملـح ويصـبح مثـل العجينة. ويدك الخليط ويعجن باللبن الرايب حتـى يصـبح عجينة لينة التماسك، ثم يترك الخليط فى الماجور لمدة يـوم بعد تغطيته بقطعة قماش حتى يتخمر. تقوم النساء بعد ذلـك بتقطيعه قطعاً صغيرة باليد، على شكل كرات صـغيرة، ثـم توضع الكرات على الحصر (القياس)، ويترك فـى الشـمس طول النهار، ثم يجمع فى جوال ويخزن.

الأدوات المستخدمة:

الغربال: هو عبارة عن إطار خشـبى دائـرى بقطـر يتراوح بين ٤٠ و٦٠ سم، وارتفاعه من ٥-١٠ سم، يكسـى من الداخل بسيور متقاطعة من الجلد على شـكل مربعـات صغيرة، يستخدم فى التخلص من الشوائب مـن محصـول

الـذرة أو القمح (تراب، قش).

الماجور: إناء مصـنوع مـن الفخـار يأخـذ الشـكل المخروطى، تتسع فوهته ليصل قطرها مـن ٥٠-١٠٠ سـم حسب حجم الماجور فهناك النوع الصـغير وهنـاك النـوع الكبير، يبلغ عمقه من ٣٠-٦٠ سم قاعدته دائرية يبلغ قطرها من ٣٠-٥٠ سم، يستخدم الماجور فى عملية العجن. تراعى النساء الريفيات الحفاظ عليه أطول فترة بأن تضـعه علـى فوهته على الأرض بعد الاستخدام.

لوحظ أثناء الدراسة الميدانية أن هناك بعض الأسر ليس لديها ماجور، تستعيض عنه باستخدام الطست الألومنيوم فى عملية العجن. وعادة ما يشترى الماجور جاهزاً من السـوق ولا يصنع بالمنزل.

الرحاية: عبارة عن حجرين مستديرين متمـاثلين مـن نوع معين من الحجر الجرانيتى، يبلغ ارتفـاع كـل منهمـا حوالى من ١٠-١٢ سم، ويتراوح قطر كل منهما مـن ٣٠-٤٠ سم. ويلاحظ أن الحجر الأسفل ليس له فتحـة (أصـم) يتوسطـه عمود صغير جداً من الخشب يسمى العصـفورة. أما الحجر العلوى فتتوسطه فتحة بحجم عمود الخشب المثبت بالحجر السفلى، وهذه الفتحة هى التـى توضع بها الحبـوب لجرشها (أو لطحنها). يدار الحجر العلوى بواسطة يد خشبية

مثبتة به، لتديرها فيحدث احتكاك بين الحجرين يـؤدى إلـى الجرش أو الطحن.

الحصير: يصنع الحصير من نبات السمار الذى ينمـو تلقائياً على حواف الجسور والترع والمصـارف. ويرجـع استخدام هذا النبات فى صناعة الحصير إلـى أيـام قـدماء المصريين. وتبدأ مراحل تصنيع الحصـير بتقطيـع نبـات السمار، وتنظيف الأعواد استعداداً لتصنيعه. تتميـز أعـواد السمار بالطول كما يأخذ الشكـل المثلث. تبدأ فـى تقطيـع العود الواحد إلى شرائح طويلة، ثم تفرد على الأرض ويترك ليجف، ثم يقوم بنسجها مع بعضـها الـبعض. ويـتم ذلـك باستخدام النول اليدوى، حيث يضبط النول على السداة وفـق الطول المطلوب للحصيرة، وكذلك للحمـة وهـو العـرض المطلوب للحصيرة. ثم تبدأ عملية النسج باستخدام الخيـوط الرفيعة والقوية. يتكون النول من قضيبين من الخشب مثبتان على الأرض بأوتـاد خشبية، يثبت فى كل قضـيب خشـبى صف من المسامير تربط فيها الخيوط التى سيتم نسجها مـع أعواد السمار المشرحة، يقوم الصانع بعمل تداخـل الخيوط مع أعواد السمار باستخدام قطعة خشـبية لتمريـر الخيـوط المستعرضة بين الطولين، ويقوم بإزاحة وتثبيت الأعواد بعد كـــــــــل تمريـــــــــــــرة - بواسطة عصا من جريد النخيل - حتـى تشـتد وتقـوس

الحصيرة. ثم يقوم الصانع بربط نهاية الخيوط (عقدها) عندما ينتهى من عمل الحصيرة وحسب الطول المطلـوب. يقـوم الصانع وأحياناً بعمل رسومات فيقوم بصباغة عدد من أعواد السمار تتداخل فى النسيج لتشكل بعـض الرسـومات فـى الحصير.

يعرف الحصير فى مجتمع الفيـوم باسـم (القيـاس)، ويستخدم للنوم واستقبال الضيوف، ويستخدم الحصير "الفرد" بعض منتجات الصناعات الغذائية لتجف مثل (الكشك).

أهم التوصيات

توصى هذه الدراسة بما يلى:

- هناك حاجة إلى دراسة متعمقة على الصـناعات البيئيـة الموجودة فى إقليم الفيوم عامة والقطاع الريفى بصفة خاصة، من أجل الاستفادة منها فى تنمية المجتمعات المحلية.
- ضرورة تدخل الدولة بمؤسساتها المحلية لإنقاذ الصناعات البيئية وأحيائها.
- تشجيع وإحياء فكرة التعاونيات والعمل على تدريب أهالى القرية على ممارستها باعتبارها واحدة من المداخل التى سبق ونفذت فى كثير من الدول وحققت نجاحاً فى التنمية المحلية.

• الإكثار من جمعيات تنمية المجتمع التى تأخذ على عاتقها تقديم يد العون للأهالى من قروض ومواد خام، إلى جانب العمل الدؤوب على دراسة مشكلات هذه الصناعات والعمل على حلها.

* * *

المراجـع

١- أحمد أبوزيد، التنمية عن طريق المجتمعات المستحدثة، مؤتمر علم الاجتماع والتنمية فى مصر، المركز القومى للبحوث الاجتماعيـة والجنائية، مايو ١٩٧٣، ص ١٥.
٢- نجوى عبدالحميد، أطلس الصناعات البيئية، بحث المؤتمر العلمـى الثانى لكلية الخدمة الاجتماعية بالفيوم، ١٩٨٩.
٣- نجوى عبدالحميد، أطلس الصناعات البيئية، نفـس المرجـع، ص ١٦.
٤- أحمد أبوزيد، مرجع سابق، ص ١٠.
٥- Madan G. Rostow, Social Change and Problems of Development in India, Allied Dup;isher, India, ١٩٧١, PP. ١٥-١٨.
٦- Pieris T., Studies in the Sociology of Development, Motterdam University Press, ١٩٨٩, PP. ٥-٩.
٧- Choda K.S., Social Development, Oxford U.P. New York, ١٩٧٣.
٨- عليه حسين: التنمية نظرياً وتطبيقياً، دار القلم للنشـر والتوزيـع، الكويت، الطبعة الثانية، ١٩٨٥، ص ٢٦٠.
٩- U.N Economic and Social Council, Administrative Coordenation Committee, Twenteenth Report, ١٩٦٦,

P. ٨١.
١٠- Young, Kate: Media of Appropriation and the Sexual Division of Labour. “A Case Study From Oxaca, Mexicion: Annettekuhn and Ann Marie Walpe (edo) “Feminism and Materalism: Women and Modes of Production, London: Routeldge and Kegan Paul, ١٩٧١
١١- Clavanis, Kathy. G.: Perspectives on non-wage labour: Aspects of non-capitalist Social Relation in Rural Egypt: (The Small Peasant Household on Egyptian Delta Village) In Woman Long (ed.) Family and Work in Society, London: Tavistock, ١٩٨٤.
١٢- اعتماد علام: الأبعاد الاجتماعية الثقافية للتكنولوجيا الملاءمة فى الصناعات الريفية، رؤية تحليلية، بحث مقدم للندوة العلمية الثانيـة حول القرية المصرية، التكنولوجيا الملائمـة فـى مجـال الطاقـة والصناعات البيئية، ٢١-١٩٨٨/١٢/٢٥.
١٣- نجوى عبدالحميد: مرجع سابق.
١٤- محافظة الفيوم: بيانات المجتمع المحلى بقريـة كحـك، مركـز أبشواى.
١٥- محافظة الفيوم: بيانات المجتمع المحلى بقريـة كحـك، مركـز

أبشواى.
١٦- صلاح عبدالجابر: الأنمـاط الجغرافيـة للمسـتوطنات الريفيـة لمنخفض الفيوم، رسالة دكتوراه غير منشورة، قسـم الجغرافيـا، جامعة القاهرة، ١٩٨٠.
١٧- محافظة الفيوم: مرجع سابق.
١٨-محافظة الفيوم: مرجع سابق.
١٩- علياء شكرى وآخرون: المرأة فى الريـف والحضـر: دراسـة لحياتها فى العمل والأسرة، دار المعرفة الجامعيـة، الإسـكندرية، ١٩٨٨، ص ص ١٦-١٧.
٢٠- محافظة الفيوم: مرجع سابق.
٢١- محافظة الفيوم: مرجع سابق.
٢٢- محافظة الفيوم: مرجع سابق.
٢٣- مؤسسة الشرق الأدنى: سلسلة صوت ممارسى التنمية الريفيـة، المرأة والتنمية تبادل الخبرات حول أساليب صالحة للتطبيق.
٢٤- محافظة الفيوم: مرجع سابق.
٢٥- جريدة الأهرام بتاريخ ١٩٩٣/١٢/٢٣، ص ١٣.
٢٦- جريدة الأخبار بتاريخ ١٩٩٤/١/٢٠، ص ٥.
٢٧- نجوى عبدالحميد، مرجع سابق، ص ١٠.